Calm My Anxious Heart

by Linda Dillow

أرِحْ قلبيَ المضطرب

دليل المرأة إلى القناعة والطمأنينة

ليندا ديلو

أرِحْ قلبيَ المضطرب

دليل المرأة إلى القناعة والطمأنينة

ليندا ديلو

ترجمة: عصام داود خوري

This edition issued by contractual arrangement with NavPress, a division of The Navigators, U.S.A.
Originally published by NavPress in English as:
«CALM MY ANXIOUS HEART».

أرِح قلبيَ المضطرب

الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٩
الطبعة العربية الثانية ٢٠١٩

Second Print 2019.

أوفير للطباعة والنشر
ص.ب. ٣٠٦٢، عمّان ١١١٨١، الأردن
هاتف: ٣٣٨١ ٤٦٣ ٦ ٩٦٢+
فاكس: ٣٣٨٥ ٤٦٣ ٦ ٩٦٢+

Email: info@ophir.com.jo
www.ophir.com.jo

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٧/٢٨٩٩
ISBN 978-90-5950-097-6

إلى النساء اللاتي
عِشنَ القناعة أمامي



المحتويات



الفصل ١

رحلتي نحو القناعة

بينما ارتمت ميريديث منهارةً على كرسيٍّ في مطبخي، أعددتُ نفسي لسماع ترديدٍ لقصَّة حياتها المأساويَّة. كانت قد طلبَتِ الاجتماع بي بُغية التحدُّث بشأن ما يمكنها أن تفعله لتصبح أكثر قناعة ورضا. كانت ميريديث بدون أدنى شكٍّ الشخص الأكثر سلبيَّة ممَّن التقيتُ بهم يومًا، حتَّى إنَّ مظهرها كان يبدو سلبيًّا.

إنَّ ما نحن عليه في داخلنا؛ وما نفكِّر فيه باستمرار، يظهر في النهاية في كلماتنا وأفعالنا، وحتَّى في سيمائنا. كانت وضعيَّةُ جسم ميريديث وتعبير وجهها يبيِّنان بوضوح أنَّها عاشت إعادة تفسيرها الخاصِّ لما جاء في رسالة فيلبِّي ٤:٨ "خلاصة القول يا ميريديث إنَّ **كلَّ** ما هو غير صحيح، **كلُّ** ما هو غير جليل، **كلُّ** ما هو غير عادل، **كلُّ** ما هو غير نقيّ، **كلُّ** ما هو غير مسرّ، **كلُّ** ما صيته غير حسن، إنْ كان رذيلةً وإنْ كان ذمًّا، ففي هذه افتكري".
كانت حياة ميريديث ترجمةً حيَّةً لتفكيرها السلبيّ.

ومن دواعي السخرية، أنَّ نساءً كثيراتٍ كنَّ ليبادلنَها حياتهنَّ في لحظةٍ واحدة. كانت حياتها بعيدةً عن أنْ توصف بالمأساويَّة. فقد أنعم الله عليها بالصحَّة الجيِّدة، وبقوامٍ صغيرٍ أنيق احتفظت به على هذا النحو

دون أدنى مجهود، وبزوجٍ أحبَّها، وبولدَين رائعَين، وحتَّى بأثاثٍ جديد اشتراه زوجها مؤخَّرًا بغية إسعادها.

سألتُ ميريديث عن سبب عدم شعورها بالسعادة رغم أنَّ الله قد منحها العديد من الأشياء الجيِّدة. وبدون تردُّدٍ أطلقت شكاياتها بإسهاب: أوَّلًا، لم يعطها الله منزلًا. لقد أرادت بيتًا خاصًّا بها. إنَّها تستحقُّه. أمَّا زوجها- نعم، إنَّه يحبُّها، ولكنَّها لم تدرك من قبل أخطاءه العديدة. نعم، كان ولداها رائعَين، ولكنَّهما كانا سلبيَّين أيضًا ومتذمِّرَين (لم يكن عليَّ أن أخمِّن السبب!)

كانت ميريديث كحصانٍ وُضعَت على عينيه غَمامَتان، لا يرى إلَّا الطريق القذر الممتدَّ أمامه. لم ترفع نظرها يومًا نحو الأعلى إلى الله، أو لم تعدَّ يومًا البركات التي منحها الله إيَّاها. كانت تحوز منظورًا ضبابيًّا غير واضحٍ، وعادةَ السَّخَط والتبرُّم غير المقدَّسة.

تبدأ القناعة بمنظورٍ أبديّ

بينما كانت ميريديث على يقين من أنَّ حياتها كانت صعبة، فقد كانت حياة إيللا **حقًّا** سلسلةً طويلةً من الشدائد والضيقات. غير أنَّ إيللا حازت "عادةً مقدَّسةً" وهي القناعة. كانت رؤيتها واضحةً، وكانت تعيش بمنظور أبديّ.

ما الذي أعنيه بكلمة منظور؟ وفقًا لقاموس وبستر، توحي الكلمة بمعنى "التمعُّن، الرؤية الواضحة، القدرة على رؤية الأشياء بعلاقتها الصحيحة بأهمِّيَّتها النسبيَّة". أودُّ اعتبار المنظور كطريقة النظر إلى الأمور. لذا فالمنظور الأبديُّ هو طريقة الله في النظر إلى الأمور. عندما نحوز منظور الله، نرى حياتنا ونقيِّم ما هو مهمٌّ من وجهة نظره هو. وهذا ما فعلته إيللا.

خدمت إيللا مع زوجها وأولادها كمرسَلةٍ بين الأقزام في أفريقيا لمدَّة اثنتين وخمسين سنةً. لقد تركت وطنها وأهلها وكلَّ ما كان مألوفًا لديها. إنَّ كلمة بدائيَّة قاصرةٌ عن وصف ظروف حياتها في حرِّ أدغال أفريقيا اللاذع ورطوبتها. غير أنَّ إيللا لم تعرف إلى الراحة سبيلًا لأنَّ الكهرباء وأجهزة تكييف الهواء ووسائل الراحة الحديثة الأخرى كانت مجرَّد حُلم فقط. كانت تمرُّ أيَّامٌ يكون فيها الجوُّ حارًّا لا يطاق، إلى درجة تضطرُّها إلى نقل مقياس حرارة الجوِّ إلى داخل المنزل لعدم قدرته على تجاوز ١٢٠ درجة فهرنهايتيَّة (نحو ٥٠ درجة مئويَّة) من دون أنْ يتحطَّم.

تساءلت صديقتي ميمي، وهي ابنة إيللا، متعجِّبةً كيف استطاعت والدتها أن تفعل هذا، إذ عاشت حياة الرضا والقناعة في حين كانت أوضاع معيشتها كفيلةً بجعل أقوى الأقوياء يتذمَّر ويشكو. اكتشفت ميمي مؤخَّرًا كنزًا دفينًا، شيئًا نفيسًا أكثر أهمِّيَّةً من الذهب والفضَّة بكثير. فقد عَثَرَت في دفتر يوميَّاتٍ قديمٍ يخصُّ والدتها على وصفةٍ للقناعة:

- لا تسمحي لنفسك أبدًا بالتذمُّر من أمرٍ ما، ولا حتَّى من الجوّ.
- لا تتصوَّري نفسك أبدًا في أيَّة ظروفٍ أخرى أو في أيِّ مكانٍ آخر.
- لا تقارني أبدًا نصيبك بنصيب آخرين.
- لا تسمحي لنفسك أبدًا بأن تتمنَّي لو كانَتِ الأمور مختلفة.
- لا تفكِّري أبدًا بالغد؛ بل تذكَّري أنَّ [الغدَ] لله وليس لنا.

لقد طغت كلماتها على مشاعري وأفكاري؛ بل وأشعرتني بالخجل. كيف كان بإمكان إيللا ألَّا تتذمَّر من حالة الجوِّ حين كان العرق يقطر منه. وحين كانت رطوبة الهواء وركودته يمنعانها من النوم؟ ما الذي جعل مجال اهتمامها اليوميِّ مختلفًا إلى هذا الحدِّ عن مجال اهتمام ميريديث؟ يكمن

السرُّ في قول إيللا الأخير: كانت عيناها مركِّزتَين على الأبديَّة. إنَّ جميع أيَّامها الآتية هي ملكٌ لله. لقد قدَّمت كلَّ أيَّامها إليه. ولأنَّ كلَّ غدٍ من أيَّام حياتها كان مُستكينًا بين يَديِ الله القادرتَين، فقد كانت حُرَّةً في أن تحيا اليوم. تمكنت يومًا فيومٍ من أن تقوم بخيارات صحيحة، وأن تنموَ لتحوز عادةَ القناعة المقدَّسة. كان تركيز إيللا تركيزًا أبديًّا، وقادها هذا التركيز إلى القناعة والرضا الأبديَّين.

القناعة تصدر من الداخل

امتلكت إيللا **نفسًا راضيةً، وسلامًا مستقلًّا عن ظروفها**. يبني معظمنا رضاه وقناعته على أساس الظروف والمشاعر أو على أساس أشخاصٍ آخرين. غير أنَّ القناعة والرضا الحقيقيَّين منفصلان عن ظروفنا. إنَّهما حالةٌ متعلِّقةٌ بالقلب، لا حالةً متعلِّقةً بالظروف.

في مسرحيَّة "**الملك هنري السادس**"، يصف شكسبير بأسلوبٍ شعريٍّ القناعةَ والرضا الداخليَّين. يلتقي ملكٌ يجول البلاد بحرَّاس طرائد ويُعلِمهم بأنَّه ملك. فيسأله أحدهم: "ولكن إنْ كنتَ ملكًا، فأين تاجك؟" فيجيبه قائلًا:

إنَّ تاجيَ في قلبي لا على رأسي؛
ليس مرصَّعًا بماسٍ وأحجارٍ هنديَّةٍ ثمينة،
ولا يمكن أن يُرى؛ فتاجي يُدعى القناعة
هو تاجٌ نادرًا ما يتمتَّع بامتلاكه الملوك.[٢]

كم امرأةً تعرفينها تلبس هذا التاج الذي يُدعى "القناعة"؟ يمكنكِ على الأرجح أن تعدِّي على أصابع يدٍ واحدة. ولكن إنْ سألتُك عن عدد النساء اللواتي تعرفيهنَّ ممَّن يحُزْنَ روحًا مضطربةً أو نفسًا متذمِّرةً شاكيةً، فلسوف

تنفد منكِ على الأرجح أصابع اليدَين والقدمَين معًا وأنت تعدِّين! مع أنَّ القناعة أمرٌ نادر الوجود، فإنَّه أمرٌ ممكن.

سرُّ القناعة

يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبِّي كلامًا مذهلًا.

> ليس أنِّي أقول من جهة احتياجٍ فإنِّي قد تعلَّمتُ أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه. أعرف أن أتَّضع وأعرف أيضًا أن أستفضل. في كلِّ شيءٍ وفي جميع الأشياء قد تدرَّبتُ أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كلَّ شيءٍ في المسيح الذي يقوِّيني.
>
> (فيلبِّي ٤:١١-١٣)

إنَّ إلقاء نظرةٍ على حياة بولس يُظهر كم هي مذهلة هذه الآيات. كانت حياته حافلةً بكلِّ شيءٍ ما عدا الظروف الإيجابيَّة. كتب إليهم هذه الرسالة بينما كان قابعًا في ظلمة زنزانةٍ موحشةٍ، دون مرافقَ صحيَّةٍ، ودون تدفئةٍ أو أجهزة تدريب- وهي عناصر تعدُّ جزءًا من سجوننا الأميركيَّة. كان مقيَّدًا إلى أحد الحرَّاس، وكان وحيدًا. أنا واثقةٌ بأنَّه تساءل ما إذا كان كلُّ ما قام به من أجل المسيح مهمًّا حقًّا.

عاش بولس حياةً صعبةً إلى أقصى الحدود: ضُرِب حتَّى كاد يموت، وكان يُساء فهمه باستمرار، وهُجر من قِبَل أصدقائه، لم تكن حياته مثاليَّةً ويمكن التحكُّم بها؛ ومع ذلك قال: "**فإنِّي قد تعلَّمتُ أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه**". إنَّه أمرٌ لا يُصدَّق! إذ يعني هذا أنَّه يمكن تعلُّم القناعة. ويعني أيضًا أنَّ بإمكاننا- أنتِ وأنا- أن نتعلَّم كيف نصبح قانعتَين بما لدينا.

ألحق بولس تصريحه الرائع بشأن تعلُّمه أن يكون قنوعًا في جميع الظروف بسرٍّ **كيفية** التوصُّل إلى تحقيق ذلك (انظري فيلبِّي ٤:١٣). إنَّ هذه الآية، التي كثيرًا ما تُقتبَس، مترجمةٌ حرفيًّا عنِ اللغة اليونانيَّة على النحو التالي: "أنا أستطيع أن أواجه أيَّ شيءٍ بالذي يجعلني قادرًا [على فعل هذا]". هل تساءلتِ يومًا لماذا تلت هذه الآية مباشرةً كلمات بولس الواضحة والجريئة حول القناعة؟ يعترف بولس بأنَّ مصدر الرضا والقناعة المسيحيَّين وقوَّتهما هو الله نفسه.[٣]

إنَّ ترجمة فيلبِّي ٤:١٣ المفضَّلة لديَّ هي تلك التي قام بها عالم اللغة اليونانيَّة الراحل كينيث فويست.

> أنا قويٌّ في كلِّ الأشياء في ذاك الذي يبثُّ القوَّة فيَّ باستمرار.[٤]

في **كلِّ** الأوقات، وفي جميع الظروف، يقدر المسيح على مدِّنا بالقوَّة التي نحتاجها لنكون قانعات، وهو مستعدٌّ للقيام بذلك. تتحقَّق القناعة **حين يتشرَّب** جسدي الضعيف قوَّة المسيح، وكذلك نفسي وروحي. تعني عبارة **يتشرَّب**: أن يسكب؛ أن يملأ؛ أن يتسرَّب إلى؛ أو أن يستخلص. في كلِّ صباحٍ حين أغطِّس كيس شاي الأعشاب في الماء المغلي، أشهد عمليَّة التشرُّب.

كيف يمكِّننا الله من أن نكون قانعات؟ إنَّه **يبثُّ** القناعة فينا من خلال كلمته. وحين تتغلغل إلى أذهاننا، فإنَّها تغيِّرنا. تمامًا كما يصبح طعم الشاي مركَّزًا وقويًّا عندما نتركه ينتقع مدَّة أطول، كذلك نصبح أكثر رضًا وقناعةً حين نُمضي وقتًا في تمعُّن كلمة الله والسماح لها بالتسرُّب داخل حياتنا، مغيِّرة إيَّانا لنكون مثله.

من التحكُّم إلى القناعة

بدأت رحلتي نحو القناعة منذ خمسة عشر عامًا مضت عندما تبخَّرت جميع أساليب التحكُّم البارعة التي اتَّبعتها. توقَّفَت هذه الأساليب عنِ العمل لأنَّ الحياة أصبحت خارج السيطرة. حينذاك بدأ اثنان من أولادي "بالسير في مرحلة المراهقة" لكن في الاتِّجاه الخاطئ.

لقد صرتُ مسيحيَّةً ملتزمةً عندما كنتُ طالبةً في المرحلة الثانويَّة، وكنتُ متشوِّقة إلى تنشئة أولادي في بيتٍ مسيحيّ. وكان لديَّ منظورٌ غير صحيح، إذِ اعتقدتُ بأنَّني إنْ دفعتُ الأمور "الصحيحةَ" (الله، وكلمة الله) في أولادي، فإنَّهم سيحبُّون الله ويطيعونه بصورة تلقائيَّة. ولمَّا بدا أنَّ مخطَّطي لم يُكلَّل بالنجاح، اضطرب قلبي وأُصِبتُ بالاكتئاب.

عندما أخبرتُ صديقةً لي بمخاوفي، علَّقت قائلةً: "أنتِ تحبِّين أن يكون كلَّ شيءٍ تحت السيطرة، وهناك الكثير جدًّا من الأمور التي يتعذَّر التحكُّم بها في حياتكِ". لم أفهم حينها ما الذي كانت تعنيه. فأنا في النهاية أثق بالله. لقد كنتُ مرسَلةً، وكنتُ **أنال أجرًا** لقاء ثقتي بالله. فما الذي عَنَتْه بقولها "إنَّكِ تحبِّين أن يكون كلُّ شيءٍ تحت السيطرة"؟

عندما أنظر إلى الوراء، أدرك أنَّني كنتُ راغبةً فعلًا في أن أثق بالله، ولكنَّ الله كان بطيئًا جدًّا في بعض الأحيان. عندما كان يتحرَّك ببطءٍ كالحلزون -كما كنتُ أعتقد- قرَّرتُ لا شعوريًّا أنَّه بحاجةٍ إلى مساعدتي. إنَّني أدرك أنَّ هذا القول قد يبدو تجديفًا. فالله لا يحتاج إلى مساعدتنا. ومع ذلك، حين تدخَّلت لمعالجة (العبارة الأصحُّ هي **"للتلاعب بـ"** ولكنَّ كلمة **معالجة** تبدو أقلَّ وطأةً) الظروف أو لتنظيم شؤون الناس، كانت أفعالي تقول: "أنتَ، يا الله، لا تقوم بما أعتقدُ أنَّه ينبغي أن يتمّ، ولهذا، سوف أساعدك في القيام

بذلك". إنَّ "مساعدتنا لله في القيام بعمله" هي التي تؤدِّي بنا إلى القلب المضطرب. عندما نسيطر ونحاول أن نتحكَّم بما يحدث، فإنَّنا نحيد بأبصارنا عنِ الذي يسيطر على كلِّ شيء، ونركِّز أنظارنا على ظروفنا وأحوالنا.

هناك آيتان كانتا ترشدانني خلال تلك الأيَّام، وقد حفظتهما عن ظهر قلب، وكتبتهما على قلبي، وتعهَّدت أن أعيش بموجب ما جاء فيهما. الآية الأولى:

> الله... هو المبارَك العزيز الوحيد [المسيطر على كلِّ الأشيـاء]* ملك الملوك وربُّ الأرباب.
>
> (١تيموثاوس ٦:١٥)

تأمَّلتُ الحقائق التي وردت في هذه الآية: مَن الذي يتحكَّم بحياتي؟ إنَّه الله. أيُّ نوع من المتحكِّمين هو؟ المبارَك. في العبارات التي قالها اللاهوتيُّ المعروف **جي. آي. باكر**(J. I. Packer): "القناعة بشكلٍ أساسيٍّ هي مسألة تقبُّلنا ما يرسله الله من يده إلينا، ولأنَّنا نعرف أنَّه صالح، فإنَّ ما يبعث به إلينا بالتالي هو صالحٌ أيضًا".[٥]

الآية الثانية كانت:

> الربُّ نصيب قسمتي وكأسي. أنت قابضُ قرعتي.
>
> (مزمور ١٦:٥)

طرحَتِ المتكلِّمةُ والمؤلِّفة **إليزابيث إليوت** (Elisabeth Elliot) هذه الخاطرة التي تبعث على التفكير بشأن ما جاء في المزمور ١٦:٥، وإليكِ ما قالت:

---

* أُضيفَ ما بين القوسين المربَّعَين إلى الآية للتوضيح، ذلك أنَّ كلمة "الوحيد" لا توضِح في الترجمات العربيَّة المعنى المقصود منها في اليونانيَّة. وسيَرِدُ هذا المصطلح "المبارك المسيطر" مرَّاتٍ عدَّة في الكتاب ضمن هذا الفصل وفي فصول أخرى (الناشر).

> لا أعـرف أعظـم منه ميسِّرًا لحياتي. إنَّ كلَّ مـا يحدث يكون معيَّنًا. أيرفض العقـل ذلك؟ أيمكننا القول إنَّ هنـــاك أشيـاءً تحدث لنا لا تنتمي إلى ما "قُـسِمَ" لنا بمحبَّة ("هـذا ينتمي إليـها، وذاك لاينتمـي")؟ أتوجد أشيـاءٌ إذًا خارجةٌ عن نطـاق سيطرة الله القادر على كلِّ شيء؟ إنَّ كـلَّ قسمةٍ قد قيست وضُبطت لأجل مصلحتي الأبديَّة. حين أقبـل بما قُسِم لي، تُلغـى لحظتئذٍ الخِيارات الأخرى، وتصبح القرارات أسهل بكثير، والاتِّجاهات أوضح جدًّا، ومن ثَمَّ يصبح قلبي هادئًا بشكلٍ يفوق الوصف. **القلب الهادئ يقنع بمـا يعطيه الله.**[٦]

عرفت إيللا، المرأة العزيزة التي كانت مرسَلةً إلى أفريقيا، أنَّ على شخصٍ ما أن يكون "متحكِّمًا" بحياتها في هذا العالم الذي خرج عن نطاق السيطرة. ولأنَّها اختارت أن تـدَع الله ليكون هو المسيطر بدلًا منها، فقد كانَتِ امرأةً قانعةً وراضية.

لاهوت كأس الشاي

فلْنعُدْ إلى الوراء إلى تشابهنا الجزئيِّ في ما يتعلَّق بالشاي. لقد عيَّن الله كلَّ واحدةٍ منَّا لتكون كوب شايٍ مميَّزًا وفريدًا. ربَّما كنَّا كأسًا أثريَّة قديمة، رُسِمت عليها ورودٌ أنيقةٌ في إطارٍ ذهبيّ. وربَّما رأينا أنفسنا ككأسٍ للاستعمال اليوميِّ ذات فائدة، ولكنَّ حوافها متصدِّعةٌ بعض الشيء. أو يمكن أن نكون كأسًا متينةً ذات سطحٍ خشنٍ وبنيةٍ قويَّة، غير قابلةٍ للكسر، ويمكن أن تدوم زمنًا طويلًا.

ثُمَّ يملأ الله كأسنا بقسمتنا التي يقرِّر أنَّها الكأس الأفضل لنا. إنَّ قسمتنا ونصيبنا هما كياننا الجسديُّ والعاطفيّ، قدراتنا، وظروفنا، أدوارنا في الحياة وعلاقاتنا.

لا يعجبنا أحيانًا ما سُكِب في كأسنا. أتتذكَّرنَ الربَّ يسوع في بستان الجثسيماني؟ حين رأى الآلام التي سيعانيها، تضرَّع إلى الله قائلًا: "يا أبتاه إنْ شئتَ أنْ تُجيز عنِّي هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك" (لوقا ٢٢:٤٢). أمسك يسوع بمِقبض كأسه ورفعها إلى الله وقال: "إنَّني أقبل قسمتي. بثَّ فيَّ قوَّتك كي ما أتمكَّن من شرب هذه الكأس".

إنَّ لكلِّ كأسٍ مقبضًا- سواءٌ أَصُنِعت من الخزف الصينيِّ الأنيق، أم كانت آنيةً فخَّاريَّة خشنةَ الملمسِ. وضع الله قسمتنا في كأسنا. إنَّ علينا أن نختار، إمَّا أن نمسك هذه الكأس من مِقبضها ونرفعها إليه قائلات: "إنَّني أقبل بقسمتي؛ أقبل هذه الكأس"، أو أن نقرِّر تحطيمها إلى قطعٍ صغيرةٍ قائلات: "إنَّني أرفض قسمتي. إنَّ هذه الكأس ليست بالحجم الذي يناسبني ولا يُعجبني ما قد وضعتَ فيها. إنَّني سأتحكَّم بحياتي بنفسي".

رحلتي نحو القناعة

القناعة هي قبول سيطرة الله المهيمنة على ظروف حياتنا كلِّها. لقد كان من المذلِّ بالنسبة إليَّ أن أُضطرَّ إلى أنْ أقول لله: "لقد حاولتُ أن أثق بك، ولكنَّ جزءًا كبيرًا من قوَّتي قدِ امتزج بتلك الثقة".

لقد ساعدتني القصَّة التالية التي تدور حول راهبَين على أن أنظر نظرةً صحيحةً إلى سيطرتي مقابل سيطرة الله.

قال راهب قديمًا: "إنَّني بحاجةٍ إلى زيت"، ولهذا زرع شتلةَ زيتون. وصلَّى قائلًا: "إنَّها بحاجةٍ إلى مطرٍ حتَّى تستطيع جذورُها الغضَّة أن تشرب وتعلو. ياربّ، أرسِل مطرًا خفيفًا". فأرسل الله مطرًا لطيفًا. وصلَّى الراهب قائلًا: "يا ربّ، إنَّ شجيرتي بحاجةٍ إلى الشمس. يا ربُّ يا مَن إليك أصلِّي أرسِل أشعَّة الشمس". فأشرقت أشعَّة الشمس منسابةً من بين الغيوم النديَّة. "ياربّ، أرسِل صقيعًا يغلِّف نسيجها الرقيق ويقوِّيه". وانظر ما حدث، انتصبَتِ الشجيرة متلألئةً بغلافٍ جليديّ، ولكنَّها ماتت أثناء الليل.

وعندها، قصد الراهب صومعة أحد الأخوة الرهبان، وقصَّ عليه خبرته الغريبة. فقال له: "أنا أيضًا زرعتُ شتلةً صغيرةً، أتَدري؟ لقد نَمَت بشكلٍ جيِّد. غير أنَّني عهدتُ بها إلى إلهها. فهو الذي خلقها ويعرف أكثر من شخصٍ مثلي ما هي بحاجةٍ إليه. ولم أضع شرطًا واحدًا. ولم أحدِّد أيَّة وسائل. صلَّيتُ قائلًا: يا ربّ، أرسِل ما هي بحاجةٍ إليه، إنْ كان عاصفةً أم شمسًا مشرقةً، ريحًا ، مطرًا أم صقيعًا. أنت مَن خلقتها وأنت مَن يعرفها".[7]

لقد عجزتُ عن أنْ أجعل الله موضع ثقتي لأنَّني حاولتُ بكلِّ قوايَ أنْ أفعل هذا. قد تكونين مثلي، أو قد تكونين على العكس منِّي تمامًا، في الجهة الأخرى من الطيف.

لقد أخفقتِ في جعل الله موضع ثقتكِ عن غير وعي. إنَّ حياتكِ خارجةٌ عن نطاق السيطرة، ولهذا تستسلمين. من المستحيل أن تدركي الغاية من الحياة، وأكثر من المستحيل أن تكوني قانعةً وراضية، وهكذا تكفِّين عنِ المحاولة وتستسلمين. إنَّ معظمنا إمَّا يبذل قصارى جهده في المحاولة، أو أنَّه يتخلَّى عنِ المحاولة. وفي كلتا الحالتَين، فإنَّنا نفتقد الله- نفتقد إلى القوَّة التي يبثُّها فينا والتي تقودنا إلى القناعة والرضا.

إنَّ هذا الكتاب هو قصَّة رحلتي مع الله. كيف أخذ المرأةَ الشبيهةَ بالراهب الأوَّل وجعلها تنمو لتصبح المرأة الشبيهة بالراهب الثاني. إنَّ رحلتي مستمرَّة. وهي مغامرة مثيرة! لقد غدا الله النَّفَس الذي يتردَّد في صدري، وهو فرحي وعبادتي وكلُّ قوَّتي. وهو يبثُّ فيَّ مقدرته وقوَّته كلَّ يوم. لقد أراح قلبيَ المضطرب.

إنَّني أدعوكِ إلى مرافقتي في رحلتي لكي تنمي في فهمكِ لمعنى القناعة الحقيقيَّة، وكيف يمكن أن يتغيَّر منظوركِ إلى ظروفكِ، ونفسكِ، وأدواركِ، وعلاقاتكِ؛ ولكي تَرَي كيف يمكن لحواجز القلق والجشع والتركيز الخاطئ أن تمنعك منِ امتلاك قلبٍ قانعٍ وراضٍ.

وأخيراً، إنَّني أدعوكِ إلى اكتشاف جسر الثقة الذي سيحملك فوق الحواجز إلى القناعة والرضا. ليست إيللا المرأةَ الوحيدةَ التي تمكَّنت من تعلُّم القناعة. إنَّ ميريديث المثبَّطةَ العزيمة، والتي تحسب القناعة أمرًا مستحيلًا، يمكنها أن تتعلَّم. أنا أستطيع أن أتعلَّم، وكذلك أنتِ أيضًا يمكنكِ أن تتعلَّمي.

وعندما تتعلَّمين سرَّ القناعة، فلسوف ترَينَ الله بمنظورٍ جديد. وسوف تدركين في قلبكِ أنَّه المبارك المسيطر على كلِّ الأشياء، ملكُ الملوك وربُّ الأرباب.

ألينا

دفعنا عربة المشتريات ونحن ندور في بام بام، مخزن البقالة المفضَّل لديَّ في مدينة فيينا بالنمسا. إلى جانب سيفوي وألبرتسون، فإنَّ بام بام ينقصه الكثير؛ ولكن لدى مقارنته بالمخازن البولنديَّة الصغيرة الضيِّقة ذات الأرفف الفارغة، فإنه كان مكانًا ساحرًا يتوفَّر فيه كلُّ شيء.

كان رفيقيَّ، ألينا وهنريك، مبهورَين بكميَّة وتنوُّع البضائع الموجودة. عندما التقطت ألينا معجون الأسنان "المخصَّص للأطفال" من فوق الرفِّ المُثقل بالبضائع شعرتُ بالغثيان. وبينما نحن نتابع جولتنا حول المخزن، ازداد هذا الشعور. كان بام بام يبدو لعينيَّ الأمريكيَّتَين في العادة، مكانًا لا يفي بالغرض المطلوب، ولكنَّني رأيتُ الوفرة اليوم من خلال أعينهما البولنديَّة.

وفي وقتٍ لاحق، عندما كنَّا نتناول الغداء في بيتيَ الواسع، سألتُ ألينا وهنريك كيف يمكنهما قبول هذه الوفرة في حين يعرفان أنَّهما سيعودان بعد يومَين إلى بولندا حيث لا وجود لمعجون أسنان، ناهيك عن عدم وجود واحدٍ مخصَّصٍ للأطفال! لن أنسى أبدًا ما قالته ألينا: "ليندا، لقد تعلَّمنا أن نستمتع بالوفرة حين نكون هنا، ولكنَّنا نعرف أنَّنا نستطيع أن نكون بالمثل راضين وقانعين تمامًا بالقليل في بولندا". ملأت كلمات بولس الرسول عقلي حين قال: "قد تعلَّمت أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه... أن أستفضل وأن أنقص".

لقد دفعتُ عرباتٍ كثيرةً في بام بام بعد ذلك، ولكنَّ نظرتي إلى الأمور قد تغيَّرت. لقد أصبحتُ أرى الآن من خلال عيون بولنديَّة، وكان ذلك بركةً لي ومصدرَ اتِّضاع.

الفصل ٢

قانعة بظروفي

أقمتُ أنا وزوجي جُدي مدَّة ثلاث سنواتٍ في هونغ كونغ، وهي مدينة تتميَّز بطابعٍ غريبٍ وجذَّاب، وخطٍّ أفقٍ لا مثيل له، وإطلالةٍ على المحيط فائقة الجمال، وألقٍ وثراءٍ لا يوصفان، ونشاطٍ مستمرّ. كُنَّا نحبُّ الجلوس ليلاً على حافَة الخليج ونسيم البحر المالح يداعب وجوهنا، ونحن ننظر إلى ملتقى الأرض بالسماء. كم أحببتُ التسوُّق في هونغ كونغ! كان شارع فا يوين (Fa Yuen) يستحوذ عليَّ، وهو المكان الذي أتفوَّق فيه في عمليَّات الشراء وأكتشفُ صفقاتٍ رابحةً لا تكاد تصدَّق. كلَّف الطقم من الحرير الخالص الذي ارتديتُه في حفل زفاف ابني ١٤ دولاراً، أمَّا ثوب التالبوت الذي ارتديتُه في زفاف ابنتي جوي فقد كلَّفني ٧ دولارات مع أنَّ سعره كان ١٥٠ دولارًا. ولمعرفتها بتعطُّش أمِّها إلى الصفقات الرابحة، توسَّلت جوي إليَّ ألَّا أُخبر المدعوِّين إلى زفافها كم كلَّف فستان والدة العروس. لقد حاولتُ، ولكنَّني لم أتمكَّن من منع نفسي من إخبارهم بشأن صفقتي المدهشة تلك!

كان التسوُّق من محالِّ البقالة مُمتعًا أيضًا. كنتُ أقلِّب بسرعةٍ صفحات حاسوبي وأُرسِل إلى المخزن بواسطة الفاكس قائمة احتياجاتي. وكانَتِ الموادُّ التي أطلبها، وهي تشتمل على سمك السلمون المُصطادِ توًّا، وقطع الأناناس

الطازجة، تصلني إلى عتبة بابي عند عصر اليوم نفسه. هذا هو نوع التسوُّق الذي أفضِّله!

خلال السنوات التي قضيناها في هونغ كونغ أصبح السفر جزءًا من اسمنا. لقد تمتَّعنا بزيارة الصين، واليابان، وكوريا الجنوبيَّة، وسنغافورة، وفييتنام، وغيرها من الدول. وكان من المثير رؤية هذه الأماكن الساحرة ولقاء أناسٍ يتفرَّدون عن غيرهم في كلِّ بلدٍ من هذه البلدان.

والشمس في هونغ كونغ دائمة الإشراق. كُنَّا نحبُّ أن نعرِّض أنفسنا لدفءِ أشعَّتها في شرفة شقَّتنا الواسعة، الواقعة على منحدر التلّ. لقد منحنا الله بنعمته منزلاً رائعًا، تكمِّله أرضيَّة من الخشب الصلب والنوافذ الواسعة الفخمة. كان منزلنا في الطابق الرابع يطلُّ على خضرةٍ تتميَّز بها المناطق المداريَّة، وناطحات سحابٍ في الوادي أسفلنا.

كانت وسيلة النقل العامَّة في هونغ كونغ هي بديلٌ للتغلُّب على مشاكل حركة المرور. حتَّى إنَّنا لم نملك سيارةً بما أنَّ المراكب والحافلات والقطارات وقطارات الأنفاق وسيَّارات الأجرة كانت رخيصةً ومتوفِّرةً في كلِّ الأماكن والأوقات. كنتُ أعلِّم درس الكتاب المقدَّس مرَّةً في الأسبوع في جزيرة لانتو، في مكانٍ جميلٍ يُدعى خليج "ديسكفري". وللوصول إلى هناك، كنتُ أغادر شقَّتي وألحق بالحافلة ثُمَّ أستبدل بها القطار، فقطارِ الأنفاق، ثُمَّ أركب القارب ذا المحرِّك النفَّاث، ومن ثَمَّ أستقلُّ حافلةً أخرى أترجَّل منها أمام باب المكان الذي أقصده لإعطاء درس الكتاب المقدَّس.

كان أولاديَ الأربعة وأقرانهم يشعرون بالإثارة والابتهاج للفرصة التي أتيحت لهم لزيارة هونغ كونغ والصين. يا له من وقتٍ مميَّزٍ أمضيناه معًا! ومع أنَّهم كانوا يعيشون على بعد آلاف الأميال من هونغ كونغ، فإنَّه

كان بإمكاننا "محادثتهم" بواسطة البريد الإلكترونيّ. أيّة نعمةٍ هو عصر الحاسوب هذا، عندما تكونين بعيدةً جدًّا عن أولئك الذين تحبِّينهم!

لقد قدَّرتُ جدًّا إقامتي في مدينةٍ تتوق النساء فيها إلى معرفة الله وكلمته. وبسبب تسلُّم الصين الوشيك للسلطة في هونغ كونغ في عام ١٩٩٧، كانَتِ النسوة يطرحنَ أسئلةً تدور حول القضايا الأبديَّة. كانت خدمتي تقتضي منِّي تدريب النساء على التعليم، وقيادة مجموعاتٍ صغيرة، وعلى تنظيم جلسات شرب قهوة كرازيَّة، بحيث يصبحنَ مستعدَّاتٍ وموجوداتٍ حين تتحوَّل هونغ كونغ الرأسماليَّة إلى هونغ كونغ الشيوعيَّة.

لكنَّ كلَّ هذا ما هو سوى الوجهِ الأوَّل من القصَّة ليس إلاَّ.

الوجه الآخر للقصَّة

إنَّ هونغ كونغ مكانٌ ساحرٌ للزيارة، غير أنَّني لم أقل إنَّها مكانٌ ساحرٌ للإقامة. يعيش في هونغ كونغ ستَّةُ ملايين نسمة، وهي تُعدُّ واحدةً من أكثر الأماكن على الأرض كثافةً سكَّانيَّة. في ماي فو (Mei Foo)، وهي منطقة كنتُ أزورها كلَّ أسبوع، يعيش ٧٠,٠٠٠ شخصٍ فوق أرضٍ تبلغ مساحتها أربعين فدَّانًا! لقد جعلتني إقامتي بين هذه الكتلة البشريَّة أدرك مدى حبِّي لحيِّزي الخاصّ. غالبًا ما كنتُ أشعر برهاب الاحتجاز (الخوف من الأماكن المغلَقة) هناك.

كان التسوُّق في هونغ كونغ أمرًا رائعًا، إنَّما في أوقاتٍ معيَّنةٍ نظرًا إلى الحشود الغفيرة من الناس. فكلُّ يومٍ يبدو وكأنَّه اليوم الذي يسبق عيد الميلاد. الصفقات المربحة موجودة في شارع فا يوين، ولكنَّ عليَّ أن أبحث عنها بين أكوامٍ من الملابس كي أجدها، ثُمَّ إنَّني لم أكن أتمكَّن من تجرِبة أيَّة قطعة ملابس. فقد كنتُ أحمل معي دائمًا شريط القياس في محفظتي. غير

أنَّ المشكلة كانت تتمثَّل في اضطراري إلى قياس محيط الورك كي أستطيع استخدام شريط القياس بصورةٍ صحيحة- وهو أمرٌ لم أكن قد قمتُ به منذ سنوات! وهو قطعًا ليس أمرًا ممتعًا.

ومع أنَّ الجوَّ في هونغ كونغ مشمسٌ، فإنَّه أيضًا رطبٌ جدًّا. كانَتِ الحرارة المرتفعة ورطوبة الجوِّ تستهلكان قِواي وترهقانني فأشعر بالخمول واعتلال الصحَّة معظم أيَّام السنة. كانَتِ الجدران تتعرَّق، والمباني تتعفَّن، وحتَّى الأحذية تتحوَّل إلى مرتعٍ لتكاثر نوعٍ نادرٍ من الفطريات. ويتجوَّل الوزغة (أبو بُرَيص) الشبيه بالسحليَّة متسلِّقًا جدران وأسقف كلِّ بيت. لم أستطعِ الاعتياد قطُّ على رؤيَّة ذاك الحيوان وهو يقفز نحوي أثناء قيامي بتنظيف حوض الاستحمام. في إحدى المرَّات، سحقتُ حيوانًا صغيراً من ذاك النوع بقدميَ العارية. إنَّني لا أزال أشعر بالرعدة كلَّما فكَّرتُ في ما حدث. إنَّ السفر إلى أماكن غير مألوفة كان مثيراً؛ لكنَّه مرهقٌ جدًّا. لقد سافرنا ما مجموعه خمسة أشهرٍ إلى الخارج خلال الاثني عشر شهرًا الأولى من إقامتنا هناك. شعرت بالتشويش والتيهان. ولم تكن لديَّ سوى فرصةٍ ضئيلةٍ للتكيُّف مع الثقافة الجديدة أو لتنمية صداقات.

كانت شقَّتنا رائعة. غير أنَّ كلفة استئجار البيوت في هونغ كونغ كانَتِ الأعلى في العالم. بعد سنتَين، ارتفع إيجار شقَّتنا ٤٠٪! كنتُ أشعرُ بالغثيان كلَّ شهرٍ وأنا أكتبُ "شيك" الإيجار. وفي كلِّ مرَّةٍ مررتُ فيها من قدَّام الصنم المتمركز خارج باب جيراننا، كنتُ أشعرُ بمعدتي وهي تنقلب.

لم أشعر بالأمان مطلقًا في هونغ كونغ، مع أنَّنا كُنَّا نقطن الطابَق الرابع وعلى بابنا الأماميِّ خمسة أقفال. ففي إحدى الليالي، وبالرُّغم من تلك التدابير الوقائيَّة، اقتحم أحدهم شقَّتنا. واستيقظتُ لأجد بابَيِ الثلاجة

والمجمِّدة مفتوحَين. وعندما أجلتُ النظر من حولي في المطبخ، وجدتُ بقايا طعامٍ ومزيجًا قذرًا كان المقتحِم قد مضغه ثُمَّ بصقه على موقدي. من الواضح أنَّه لم يحبَّ طعامنا. (كيف يجرؤ على هذا!) كما وجدنا أدلَّة تشير إلى دخول شخصٍ ما إلى كلِّ غرفةٍ من الغرف، بما فيها غرفة نومنا. لقد وقف المتسلِّل إلى جانبي من السرير بينما كُنَّا نائمَين! مُنتهَكةٌ، خائفةٌ، وغاضبة- كلُّها تصف ما شعرتُ به، غير أنَّني كنتُ شاكرة أيضًا. انتشرتْ قصصٌ كثيرةٌ في هونغ كونغ عن أشخاصٍ قد قُتلوا وشُوِّهوا عندما استيقظوا ووجدوا أنَّ شخصًا قدِ اقتحم بيتهم. لقد أبقانا الله نيامًا، لذا فقد كنتُ مُمتنَّة.

ومع أنَّ وسائل النقل الشعبيَّة فعَّالة، فإنَّها مكتظَّةٌ جدًّا. في وقت الذروة، كان المتدافعون في قطار الأنفاق يدفعون الناس بعنفٍ كسمك السردين. في صباح أحد الأيَّام؛ وفي أثناء الرحلة التي كنتُ أقوم بها لإعطاء درس الكتاب المقدَّس في خليج "ديسكفري"، تحرَّش بي رجلٌ بينما كُنَّا متلاصقَين، فلكزتُ أضلعه بمرفقي، ولكن كيف تستطيعين أن تصرخي "تحرُّش جنسيّ" حين لا تتكلَّمين لغة البلاد، وحين تكونين الشخص الوحيد غير الآسيويّ في قطار الأنفاق؟ ومرَّة أخرى شعرتُ بالغضب وبأنَّ خصوصيَّتي قدِ انتُهكت. وارتعشتُ من رأسي إلى أخمص قدميَّ، وصمَّمتُ ألَّا أركب أبدًا قطار الأنفاق ثانيةً. لقد فعلتُ ذلك طبعًا، ولكنَّني كنتُ أغادر مبكِّرةً ساعةً من الوقت كي أتجنَّب المواجهة الحاسمة الصباحيَّة.

كانت زيارة أولادنا وأزواجهم أمرًا رائعًا مع أنَّه مؤقَّت. وكانت رسائلهم عبر البريد الإلكترونيِّ التي تصلنا عبر المحيط بركة، ولكن حين اتَّصل ابني قائلاً إنَّه سيبيع سيَّارته وينتقل إلى بوليفيا، لم يكنِ البريد الإلكترونيُّ كافيًا بالنسبة إليَّ لإيصال مشاعري! وحين اتَّصلَتِ ابنتي وأخبرتني بأنَّها مريضةٌ جدًّا، لم يكدِ الاتِّصال عبر الكمبيوتر يفعل شيئًا لطمأنة قلبي. لقد تقتُ إلى

التحدُّث إليها كلَّ يوم، غير أنَّ الرسوم الهاتفيَّة العالية حالت دون إجراء محادثات طويلةٍ أو متكرِّرة.

تمامًا في الوقت الذي كانت فيه خدمتنا تتضاعف، بدأنا ندرك أنَّه سيكون علينا أن نغادر هونغ كونغ بسبب تسلُّم الصين للسلطة فيها. بعد ثلاث سنوات من تعلُّم التكيُّف كان عليَّ الرحيل، ولم يكن ذلك سهلاً.

إنَّ الحياة في هونغ كونغ لا تبدو فاتنة إلى هذا الحدِّ نهاية الأمر، أليس كذلك؟

وحلٌ أم نجوم؟

يستطيع معظمنا أن يصنِّف حياته بأساليبَ سلبيَّةٍ وإيجابيَّة. بإمكانكِ أن تكتبي قائمةً تتوهَّج بالإيجابيَّات في حياتكِ. كما يمكنكِ أن تكتبي عندها قائمة بالسلبيَّات الصريحة المباشرة. إنَّ كلتا القائمتَين صحيحتان، غير أنَّ كلاًّ منهما تركِّز على أمرٍ مختلفٍ.

كيف تصنِّفين حياتكِ؟ اغتنمي لحظةً الآن على الفور لوضع قائمة بالأمور السلبيَّة والأخرى الإيجابيَّة التي سمح الله بوجودها في حياتكِ. إن كنتِ تفضِّلين ذلك، اكتبي فِقرتَين، واكتبي كذلك تقييمك.

والآن لديَّ سؤالٌ لكِ- سؤالٌ كثيرًا ما طرحتُه على نفسي: **أيَّة قائمة من القائمتَين تمضين معظم وقتك وأنت تمعنين في النظر فيها؟**

إن كنتِ ككثيراتٍ من النساء، فإنَّ بإمكانكِ أن تربطي ما بينك وبين عروسٍ شابَّةٍ سمعتُ عنها. إذ لم تكن حياتها ما كانت تصبو إليه أو تتوقَّعه. فإنَّها لمَّا تزوَّجَتِ الشخص الذي تحبُّه والذي كان يعمل في مجال البحريَّة، اعتقدَتْ أنَّ الحياة في بلادٍ أجنبيَّة والسفر حول الكرة الأرضيَّة سيكونان أمرًا

رومانسيًّا ومثيرًا. غير أنَّه وبعد انقضاء سنتَين كانت وحيدة وتشعر باستياءٍ عميق. كتبتْ رسالةً إلى أمِّها مليئةً بالتذمُّر والشكوى. لم يكن لديها أصدقاء، ولم يكن بإمكانها أن تتحدَّث لغة البلد، وتصوَّرت أنَّ الأمر لا يستحقُّ الجهد الذي ستبذله لتعلُّمها طالما أنَّ احتمال انتقالهم من بلدٍ إلى آخر قائمٌ في أيَّة لحظة. والأسوأ من هذا كلِّه أنَّ زوجها لم يكن يحضر إلى البيت قطّ. فآلت إلى قرارٍ يقول: "لم أعد أستطيع التحمُّل بعدُ، سأعود إلى الوطن".

أرسلت لها والدتها الفَطِنة بواسطة الفاكس جوابًا يتألَّف من سطرين.

نظرَتِ امرأتان من خلال قضبان السجن

إحداهما رأَتِ الوحل، والأخرى رَأتِ النجوم.[١]

إنَّ هذه المرأة العاقلة كانت تُخبر ابنتها بسرِّ القناعة والرضا. لدى كلٍّ منَّا خِيارًا يتعلَّق بنظرتنا إلى الحياة: إمَّا التركيز على الوحل أو رفع أعيننا ورؤية النجوم. إنَّ لكلِّ امرأةٍ ظروفًا تبدو وكأنَّها قضبان سجن. يريد الله منكِ ومنِّي أن نكون قانعتَين بظروفنا الآن لا عندما تصير أفضل.

كيف يمكن تحقيق ذلك؟

دورُنا

ناقشنا في الفصل السابق تصريح بولس المدهش، "فإنِّي قد تعلـَّمت أن أكون مكتفيًا بما أنا فيهِ". ثُمَّ يتابع ليصف دورَين في عمليَّة القناعة والاكتفاء: الدور الذي يخصُّنا والدور الخاصُّ بالله. أوَّلاً، الدور الخاصُّ بنا: "لا تهتمُّوا بشيء بل في كلِّ شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلَم طلباتكم لدى الله" (فيلبِّي ٤:٦).

تقترح إحدى ترجمات الكتاب المقدَّس الحديثة هذا المعنى: "لا تقلقوا لأجل أيِّ شيء؛ بل صلُّوا من أجل كلِّ شيء؛ واطلبوا من الله ما تحتاجون إليه ولا تنسَوا أن تقدِّموا إليه الشكر على إجابة طلباتكم". إنَّ حضَّ بولس لنا على ألاَّ نقلق أو نضطرب يعني أنَّ اضطرابنا أو قلقنا ينبغي أن يُستخدَم كمنصَّة انطلاق للصلاة بشكلٍ صحيحٍ ومحدَّد. إنَّ الدور الخاصَّ بنا في عمليَّة تعلُّم القناعة هو خِيارٌ يقرِّره القلب- خِيارُ الصلاة عوضًا عنِ القلق والاضطراب.

لقد أوصانا بولس ألاَّ نهتمَّ للقلق وأن نوجِّه اهتمامنا كلَّه إلى الصلاة. وممَّا يبعث على الأسى أنَّ الكثيرين يعكسون الأمر ويقلَقون لكلِّ أمر ويلجأون إلى الصلاة فقط كملاذٍ أخير! أن نقلق، ونغتاظَ، ونصابَ بحرقة المعدة، وأن يجافيَنا النوم، ونصيحَ بوجه أزواجنا أو أصدقائنا أو أولادنا أو رفيقات السكن لهو أسهل علينا جدًّا من أن نصلِّي. لقد قَلَبنا وصفة الكتاب المقدَّس، لا بالإيمان بل بالممارسة.

إنَّ علينا أن نصلِّيَ ليس فقط بصورة محدَّدة، بل أن نُرفق صلاتنا بالشكر أيضًا. إنَّ هذا أصعب بكثير! عندما أشعر بالقلق لإصابتي بمرض السرطان، أو بسبب لا مبالاة ولدي بالمدرسة ورسوبه في مادَّة الهندسة، أو لأنَّ صديقتي قد آذتني، أو لأنَّ المشاكل قد تراكمت من فوقي، فإنَّه من الصعب، بل من الصعب جدًّا أن أكون شاكرة.

يساعدني مزمور ١١٦:١٧ على فهم ما معنى الصلاة مع تقديم الشكر: "فَلَكَ أذبح ذبيحة حمدٍ وباسم الربِّ أدعو". يروقني هذا التذكير، لأنَّ تقديم الشكر عندما يكون عالمي قد دخل في نفقٍ مظلم، يُعدُّ قطعًا تضحيَّةً كبيرة. حين وقعَتِ ابنة أخي/أختي الصغيرة، إنجي، من نافذة الطابَق الثاني وأصيبتْ بثلاثة كسورٍ في الجمجمة، كان فعل الصلاة يعدُّ تقديم تضحيَّةٍ

كبيرة. "يا ربّ، أنت تعرف حجم القلق الذي يجثم فوق صدري. لا يمكنني أن أتحمَّل أن أكون بعيدةً إلى هذا الحدِّ في حين تعاني أسرتي كلَّ هذا الألم. مع أنَّني أتألَّم كثيراً في أعماقي، فإنَّني اخترتُ ألاَّ أضطرب، وها إنَّني أرفع الصغيرة إنجي إليك يا إلهي. ومع أنَّه من الصعب العثور على أمرٍ إيجابيٍّ أو جيِّدٍ في وضع كهذا، فإنَّني أشكرك أيُّها الآب المحبُّ على محبَّتك لها، ولأنَّها ملكٌ لك. شكرًا لك لأنَّك أبقيتَ على حياتها. شكرًا لك لحصولها على هذه العناية الطبِّيَّة الكبيرة. إنَّني أضع ثقتي فيك لتكون المسيطر المبارك على هذا الظرف المخيف".

عندما تواجهنا ظروفٌ سلبيَّة، يكون لدينا أحد خِيارَين: إمَّا أن نصلِّيَ بخصوص المشكلة وإمَّا أن نقلق بشأنها؟

دورُ اللّه

نرى في رسالة فيلبِّي ٤:٧ الدور الخاصَّ بالله في عمليَّة القناعة: "وسلام الله الذي يفوق كلَّ عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع". يقترح أحد تفاسير الكتاب المقدَّس أنَّ حرف "**و**" في بداية الآية يعني "إن فعلتم هذا". أن نفعل ماذا؟ إنِ اخترنا الصلاة عوضًا عنِ القلق والانزعاج، فلسوف نختبر شخصيًّا سلام الله. يا له من وعد! إنَّنا جميعًا بحاجةٍ إلى السلام في عالمٍ تسوده الفوضى، والمشاكل، والأحزان، والقلق.

تقدِّم هذه الآية أيضًا إجابةً عن تساؤلنا بشأن عدم اختبارنا السلام. إذا ما شعرنا بالخوف والاضطراب بدلاً من الشعور بالقناعة والرضا، فإنَّ علينا أن نسأل أنفسنا إنْ كُنَّا قد قمنا بالدور الخاصِّ بنا. تذكَّري أنَّ الله يقول إنَّ سلامه يأتي تبعًا لخِياراتنا.

إنَّ ترجمتي المفضَّلة لهذه الآية هي "وسلام الله الذي يتجاوز قِوى تفكيرنا كلَّها، سيكون حاميةً تحرس قلوبكم وعقولكم في المسيح يسوع". إنِّي أتصوَّر الله وهو يحيط بي حاميةً من الملائكة الموكَّلين بمهمَّة مساعدة وَهْنِ وحرمان قلبي وعقلي. حين تتكاثر في قلبي الهموم، أصبح مهووسة تمامًا بـ "**ماذا لو...**". ويتمايل قلبي، مهد مشاعري، بصورةٍ هوجاء جيئةً وذهابًا. إنَّ سلام الله هو الوصفة الملائمة التي يحتاج إليها قلبي وعقلي اللذان أرهقتهما الهموم.

ما الذي نكون قد فعلناه إذا قرَّرنا تسليم قلقنا لله وقمنا باسترجاعه بعد عشر دقائق؟ إنَّني أتذكَّر نفسي وأنا أفكِّر مستلقيةً على سريري في ليالٍ عديدةٍ خلال إحدى السنواتِ الصاخبة في مراهقةِ ابنتي، **هلِ اتَّخذتُ القرار الصحيح؟ كيف أمنع هذا الطفلة من الاتِّجاه نحو درب الحماقة؟** ومع أنَّني كنتُ أصلِّي مردِّدةً ما جاء في فيلبِّي ٤:٦-٩، فإنَّني كنتُ أجدُ أنَّ القلق سرعان ما كان يعاودني، كما لو أنَّ صيغة القلق قد سيطرتْ على عقلي.

كنتُ أصلِّي قائلةً: "ياربّ، ها أنا أعود إليك ثانيةً، لقد كنتُ هنا منذ عشر دقائق خلتْ، غير أنَّ شيئًا لم يتغيَّر: لا يزال القلق يستولي عليَّ بدلاً من الحصول على سلامك". ومرَّةً أخرى كنتُ أصلِّي بواسطة الدور الخاصِّ بي والدور الخاصِّ بالله في فيلبِّي ٤. لكنَّ القلقَ ظلَّ يعاودني. في تلك المرحلة، كنتُ أجلس منتصبةً في فراشي، وأُرغم جسدي على الخروج من تحت الأغطيَّة الدافئة، من ثَمَّ أتوجَّه إلى طاولة مكتبي. وكنتُ أُمسك بالقلم والورقة في يدي وأضع قائمةً بجميع الأُمور الإيجابيَّة التي حقَّقها الربُّ في حياة ابنتي المراهقة في السنة الفائتة. ومن ثَمَّ كنتُ أستخدم تلك القائمة في صلاتي وأشكره لأنَّه كان يعمل ولا يزال يعمل في حياتها. وكنتُ أُطفئ النور وأعود إلى لحافي الدافئ والمريح، لأستغرقَ هذه المرَّة في نومٍ هادئ.

ففي هذه افتكروا

يعود بولس إلى الدور الخاصّ بنا في الآية ٨: ”أخيرًا أيُّها الإخوة كلُّ ما هو حقٌّ، كلُّ ما هو جليلٌ، كلُّ ما هو عادلٌ، كلُّ ما هو طاهرٌ، كلُّ ما هو مسرٌّ، كلُّ ما صيته حسنٌ، إنْ كانت فضيلةٌ وإنْ كان مدحٌ، ففي هذه افتكروا“ (فيلبِّي ٤:٨).

إذا كان عليَّ أن أختار الآيات المفضَّلة لديَّ في الكتاب المقدَّس، فإنَّ فيلبِّي ٤:٨ ستكون قطعًا من ضمن العشر الأوائل على قائمتي. إنَّ عباراتِ الحكمة هذه موضوعةٌ في إطارٍ ومعلَّقةٌ في غرفة جلوسي حيث تذكِّرني مرَّةً بعد أخرى وفي أوقاتٍ كثيرةٍ كلَّ يوم أنْ أُمعن في التفكير في الأمور الإيجابيَّة بدلاً من تلك السلبيَّة. ومع أنَّه من الصعب أن نتحكَّم في عقولنا وأفكارنا، فإنَّ هذا هو ما طلب الله منَّا أن نفعله.

يقول سفر الأمثال ٢٣:٧: ”لأنَّه كما شعر في نفسه هكذا هو“. يفسِّر الكاتب والفيلسوف رالف والدو إمرسون القول على هذا النحو: ”احترسوا ممَّا تفكِّرون فيه؛ لأنَّ هذا ما ستصيرونَه“. كم تبكِّتني هذه الكلمات! إنَّنا نصير ما نفكِّر فيه. إنَّ أفكارَنا- لا ظروفُنا- هي التي تحدِّد ما إذا كُنَّا قانعين أم لا. إنَّ أفكارَنا- لا أصدقاؤنا، أو أزواجنا، أو أولادنا، أو عملنا، أو أيُّ أمرٍ آخر- تحدِّد شعورنا بالقناعة والرضا!

يوصينا الكتاب المقدَّس أن نركِّز أذهاننا على الأمور الإيجابيَّة وأن نستأسر كلَّ فكرٍ (٢ كورنثوس ١٠:٥). ترى صديقتي لورين أنَّ أفكارها تُستأسَر بهذه الطريقة، فتقول: ”تشبه أفكاري السلبيَّة أطفالاً صغارًا نافدي الصبر يقفزون هنا وهناك ويصيحون قائلين: انظروا إلينا، انظروا إلينا. فأقوم أنا ويسوع بأخذ أفكار الأطفال السلبيَّة ونرسلها إلى كرسيِ العقوبة بحيث نستطيع أن نركِّز على الأفكار الصالحة. وهي لا تطيعنا في بعض الأحيان؛ بل تغادر

الكرسي وتبدأ بالصراخ ثانيةً جذبًا للانتباه. وعندها أُعيدُ أنا ويسوع هذه الأفكار ثانيَةً إلى مقعد العقوبة، غير أنَّنا نقيِّدها إلى الكرسي هذه المرَّة!"

يجب علينا أن نتحكَّم بعقولنا وأفكارنا. لقد أوصانا الكتاب المقدَّس بالقول: "تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" (رومية ١٢:٢). إنَّنا نجدِّد أذهاننا حين نأسر الأفكار السلبيَّة و نمعن في التفكير في الإيجابيَّة.

الممارسة تؤول إلى الأداء المثاليّ

في الآية ٩، يمزج بولس ما بين الدور الخاصِّ بنا والدور الخاصِّ بالله. "وما تعلَّمتموه وتسلَّمتموه وسمعتموه ورأيتموه فيَّ فهذا افعلوا وإله السلام يكون معكم" (فيلبِّي٤: ٩).

ما الذي يخطر في بالكِ حين تسمعين عبارة **ممارسة**؟ يخطر في بالي ممارسة العزف على البيانو وحفظ جداول الضرب في مرحلة الطفولة، وتعلُّم اللغة الألمانيَّة بالنسبة إلى البالغين. حين نمارس، نقوم بفعل أمرٍ ما مرارًا وتكرارًا. إنَّ الممارسةَ ليست بالأمر الممتع. إنَّها تبعث على الملل، وهي عملٌ يتطلَّب جهدًا كبيرًا. غير أنَّ بولس وجَّهنا إلى ممارسة "هذه الأشياء". أيُّ أشياء؟

- اختيار تسليم اضطرابنا إلى الله
- اختيار الصلاة بصورة محدَّدة
- اختيار أن نكون شاكرين
- اختيار الإمعان في التفكير في الأمور الإيجابيَّة

علينا أن نمارس الصلاة كبديلٍ عنِ القلق، استبدال بما هو سلبيٌّ ما هو إيجابيّ- وإله السلام سيكون معنا! للمرَّة الثانية في هذه الفِقرة، نرى أنَّ سلام الله يعقب اختيار الطاعة. كانت هذه عمليَّة بولس، الدرب الذي

سار عليه ليتعلَّم كيف يكون قانعًا مكتفيًا. لقد أسعدني الحظُّ بمعرفة بعض النسوة اللواتي سِرْنَ على هذا الدرب. ومع بولس يمكنهنَّ القول: "فإنِّي قد تعلَّـمتُ أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه".

اختيار النظر إلى النجوم

التقيتُ بكريستينا في رومانيا عندما كانت تترجم لي في مؤتمرٍ حول الزواج. كانت كريستينا، الشابَّة المفعمة بالحيويَّة؛ والتي سلَّمت نفسها للمسيح، مليئةً بأحلام المستقبل. وكانت آنذاك تدرس لاجتياز امتحان دخول الجامعة.

كانَتِ الديكتاتوريَّةُ الشيوعيَّةُ، كالأحداث المرعِبة التي جرت في رومانيا عام ١٩٨١، متخصِّصةً في تحطيم الأحلام بجَعْل الإنسان لا يفكِّر إلاَّ في البقاء على قيْد الحياة. كان الطعام قليلاً وغير كافٍ، والتدفئة متقطِّعة (إن كانت هناك تدفئة أصلاً). وبين كلِّ حينٍ وآخر يتوفَّر الماء الساخن، ولبضع ساعات في اليوم تحصل المنازل على الغاز للطبخ. فقد كانت معجزة، في حالٍ كهذه، أن يكون لدى أيِّ شخصٍ حلمٌ ما! غير أنَّه ما دامت هناك جامعاتٌ تفتح أبوابها، فإنَّ كريستينا قد جعلَتِ الانتساب إليها هدفَ حياتها.

رسبَتْ في امتحان الدخول، لكن لم يكن السبب نيلها درجة متدنِّية. لقد مُنعتْ من الدراسة الجامعيَّة لأنَّ والدها كان قائدًا مسيحيًّا. يا له من ظلم! ويا له من أمرٍ جائر! مع أنَّ كثيرات كنَّ ليتَّخذن موقفًا سلبيًّا في مثل هذه الحال، فإنَّ كريستينا لم تفعل ذلك. لقدِ اختارَتِ التفكير والاهتمام بالنواحي الإيجابيَّة.

خاطبتني قائلة: "ليندا، لا يمكنني الالتحاق بالجامعة، ولكنَّني أستطيع أن أدرس اللغة الإنكليزيَّة وأن أحسِّن معرفتي بها. وعندها سأكون مترجمةً

أكثر مهارة حين تزورين رومانيا في المرَّة المقبلة". يا لهذه النفس الكريمة التي كانت تمتلكها! وليس لمرَّةٍ واحدة: إذ صلَّت كريستينا، وخطَّطت، وثابرت على دراسة امتحان القبول لمدَّة سبعة أعوام. ولأعوامٍ سبعة ظلَّت تُرفض. وسبع مرَّاتٍ اختارت أن تثق بأنَّ الله يعرف ما كان يفعله. نعم، مرَت كريستينا بأيَّامٍ ساورها فيها الشكّ- أيَّامٍ ترغب فيها في الشعور بالأسف على نفسها. إذ ليس من السهل أبدًا اختيار الإنسان أن يكون قنوعًا وراضيًا في وسط ظروفٍ تَعسة. وبالرُّغم من ذلك، اختارت سبع مرَّاتٍ أن تُمعن في التفكير بما هو إيجابيّ.

إنَّ لدى الولايات المتَّحدة حصَّتها من النسوة اللواتي قد تعلَّمنَ أن يكنَّ قانعات راضيات. تعاني صديقتي تامي من مرضٍ تنكُّسيٍّ عُضال يحرمها من الأمومة وهو سيقضي لا محال عليها في النهاية. إنَّها تتناول ثلاثين حبَّة دواء في اليوم لتسكين الألم. كنتُ موجودةً في مدينة تامي أُحاضِر حول موضوع القناعة والرضا. غادرت تامي سريرها وأتت لتحضُرَ الاجتماع. حين سألتُ النسوةَ الحاضرات أن يكتبنَ قائمتَين تمثِّل إحداهنَّ الأمور الإيجابيَّة في حياتهنَّ، والأخرى الأمور السلبيَّة، كنتُ قلِقةً بشأن تامي. كانت حياتها مليئة بالسلبيَّات. فأيّ إيجابيَّات ستسجِّل في قائمتها؟

عندما انتهيتُ من الكلام، تقدَّمت تامي إليَّ وقالت: "أوه يا ليندا، لقد كان قيامي بهذا التمرين مفيدًا جدًّا لي! إنَّ لديَّ في قائمة الإيجابيَّات عشرين أمرًا وأربعةً فقط في قائمة السلبيَّات!"

لم يسعني في مواجهة مثل هذه الاستجابة إلاَّ أن أصلِّيَ قائلةً: "سامحني يا إلهي. لو أنَّني عشتُ الحياة التي تعيشها تامي، فإنَّني أخشى أن تكون قائمتي معكوسة".

إنَّني ما زلتُ في مرحلة تعلُّم القناعة في كلِّ الظروف. لقدِ استخدم الله حياتي في هونغ كونغ بكلِّ رطوبتها، وحيواناتها المتسلِّقة، ومتسلِّليها، ليعلِّمني المزيد عنِ الاستسلام لسلامه.

إنَّنا جميعًا بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى القناعة، إلى حالةٍ من السلام الداخليِّ المنفصلِ عن ظروفنا. القناعة هي في النهاية تبديلٌ في الموقف أكثر من كونها تغييرًا في الظروف. لقد غيَّر بولس موقفه إذِ اختار أن يبدِّل بالقلق الصلاة المحدَّدة مع تقديم الشكر إلى الله. لقدِ اختار التفكير في الأمور الإيجابيَّة، بالرُّغم من أنَّ حياته كانت حافلةً بما هو سلبيّ. فاختبرَ إذ ذاك سلام الله كنتيجة.

كلُّنا نختبر ظروفًا سلبيَّة، والبعض منها يكون حتَّى مأساويًّا. إن كانت تلك هي ظروفكِ، فإنَّني أشاطركِ الحزن في الألم الذي تعانينه. لقد كانت صلاتي في أغلب الأحيان على هذا النحو: "لاتجعل ألمي يذهب هدرًا يا إلهي، بلِ استخدمه لتجعلني مشابِهةً لصورتك. استخدمه لتعلِّمني كيف أكون قانعةً راضية".

حين تطرأ ظروفٌ صعبةٌ على حياتي، أسمع صوت الله يقول: "ليندا، فلأَكُنِ المسيطر المبارك على حياتك، استسلمي، اقبلي توقيتي، وتقبَّلي طرقي. اقبلي ما آتيك به. فلْتكُن ثقتك فيَّ أنا وحدي". ويقول صوته أيضًا: "ليندا، اتَّخذي قراراتٍ تكرِمُني بينك وبين نفسك. ومع أنَّ أحدًا لن يطَّلع على هذه الخيارات أو يعرف كم هي صعبة، قومي بها من أجلي".

لقد اختارت كلٌّ من ألينا وكريستينا وتامي المكان الذي سينصبُّ اهتمامهنَّ عليه. أنتِ أيضًا لديك الخِيار. ماذا سيكون خيارك؟ هل سيكون وحلاً أم نجومًا؟

ساندا

أعدتُ رسم المخطَّط في ذهني:

أنزل من القطار و"أبدو كرومانيَّة".

أتوجُّه إلى كشك التذاكر وأضعُ ثلاثة لاي رومانيَّة على المنضدة الطويلة ثمن تذكرة ركوب الترام. (أصلِّي كي لا يطرح أحدٌ سؤالاً عليَّ)!

أستقلُّ الترام المتَّجه نحو اليسار- اليسار يا ليندا، تذكَّري اليسار.

أغادر القطار عند محطَّة التوقُّف الخامسة.

أسير نحو اليمين باتِّجاه المجمَّع السكنيِّ الثالث.

أصعد إلى الطابَق الثامن.

أقرع الباب رقم ٨ب.

أمكث في الشقَّة ٨ب مدَّةَ ثلاثة أيَّام بينما تحضر مجموعاتٌ صغيرةٌ من النساء ليتدرَّبنَ كي يصرْنَ معلماتٍ للنساء.

كلَّما تذكَّرتُ هذه الرحلة وكأنَّني أتذكَّر الرعب. لم يسبق لي قطُّ أن كنتُ في هذه المدينة. ماذا لو لم أتمكَّن من الحصول على التذاكر؟ ماذا لو أضعتُ طريقي؟ (كانت لغتي الرومانيَّة تتألف من كلمات شكرًا، من فضلك، خبز، ماء، إلى اللقاء). ومع أنَّه كانت لي خبرتي في السفر في البلاد الشيوعيَّة، فإنَّني كنتُ أسافر عادةً برفقة شخصٍ ما. غير أنَّني كنتُ هذه المرَّة وحدي.

سار المخطَّط كالساعة إلى أن بدأتُ الصعود إلى الشقة ٨ب. كان الظلام قد خيَّم في الخارج، وغرق الدرج ومُسطَّحة الدرج في ظلام دامس. تقدَّمتُ ببطءٍ صاعدةً الدرجات وأنا أعدُّ الطوابق. يا لها من راحةٍ شعرتُ بها عند وصولي إلى مُسطَّح درج الطابق الثامن! ولم يكن ثمَّةَ ضوء. أيُّ بابٍ من الأبواب كان ٨ب؟ إنْ قرعتُ الباب الخطأ، قد تعاني مضيفتي ساندا من المضايقات، إذ كان محظورًا على الرومانيِّين الاختلاط بالغربيِّين. وواضحٌ أنَّ أحدًا لن يحسبني رومانيَّة بالكلمات الخمس التي أحفظها. تقدَّمتُ نحو الباب ببطءٍ وأنا أتلمَّس الجدار، صلَّيتُ وقرعتُ الباب، وبدا أمامي وجه ساندا العزيز. ففرحتُ جدًّا.

توافدَتِ النساء ليلاً ونهارًا على هذه الشقَّة كي يتدرَّبنَ على كيفيَّة قيادتهنَّ لدرس الكتاب المقدَّس. إنَّ ما كان مثيرًا للذهول بالنسبة إلى هذا الأمر هو أنَّ كنيسة ساندا كانت تحثُّ النساء على الاعتقاد أنَّ خدمتهن الوحيدة تنحصر في الصلاة لأجل أزواجهنَّ وإنجاب الأطفال. في الواقع، تُعلِّم كنيستها أنَّ خلاص المرأة يأتي من طريق الحمل والإنجاب! (وهذا أمرٌ مؤسَّسٌ على التفسير الخاطئ لِما جاء في ١ تيموثاوس ٢:١٥). غير أنَّ تلك النسوة كُنَّ توَّاقات إلى تعليم أُخرياتٍ الكتاب المقدَّس.

ويومًا بعد يوم، كانت ساندا تصغي بإمعان. وبالكاد كانت تتكلَّم، وكان التوتُّر الناشئ عن وجودها ضمن مجموعةٍ يبدو جليًّا على ملامح وجهها المُرهَق. لم أستطع مَنْع نفسي من التساؤل كيف تمكَّنَتْ من قيادة درس الكتاب المقدَّس. وبالتدريج عاد الضوء وقالت: "إنَّني أرى ذلك الآن. إنَّني أريد أن أُخرِج إلى النور أولادًا روحانيِّين!"

يا له من فرحٍ رؤيَة امرأة مجهَدة ومستعدَّة لأن تقول: "يا إلهي، إنَّني لا أعرف مواهبي الروحيَّة. سأحاول أن أُعلِّم، رغم أنَّ هذا يخيفني. سأُبدي الرحمة وحسن الضيافة. أظهر لي يا إلهي كيف أستخدم ما لديَّ لأمجِّدك".

بالرُّغم من أنَّها كانت ترتعد خوفًا، فإنَّ ساندا بدأت بالفعل بقيادة مجموعاتٍ في كنيستها. وبعد سقوط الشيوعيَّة، صارت معلِّمةً تتنقَّل بين الكنائس في جميع أرجاء رومانيا، وخبيرةً في خدمة النساء في الطائفة التي تنتمي إليها! وعندما استضافت طائفتها مؤتمرًا للنساء، كانت ساندا الخجولة إحدى المتكلِّمات الرئيسيَّات قدَّام ألف امرأة.

الفصل ٣

قانعة بما أنا عليه

اكتسى صوتُ ابنتي برقَّةٍ جديدة لم أعهدها فيها من قبل. "ماما، إنَّني حامل! سوف تصبحين جدَّة!" وإذ ذاك، رحلتْ أفكاري مباشرةً إلى جدَّتي ووالدتي- جدَّة ابنتي. والآن سأصبح جدَّة أيضًا. لقد كنتُ على وشك دخول فصلٍ جديدٍ من حياتي، إنَّه فرحٌ جديدٌ- طفلٌ جديد!

حاولتُ النوم في تلك الليلة، غير أنَّ أفكاري ظلَّت تعود بي إلى هذه الحياة الجديدة التي يكوِّنها الله. فتحتُ الكتاب المقدَّس عند مزمور ١٣٩ وردَّدتُ آياته بصياغةٍ جديدةٍ في صلاتي لأجل حفيدتي العزيزة التي لم تولد بعد:

> إنَّني أسبِّحك يا إلهي، يا مَن عرفتَ عن كثبٍ كلَّ طرقها. إنَّني أقدِّم لك الشكر والحمد لأنَّك تسير أمامها وتتبعها، وتضع يدك على رأسها وتباركها. إنَّ معرفة هذا تغمرني بالعرفان. شكرًا لك يا إلهي.
>
> أنت الآن أيُّها الحائك الأعظم تقوم بتشكيل شخصيَّتها وبُنيتها العاطفيَّة، وتنسجهما معًا في أحشاء ابنتي. عجيبةٌ هي أعمالك يا الله.
>
> إنَّك عالمٌ بكلِّ أمور حفيدتي. تنسج جسدها

وروحها ونفسهـا ليصيروا واحدًا. وكما يُبـدِع الصانع
الماهـر غرزات المطرزات المتقنة والمعقَّـدة، كذلك
تراقب أنت كلَّ تفصيلٍ في تصميمـها الجميل.
كتبتَ كلَّ أيَّام حياتها على الأرض. وأنت تعـدُّ الآن
قسمتها وكأسها.
عظيمٌ أنت يا إلهي! إليك أقدِّم الشكر والحمد!
لقد خلقتَ ما ستكون تلك الطفلة عليه، وأيضًا ما
ستقوم به. خلقتهـا كي تحقِّق خُطَّةً فريدةً وُضِعت
خصِّيصًا لها. حقًّا إنَّك صنعتَ حفيدتي فامتازَت عجبًا.
إنَّني أسبِّحك يا إلهي لأجل روعة ما صَنعْت.

أليس إدراك أنَّ الله قد عرف كلًّا منَّا قبل أن يخلقه أمرًا يدعو إلى الاطمئنان والراحة؟ لقد خطَّط كيف سيكون مظهر كلٍّ منَّا، ومَن سيكون أهلنا، وإذا ما تزوَّجنا فممَّن سنتزوَّج، وكم من الأطفالِ سنُرزَق. قبل أن يكون بإمكاننا أن نعرف الله، اهتمَّ الله بنا جميعًا. وخبَّأ كلَّ واحدٍ منَّا وكأنَّه كنزٌ إلى أن أخرجنا إلى الوجود. يقول الله إنَّه بروعةٍ وهيبةٍ صمَّم كلَّ فردٍ منَّا.

قد تفكِّرين في نفسك: "**ليندا، لقد قرأتُ المزمور ١٣٩، وأنا أعرف مايقوله**". إن كان الأمر كذلك، فإنَّني أودُّ أن أسألك صنيعًا لأجلي. هلَّا تظاهرتِ بأنَّه لم يسبق لك قراءته قطُّ من قبل؟ افتحي كتابك المقدَّس عند هذا المزمور العظيم، واسألي الله أن يمنحك عينَين جديدتَين لترَي، وأذنَين لتسمعي، وقلبًا لتفهمي ما يقوله لك.

خلق اللّه شخصيَّتك

فلنلقِ نظرةً عن كثب على هذا المزمور العظيم. يبدأ المزمور بهذه الكلمات، "ياربُّ قدِ اختبرتني وعرفتني" (الآية ١). بكلماتٍ أخرى، إنَّ كلَّ جانبٍ من جوانب حياة داود قد اختُبِر وضُبِط بما يعلمه الله عنه. كان الله على معرفةٍ وثيقة بكلِّ طرق داود (الآية ٣)، حتَّى قبل أن يخلقَه. إنَّه لَأمرٌ مذهل! قال داود إنَّ معرفة الله به كانت كاملةً كما لو كان يبحث في كلِّ تفصيلٍ من تفاصيل حياته. عرف الله أفعال داود، ولكنَّ ما يثير الدهشة أكثر الكلِّ أنَّه كان يعرف أفكاره.[1]

إنَّ الله يعرف الأمور نفسها عنكِ. من الصعب استيعاب هذا، أليس كذلك؟ إنَّ خالق الكون القادرَ على كلِّ شيء اهتمَّ بصميم تكوينِك وطبيعتكِ قبل أن تعرف أمُّك بوجودك.

يتابع كاتب المزامير تقديم أمثلةٍ عن مدى معرفة الله الوثيقة به: "لأنَّك أنت اقتنيتَ كليتَيَّ، نسجتني في بطن أمِّي" (الآية ١٣). تشير عبارة "كليتَيَّ" في اللغة العبريَّة إلى مركز التوق والرغبات- إلى الشخصيَّة. حتَّى قبل أن يولد داود، شكَّل الله شخصيَّته. وبالمثل، عندما كان الله يشكِّلكِ، لم يخلق جسدكِ فحسب؛ بل خلق أيضًا بنية مشاعرك- شخصيَّتك.

طغت هذه الحقائق على مشاعر داود حتَّى إنَّها حملته على أن يسبِّح الله قائلًا: "أحمدك من أجل أنِّي قدِ امتزتُ عجبًا. عجيبةٌ هي أعمالك ونفسي تعرف ذلك يقينًا" (الآية ١٤).

هل قمتِ يومًا بتقديم الشكر إلى خالقكِ لأجل إشرافه المحبِّ على عمليَّة تكوينكِ؟ أقدَّمتِ إليه الحمد لأجل تكوين شخصيَّتكِ؟ أَيمكنكِ أن

تردِّدي مع داود قائلةً: "أحمدك من أجل أنِّي قدِ امتزتُ عجبًا؟" أيمكنكِ أن ترَي نفسك في الوصف التالي؟

لم تشكر كارول الله من أجل شخصيَّتها. فهي تشعر في الواقع أنَّه أخطأ حين خلقها. لماذا؟ لأنَّ كارول إنسانةٌ منطوية وسيِّدة "خلف الكواليس". وهي تعي خجلها وتبتعد عنِ الحفلات والمجموعات قدر الإمكان. حتَّى إنَّها تفوِّت الذهاب إلى الكنيسة في أغلب الأحيان لأنَّها تكره الجزء الذي يطلب فيه القسُّ من أفراد الرعيَّة أن يختلطوا ويتعارفوا ببعضهم. تتوق كارول إلى أن تكون كصديقتها سالي في مرحها وحيويَّتها. فسالي تكون دائمًا مستريحةً على سجيَّتها في تعاملها مع المناسبات الاجتماعيَّة.

ولأنَّ كارول تقارن شخصيَّتها باستمرار بأمثال شخصيَّة سالي في هذا العالم، فقدْ فَقدَت جمالها الشخصيّ. وليست لديها أدنى فكرةٍ عن سبب خَلْق الله لها؛ وهي لم تفكِّر حتَّى أن تسأله. إنَّها منشغلةٌ جدًّا بالتركيز على ما لا تحوزه بدلًا من التركيز على ما منحها الله إيَّاه.

أَأنتِ مثل سالي أم كارول؟ لماذا لا تتوقَّفي الآن على الفور وتشكري الله على خَلْق شخصيَّتك المتميِّزة؟

خَلقَ اللّه جسدَك

بحسب ما جاء في مزمور ١٣٩، لم يخلقِ الله شخصيَّتك فحسب؛ بل إنَّه وهبك جسدك أيضًا. تقول الآية ١٥: "لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنِعتُ في الخفاء ورُقِمت في أعماق الأرض".

تعني العبارة التي ترجمتها "**رُقِمتُ**" بالعبريَّة "طُرِّزتُ، أو زُخْرِفْتُ". وهي الكلمة العبريَّة نفسها التي استُخدِمَت للإشارة إلى التطريز الفنيِّ والمتقَن لستائر

خيمة الاجتماع في العهد القديم. لمَّا شكَّلكِ الله في أحشاء أمِّك (التي أشير إليها في المزمور في جملة "أعماق الأرض")، فإنَّه قد زخرفكِ بإتقانٍ كبير. وبالرُّغم من أنَّ أحدًا لم يكن بإمكانه أن يراكِ، فقد رأى الله كلَّ تفصيلٍ من تفاصيل تكوين جسدكِ. وكما يقوم الحائك بنَسْج خيوط الألوان المتشابكة مع بعضها ليُبدعَ تصميمًا جميلًا، فكذلك يحيك الله عروقك وعضلاتك وأعصابك، وكلَّ ثنية ونُقرةٍ تتفرَّدين بهنَّ. فأيُّ نسيجٍ مطرَّزٍ يمكن أن يعادل النسيج الإنسانيّ؟

قد تعتقدين أنَّ نسيج الإنـاث الأُخريات جميل، أمَّا نسيجك فلا تعتقدينه كذلك، فتقولين: "إنَّني لا أحبُّ أنفي، ولا وركَيَّ، ولا ثديَيَّ. في الواقع، لا يعجبني كثيرًا أيُّ شيءٍ فيَّ". بإمكاننا جميعًا أن نضع قائمةً بالأمور التي كُنَّا نودُّ لو نغيِّرها فينا. غير أنَّه إنْ كُنَّا غير راضين عن تكويننا الجسديّ، فإنَّنا في الحقيقة نحاجج الله. إذ إنَّ الله هو المسؤول عن لون شعرنا وحجم أنوفنا وعمَّا إذا كانت لدينا تراكمات دهنيَّة في أجسادنا.

لا يُدهشني الصراع الذي تخوضه نساءٌ عديدات بشأن مظهرنَّ الشخصيّ. إنَّ قيَمَ ثقافتنا الأميركيَّة قد أصابها التشوُّه والفساد. فنحن نتعرَّض باستمرارٍ لوابلٍ من الضغوط التي تمارسها وسائل الإعلام والتي تدعو إلى الحصول على الجسد "المثاليّ". إنَّ هذا التشديد أمرٌ خاطئ ولا يتَّفق مع تعاليم الكتاب المقدَّس. ومع أنَّنا نساءٌ مسيحيَّات؛ ونعرف أنَّ هذا المنظور مشوَّه، فإنَّنا قد نقع بسهولة في شَرَك هذا الداء القاتل الذي يُدعى المقارنة.

يعتقد زوجي جُدي أنَّ النساء ينظرنَ إلى غيرهنَّ من النساء أكثر ممَّا ينظر الرجال إلى النساء. قد يبدو هذا غريبًا، غير أنَّني أعتقد بأنَّه محقٌّ في ذلك. نحن معشرَ النساء نتفحَّص وندقِّق ونقارن، لنرى كيف نظهر بشكلٍ يتناسب بالمقارنة مع عارضة الأزياء العالميَّة في ثوب السباحة الضيِّق الذي

يكشف جسدها. لم يكن مظهري في يومٍ من الأيَّام جيِّدًا جدًّا. يقول لنا الكتاب المقدَّس إنَّه حين نقارن أنفسنا بالآخرين فإنَّنا نفتقد إلى الفهم. يقول أحد تفاسير الكتاب المقدَّس الحديثة إنَّنا "حمقى" (٢كورنثوس ١٠:١٢).

منذ سنين خلت، قرأتُ مقالةً بقلم القس جيمس هفستيتلر يضع فيه لعبة المقارنة في منظورها الصحيح. وإليكِ ما جاء فيها:

> إنَّك لن تستمتع حقًّا بصحبة الآخرين، ولن تحظى أبدًا بعواطف مستقرَّة، ولن تعيش أبدًا حياة قناعةٍ ورِعة، ولن تتغلَّب أبدًا على الغَيرة أو تحبَّ الآخرين كما ينبغي لك أن تفعل ما لم تشكرِ الله لأنَّه خلقك على هذا النحو.[٢]

يريد الله من كلٍّ منَّا أن تقدِّم إليه التسبيح والحمد على خلقه إيَّانا بمهارةٍ وروعة.

كتب جورج ماكدونالد، وهو الرجل الذي دعاهُ سي. أس. لويس المُشير المُخلِص، قائلًا:

> إنَّني لأفضِّل أن أكون ما اختار الله أن يجعلني على أن أكون أكثر المخلوقات التي يمكن أن أتخيَّلها عظمةً؛ لأنَّ تفكير الله بي، وولادتي في فكر الله، ثُمَّ خلق الله إيَّاي، هو الشيء الأعظم والأكثر قيمةً وقدرًا بعد كلِّ اعتبار.[٣]

إنَّ هذه صلاة قناعةٍ ورضا.

خَلْقُ اللّه هدفَ حياتكِ

هناك حقيقةٌ نهائيَّةٌ واحدة تتعلَّق بذاتنا يمكن أن نتعلَّمها من هذا المزمور: إنَّ لدى الله خطَّةً - أي هدفًا - لكلِّ حياة: "رأتْ عيناك أعضائي وفي سفرك كلُّها كُتِبَت يوم تصوَّرتْ إذ لم يكن واحدٌ منها" (مزمور ١٣٩:١٦).

وفقًا لآراء اللاهوتيِّين، تحمل هذه الآية معنيَين محتملَين. المعنى الأوَّل يقول إنَّ الله قد عيَّن عدد الأيَّام التي كان داود سيعيشها. وتوحي أسفارٌ أخرى في الكتاب المقدَّس بهذا التفسير أيضًا. إذ قال أيُّوب: "إن كانت أيَّامه محدودة وعدد أشهره عندك وقد عيَّنتَ أجله فلا يتجاوزه" (أيُّوب ١٤:٥). يقول المعنى المحتمل الثاني: إنَّ جميع الخبرات التي مرَّ بها داود في حياته، يومًا بيوم، مكتوبةٌ في سفر الله حتَّى قبل ولادته. بكلماتٍ أخرى، كانت لدى الله خُطَّةٌ لحياة داود. يبدو هذا التفسير منطقيًّا أكثر ، إذا ما أخذنا في حِسباننا سياق الآية.

كيف يُطبَّق هذا علينا؟ إنَّه يعني أنَّ القادر على كلِّ شيء، خالقَ الكون، قد أعدَّ لنا هدفًا لنسلك فيه. عندما خلقكِ الله فعل هذا لغايَّة محدَّدة إذ كانت لديه خُطَّةٌ لأجلك كي تنفِّذيها. كم أنتِ فريدةٌ ومحبوبة! إنَّ كلَّ قدراتك- وكلَّ إعاقاتك- قد خُلِقت لتتلاءم مع خُطَّة الله التي وضعها لأجلك. ما من أحدٍ سواك يمكنه أن يحقِّق هدفك. إنَّ الخُطَّة الموضوعة لأجلكِ ولأجلي تتضمَّن أكثر بكثير من الأحداث والظروف التي تطرأ في حياتنا. وهي تتضمَّن كذلك ما يريد الله منَّا أن نكون وأن نفعل، وما يرغب في أن يعمل فينا ومن خلالنا.[٤]

في كتاب بعنوان "**الثقة بالله رغم الألم**" (*Trusting God Even When It Hurts*)، يقول **جيري بريدجز (Jerry Bridges)** إنَّ الآيات ١٣-١٦ من مزمور ١٣٩ ينبغي أن تُقرأ كوحدةٍ واحدة.

> خلق الله أعماق كياننا وشكّلنا في رَحِم أمّهاتنا لنكون مجهّزين لتحقيق الخُطّة التي رسمها لأجلنا حتّى قبل أن نولد. إنّ وجودك ليس صدفةً أو حدثًا بيولوجيًا. وما أنت عليه ليس حادثًا ظرفيًّا. لقد خطّط الله كليهما من أجلك.[٥]

بحسب ما جاء في أفسس ٢:١٠، إنّنا- أنتِ وأنا- "عملهُ مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق فأعدّها لنسلك فيها". عندما لا أكون راضيةً بمواهبي وقدراتي التي منحني الله إيّاها، أذكّر نفسي بأنّه هو المبارك المسيطر على كلّ شيء (١ تيموثاوس ٦:١٥). إذا آمنتُ بذلك، يجب أن أؤمن أيضًا بأنّ الله هو المسيطر المبارك على "أشيائي كلّها": مظهري، وشخصيّتي، ومواهبي، ومَلَكاتي. إنّني أتوق في أعمق أعماق قلبي إلى مسرّةِ الله، وهو سيُسرُّ بقناعتي وقبولي بالشكل الذي خلقني عليه.

ربّما أردتِ أنتِ أيضًا أن تكوني قانعةً وراضية، غير أنّك تسمعين الأصوات التي تقول: "كوني ناجحة. كوني محبوبةً من قِبَل الجميع. كوني جميلة. كوني كاملة". آه يا صديقتي العزيزة، كفّي عنِ الإصغاء إلى هذه الأصوات، وأصغي إلى صوت الله.

> أليس هو أباك ومقتنيك. هو عملك وأنشأك؟
>
> (تثنية ٣٢:٦)
>
> يداك كوّنتاني وصنعتاني... اُذكُرْ أنّك جبلتني كالطين...
>
> كسوتني جلدًا ولحمًا فنسجتني بعظام وعَصَب.
>
> (أيُّوب ١٠: ٨-١١)

كتبت هيلن كيلر، التي كانت عمياء وصمّاء في آنٍ معًا، هذه العبارات التي تحضُّ على التفكير:

انتزَعوا منّي ما كان ينبغي أن يكون عيناي (ولكنّني تذكّرت فردوس ميلتون) انتزَعوا منّي ما كان ينبغي أن يكون أذناي (فأتى بيتهوفن ومسح دموعي) انتزَعوا منّي ما كان ينبغي أن يكون لساني (ولكنّني تحدّثت إلى الله حين كنتُ صغيرة). والله لن يدعهم ينتزعون روحي وبامتلاكيَ روحي، فإنّني لا أزال أمتلك الكلّ [٦]

تُشعرني هذه القصيدة بالاتّضاع. في كلّ مرّةٍ أقرأها، أشعر وكأنّ عليّ أن أرتميَ على وجهي قدّام الربِّ وأسأله المغفرة لشكواي من تفاهة عجزي. كم كان صعبًا قبول هيلين كيلر "بالإطار" الجسديِّ الذي خصّها الله به.

إذن، كيف يمكننا أن نصبح قانعاتٍ بأنفسنا كما خلقنا الله؟ قد يكون من المفيد اتّخاذ مقياسٍ آخر نتمثّل به.

صورتكِ البادية للعِيان

الإطار (أي الكِيان). تصوَّري حياتك قطعةً فنّية. إنّ الإطار يتألّف من شخصيّتك، وصفاتكِ الجسديّة المميَّزة، ومواهبك وقدراتك. ليس خبرًا جديدًا على الأرجح بالنسبة إلى الجميع أنّ العديد من النساء، بدلًا من أن يشكُرْنَ الله على الإطار الذي وضعهنّ فيه، يمُضين وقتهنّ في محاولة تغييره.

قرأتُ ذات مرّة قصّةً ملهِمةً حول مثل هذه المرأة. لم تكن راشيل راضيةً بالإطار الذي بناه الله لأجلها. كانت متأكّدةً من أنّ عدم أهليّتها من الناحية

العاطفيَّة والجسديَّة؛ وافتقارَها إلى المواهب الطبيعيَّة، هما صليبٌ كان عليها أن تحمله. تمنَّت لو أمكَنها أن تختار إطارًا آخر.

بينما كانت نائمةً في إحدى الليالي، حَلُمتْ بأنَّها قد اقتيدت إلى مكانٍ وُضِع فيه عددٌ كبيرٌ من الإطارات (الكيانات) قدَّامها- إطاراتٍ من كلِّ حجمٍ وشكل. وهناك عثرتْ على إطارٍ جميلٍ مرصَّع بالذهب والجواهر. فصاحت قائلة: "أوه، إنَّ هذا سيلائمني تمامًا". وهكذا علَّقت راشيل الإطار المُثقَل بالجواهر فوق جسدها. كان الذهب والجواهر جميلَين، غير أنَّهما كانا ثقيلَين جدًّا بالنسبة إليها، فانهارتْ تحت ثقلهما.

ثُمَّ وجدت راشيل إطارًا جذَّابًا تلتفُّ حول شكله المنحوت أزهارٌ ناعمةٌ دقيقة. إنَّ هذا هو الإطار الذي يناسبها دون شكّ. فحملته بسرعة، غير أنَّ أشواكًا حادَّةً كانت مختفيةً خلف الأزهار فأدمتْ بشرتها.

ألا يوجد إطارٌ يناسبها؟ من ثَمَّ وصلت إلى إطارٍ بسيط. ما من جواهر، ولا أزهار ناعمة. ومع ذلك، فإنَّ أمرًا ما قد جذبها إليه. التقطته وعلَّقته عليها، فثَبُتَ أنَّه يلائمها تمامًا. وعندما نظرت إلى الإطار الذي يحيطها، عرفت أنَّه ذاك الذي خلقه الله في الأصل من أجلها![٧]

يا صديقتي، أَيبدو إطار إحداهنَّ أكثر جاذبيَّة من إطارك؟ قد تحسدين امرأةً تتكدَّسُ الجواهرُ فوق إطارها، أو أنَّ الأزهار تكسوه، غير أنَّكِ لا تعرفين كم هو مرهِقٌ إطارها. صلِّي كي يجعلك الله قادرةً على رؤية الحكمة وراء الطريقة التي صاغك الله بها.

العمل الفنيّ. فلننظرْ مليًّا الآن إلى العمل الفنيِّ المتقَن داخل هذا الإطار. يمثِّل العمل الفنيُّ صورةً ظاهرة لما أصبحتِ عليه. لقد وضع الله الخلفيَّة، ثُمَّ أجرى ريشته برفقٍ فوق لوحة حياتكِ رغبةً في خَلْق تحفةٍ رائعة. إنَّ الله

يدعوك إلى مشاركته في تشكيل الصورة. إنِ استكنتِ وسلَّمتِ الأمر لذوقه وبراعته، فإنَّ شخصيَّة السيِّد المسيح ستنعكس من خلال صورة حياتك.

ارجعي إلى الوراء وانظري إلى الصورة. ما الذي ترَيْنه منعكسًا عليها؟ أَترَينَ صفات السيِّد المسيح، أم أنَّك ترَينَ نشاطًا محمومًا؟ أَتُحاولين زخرفتها بألوان الشخصيَّة أم بألوان الإنجاز؟ في معظم الأحيان في حياتنا، يُلقي الإنجاز والعمل بظلالهما على النضج والشخصيَّة. إنَّنا نعدو بشكلٍ محموم محاولين أن نرسم الصورة بالأنشطة التي نقوم بها، غير أنَّ شخصيَّتنا الداخليَّة يجب أن تُوطَّد قبل أعمالنا. عبَّر جورج ماكدونالد عن ذلك بوضوحٍ إذ قال إنَّه: "يعتقد بأنَّه سيكسب شيئًا بإنجاز عملٍ ما، في حين أنَّ الشيء المطلوب حقيقةً كان الشخصيَّة الداخليَّة".[٨]

ما الأمر الذي يُمتَدَح الرجال والنساء في الكتاب المقدَّس من أجله؟ لأجل صفاتهم الذاتيَّة. يريد الله منَّا أن نركِّز على أن نصبح مشابهين صورة السيِّد المسيح، في صياغة صفاتنا وشخصيَّتنا على صورته ومثاله. هذه هي الصورة التي يريد أن يرسمها. غير أنَّنا نميل إلى التركيز على الإطار الخارجيّ. ويقول الله إنَّ رؤيتنا مشوَّهة.

عندما كان صموئيل يقيِّم أبناء يسَّى لاختيار ملك إسرائيل التالي، حذَّره الربُّ قائلًا: "لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأنِّي قد رفضته. لأنَّه ليس كما ينظر الإنسان. لأنَّ الإنسان ينظر إلى العينَين، وأمَّا الربُّ فإنَّه ينظر إلى القلب" (١ صموئيل ١٦:٧).

بخلافنا نحن، فإنَّ الله يهتمُّ بسجايانا وصفاتنا الداخليَّة. ويعلِّمنا سليمان أنَّ "المرأة ذات النعمة تحصل كرامة" (أمثال ١١:١٦)- لا المرأة الجميلة أوِ الذكيَّة، بلِ المرأة ذات النعمة. كما أكَّد بطرس على الجمال الداخليِّ حين

وصف ما هو مهمٌّ بالنسبة إلى الله: "ولا تكن زينتكنَّ الزينة الخارجيَّة من ضفر الشعر والتحلِّي بالذهب ولبس الثياب، بل إنسان القلب الخفيِّ في العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدَّام الله كثير الثمن" (١بطرس٣: ٣-٤). إنَّ زينة المرأة هي صفاتها الداخليَّة!

امرأةٌ ذات شخصيَّةٍ فاضلة

تقدِّم الفِقرة التي تتردَّد باستمرار في أمثال ٣١:١٠-٣١، صورةً لامرأة تتمتَّع بالحكمة والشخصيَّة الفاضلة. ما الذي يتبادر إلى ذهنكِ حين تقرأين عن هذه المرأة الخارقة؟ تعدادٌ طويل لسلسلة إنجازاتها؟ لقدِ اعتقدتُ هذا. فقد كانَتِ امرأةً "فاعلةً" ذات شأن. غير أنَّك إذا ما أمعنتِ في النظر في النصِّ، ستجدين أنَّ كلَّ ما أنجزتْه نابعٌ من صفاتها الداخليَّة. لقدِ استمدَّت هذه المرأة معرفتها من الله وطبَّقتها بطريقةٍ بارعةٍ وناجحة، فأصبحت حياتها مثالًا للجمال. من المثير للاهتمام أنَّنا لا نعرف اسمها ولا كيف كانت تبدو. ولا نعلم شيئًا عن شخصيَّتها.

إنَّ ما نعرفه على كلِّ حال، هو أنَّ زوجها وأولادها البالغين كانوا يمدحونها. "بناتٌ كثيرات عملنَ فضلًا، أمَّا أنتِ ففقتِ عليهنَّ جميعًا. الحُسْن غشٌّ والجمال باطلٌ. أمَّا المرأة المتَّقية الربَّ فهي تُمدَح" (أمثال ٣١:٢٩-.٣). هل لاحظتِ لأيِّ شيءٍ يمدحونها؟ لا لأنَّها كانت تستيقظ عند الفجر، وتعمل حتَّى حلول الليل، ولا لأنَّها كانت تحيك ثيابهم، وترتِّب البيت، وتحمل الطعام إلى الفقراء. لقدِ امتدحوها لصفاتها الروحيَّة. فيا لها من صفةٍ جديرةٍ بالتقدير! بين كلِّ مَن يعرفون من النساء، كانت هي الفُضلى.

آمنت هذه المرأة الاستثنائيَّة بأنَّ الله كان المسيطر المبارك على حياتها؛ غير أنَّها عرفت أيضًا أنَّ الله ينتظر منها أن تتَّخذ قراراتٍ ورِعةً لتتحكَّم بنفسها. وهذا يتضمَّن أن تجعل من نفسها جذَّابةً إلى القلب والفكر، بـلبسها بوصًا وأُرجوانًا (الآية ٢٢). كان القرار الأصعب هو السيطرة على لسانها: "تفتح فمها بالحكمة وفي لسانها سُنَّة المعروف" (الآية ٢٦). يقول الأصحاح ٣١ من سفر الأمثال إنَّ المرأة لا تحكمها ظروفها ولا متطلَّبات أُسرتها ولا أهل بيتها، ولا أعمالها المنزليَّة، إذ إنَّها هي التي تتحكَّم بمواقفها، ووقتها، وبرنامجها. كانت علاقتها بالله هي محور كلِّ شيء. إنَّ كلَّ ما أصبحت عليه كان نتيجة تسليم أمرها إلى سيطرة الله المهيمِنة. لقد سمحت له أن يضع لمساته على لوحة حياتها؛ غير أنَّها اختارت أيضًا أن تتحكَّم بمظهرها، وفمها، وأنشطتها.

إطاعة وصايا الله

لقد أعطانا الله وصيَّةً مثيرةً للاهتمام إلى حدٍّ كبير في تكوين ١:٢٨. فبعدما قال للتوِّ إنَّه خلق الرجل والمرأة على صورته ومثاله، منحهما كليهما تفويضًا: "وباركهم الله وقال لهم: أثمِروا واكثُروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلَّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كلِّ حيوانٍ يدبُّ على الأرض".

خُلِقت كلُّ امرأةٍ على صورة الله ومثاله. وقد أعطى كلًّا منَّا السلطة والمسؤوليَّة والقدرة. إنَّ هذا هو المصدر الحقيقيُّ لهويَّتنا- مصدر أهدافنا وقيمنا. لقد أعطاني الله وأعطاكِ، في تكوين ١:٢٨، ثلاث وصايا أساسيَّة:

- **تسلَّطوا:** حين نتسلَّط، فإنَّنا نتَّخذ قراراتٍ تتعلَّق بالمسائل العاديَّة وكذا المصيريَّة.

- **أخضِعوا:** حين نُخضِع شيئًا ما، نجعله تحت سيطرتنا، ونحافظ على هذه السيطرة باجتهادنا في الدفاع عنها.
- **أثمِـروا:** حين نُثمر، فإنَّنا نوجِد قيمًا بواسطة التكاثر.[٩]

إنَّ المجال هو كلُّ ما يقع تحت مسؤوليَّتنا. فما المجال الذي قد منحك الله إيَّاه؟ مَن الأشخاص الموجودون ضمن مجالك وما الظروف والممتلكات الخاضعة لذاك المجال؟ فكِّري معي للحظةٍ بأوَّل شخصٍ مهمٍّ ينبغي أن تسيطري عليه- وأعني نفسَك. على كلٍّ منَّا أن تسيطر على جسدها، وطبيعتها، ومَلَكاتها. كم هو سهلٌ سَوْق مبرِّراتٍ بشأن عدم حاجتنا إلى إطاعة الله حين يتعلَّق الأمر بالسيطرة على هذه المجالات!

كانت كاثي تقول باستمرار إنَّها لا تحبُّ مظهرها. لم تكنْ قضيَّة الخلاف متعلِّقةً بخَلْق الله؛ بل كانت بشأن خمسين رطلًا إضافيًّا (نحو ٢٣ كغم) كانت تحملها. لم تكن كاثي تعاني من مشاكل صحِّيَّة تتسبَّب في زيادة وزنها. فهي لم تُخضِع شهيَّتها للطعام، كما لم تمرِّن جسدها الكسول. لقد وجدت أنَّ من الأسهل بالنسبة إليها أن تشكو وتتذمَّر بشأن ما قد منحها الله، بدلًا من أن تتحمَّل مسؤوليَّة عطيَّته لها.

كانت سخرية لين تدفع الناس إلى التوتُّر والعصبيَّة. عندما حاول أصدقاؤها أن يواجهوها بشأن مزاجها، قالت لهم إنَّها لا تستطيع تمالك نفسها، كما قالت إنَّها وُلدَت بلسانٍ حادٍّ وطبعٍ متفجِّر. كان من الأسهل عليها أن تنسب الأمر إلى "الوراثة" عوضًا عن أن تمسك بزمام الأمور وتتَّخذ قرارًا بتحسين خُلُقها.

تنمُّ شارلين عن نفسيَّة نازِعةٍ إلى "رثاء الذات". ادَّعت بأنَّها لا تملك أيَّة مواهب، فقد أغفلها الله حين قام بتوزيع المواهب. والحقيقة أنَّه كان من

الأسهل بالنسبة إليها لوم الله بدل خدمته بأيَّة طريقةٍ كانت تستطيعها. لم ترغب في "السيطرة على مملكتها وإخضاعها". كانت صديقتي الرومانيَّة العزيزة ساندا– التي ذكرتها في نهاية الفصل السابق- مستعدَّة لفعْل أيِّ شيءٍ يجعلها تشعر بعدم الراحة لتكتشف إنْ كان بإمكان الله أن يستخدمها كقائدة. من ناحية أخرى، فضَّلت شارلين الجلوس والاستغراق في الأفكار الكئيبة.

إنَّني مقتنعةٌ أنَّ امرأةً يدور صراعٌ بينها وبين هويَّتها وهدفها في الحياة، هي امرأةٌ قد تخلَّت عنِ السيطرة على ذاتها وعلى ما يمكن أن تصيرَه. لا تنسينَ أنَّ الله بصدد رسم صورةٍ على لوحة حياتنا. أجسادنا ما هي إلَّا الإطار. إنّ الله يعتزم أن يرسم صورةً جميلة- صورة يرى الآخرون فيها صفاتنا وتكون وسيلة تعبيرٍ فريدةً نعكس بها حياة المسيح، ونضعها في هذا الإطار. غير أنَّه لا يستطيع أن يبدع هذا العمل الفنيَّ دون تعاوننا. إنَّه مشروع يتطلَّب مشاركةً تدوم مدى الحياة بيننا وبين الله. إنِ اخترتِ انتقاد الإطار، أو قاومتِ لمسات ريشة الله، فلن تُجدي القناعة نفعًا. فإنَّها تروغ منك. وإن ركَّزتِ على رؤية الله التي تدمج الصورة والإطار ونموَّ رسالته من خلالك، فإنَّك تستطيعين حينذاك القول: "إنَّني قانعةٌ وراضيةٌ بما أنا عليه".

كان ليوناردو دافنشي فنَّانًا يتمتَّع بمهارةٍ فائقة. عندما كان تلميذًا يدرس تحت إشراف معلِّمه، دعاه معلِّمه إليه وطلب منه أن ينهيَ لوحةً كان المعلِّم قد بدأ برسمها. كان الرجل قد تقدَّم في العمر وشعر بأنَّ الوقت قد حان كي يترك الرسم. إذ ذاك، كان الفتى الشابُّ دافنشي يكِنُّ احترامًا كبيرًا لفنِّ وبراعة معلِّمه حتَّى إنَّ الإيحاء بأنَّ عليه أن يضيف لمساته إلى لمسات معلمه قد جعله يشعر بالارتباك. قال الرجل ببساطة: "ابذل قصارى جَهدك".

أمسك ليوناردو الريشة وهو يرتجف انفعالًا، وركع أمام لوح الرسم ليصلِّي فقال: "إنَّني ألتمس منك، من أجل معلِّمي الحبيب، المهارة والقوَّة للقيام بهذه المهمَّة". وما إن بدأ يرسم حتَّى أصبحت يده أثبت، واستيقظت عبقريَّته النائمة، فأبدع تحفةً فنيَّة غايةً في الروعة.[١٠]

فيا صديقتي، هلَّا أمسكتِ بفرشاة الرسم في يدك وركعتِ قدَّام سيِّدك؟

ماريانا

استقرَّ حذائي في الوحل البُنِّيِّ السميك الذي يحيط بشقق المجمَّع السكنيِّ المنفعيِّ الموحش. أين كانَتِ الأشجار والأزهار؟ خفق قلبي بسرعةٍ وأنا أصعد درجات سلَّم الطوابق السبعة الاسمنتيَّة برفقة بعض النسوة متَّجهات إلى شقة ماريانا التي تحتوي على غرفة نوم واحدة. بمساحة معيشة تبلغ ٤٠٠ قدمٍ مربعٍ فقط (نحو ٣٧ م٢)، تنام ماريانا وزوجها في غرفة الجلوس، بينما يتقاسم أولادهما الثلاثة غرفة النوم.

ما إن دخلتُ حتَّى رحَّبتْ بي عشرون امرأةً بالعناق والقبلات على الخدَّين. يا لهؤلاء النسوة العزيزات! غير أنَّهنَّ بَدَونَ شاحبات. إذ تُلزم الحكومة الرومانيَّة أن يعمل الجميع، بما فيهم الأمَّهات، خمسة أيَّامٍ ونصف اليوم في الأسبوع. كان الطعام شحيحًا، وكان معظم النساء يقفنَ في الصفِّ لساعاتٍ كلَّ صباح قبل ذهابهنَّ إلى العمل. وكان هذا يعني أن يستيقظنَ في الرابعة صباحًا ويرجعنَ إلى البيت في السادسة بعد الظهر. أمَّا الأمسيات، فكنَّ يقضينَها في الطبخ (فلا وجود لوجباتٍ جاهزة أو لمطاعم ماكدونالد هناك) وغسل الملابس (باليد في أغلب الأحيان)، ونشْرِ الغسيل في أرجاء الشقة ليجفّ.

وبالإضافة إلى حياةٍ مُجهدةٍ جسديًّا كهذه، عاشت تلك النسوة المسيحيَّات في ظلِّ مُناخٍ قمعٍ روحيّ. فقد كانَتِ الاجتماعات المسيحيَّة ممنوعة. إذ لو عُثِرَ علينا أثناء درس الكتاب المقدَّس،

فمن الممكن أن يؤدِّي ذلك إلى تفتيش المنزل والاستجواب، أو أسوأ من ذلك. قالت لنا ماريانا أنْ نبدأ بغناء أغنيَّة أعياد المواليد إن قرع أحدٌ الباب. كانَتِ النساء يحضرنَ هذا الاجتماع مرَّة كلَّ شهر؛ بحيث يُنقَل التاريخ، والوقت، والمكان، شفهيًّا من شخصٍ إلى آخر أو بواسطة مكالماتٍ هاتفيَّةٍ مبهمة، كالقول مثلًا: "ستبدأ حفلة عيد الميلاد تمام الساعة..".

أتيتُ إلى هذا الاجتماع الذي يُعقَدُ في الخفاء لأشارك بقيَّة النسوة مناقشةَ موضوعٍ حول دور الزوجة في الزواج. قبل أن أبدأ، توجَّهتْ ماريانا إلى خزانةٍ وسحبت منها مخطوطةً مهترئةً على غلافها هذه الكلمات (Creatora Partenera). علمتُ من خلال المترجِمة أنَّ هذه المخطوطة كانت نسخةً مطبوعة باليد لكتابي، "النظير الخلَّاق" (*Creative Counterpart*). عندما تُقدِم فتاةٌ في الكنيسة على الزواج، كانت ماريانا تطبع للعروس نسخة على آلتها الكاتبة القديمة. لقد كنتُ عاجزة عنِ الكلام. وبقيت كذلك بينما كانت هذه المرأة المُنهكة والمثقلة بالأعباء تتحدَّث بشأن كيفيَّة نموِّها في دورها كزوجة. فقالت: "حين أعود إلى البيت من عملي كلَّ يوم، آخذ غفوةً لمدَّة نصف ساعة. بهذه الطريقة أستطيع أن أبقى مستيقظةً بعد أن يأوي ابني ذو الثمانية عشر عامًا إلى فراشه، فيُتاح لي بعض الوقت أمضيه مع زوجي كلينا وحدنا. والآن صرنا نتمشَّى حول مجمَّع الشقق السكنيَّة بحيث يمكننا التحدُّث على انفراد. لقد وفَّرتُ بعض المال؛ وخلال ستَّة أشهرٍ سيكون لديَّ ما يكفي لأمضي مع زوجي ليلةً في الفندق بمفردنا".

أصابت كلماتها قلبي مباشرةً. ستَّة أشهرٍ لتوفير ما يكفي من النقود للحصول على غرفةٍ في فندق؟ النـزهة اليوميَّة على الأقدام حول حفرة الوحل؟ عندها تردَّد صدى كلماتِ الربِّ في ذهني: "فكلُّ من أُعطيَ كثيراً يُطلَبُ منه كثير". كم هو قليل ما تملكه ماريانا. وكم هو كثير ما قد أُعطيتُ أنا. لقدِ اختارت أن تركِّز نظرها على الإيجابيَّات في دورها كزوجة، وتمنح الله وزوجها كلَّ شيء. أَبإمكاني أن أقول الشيء ذاته؟

الفصل ٤

قانعة بِدَوْري

"ليندا، أنت واحدةٌ من النساء القلائل المتزوِّجات اللاتي أعرفهنَّ التي تبدو سعيدة. لقد راقبتُ الزوجات في إرساليَّتنا. فمن بين أربعين امرأةً أعرفهنَّ، ثلاثٌ فقط يشعرنَ بالسرور لأنَّهنَّ قد تزوَّجن". صدر هذا التعليق المباشر والصريح عنِ امرأةٍ مُرسَلةٍ عازبة كنتُ أكنُّ لها الاحترام. أَمِنَ الممكن أن تكون على صواب في ما قالته؟ أَحقًّا تترك النسوة اللاتي يحببنَ السيِّد المسيح ويرغبنَ في خدمته، الانطباعَ بأنَّهن غير راضياتٍ عن زواجهن؟

أبدى فرِد، وهو قسٌّ عازب، ملاحظةً مقلِقةً مشابِهة. فحين سُئل عمَّا إذا كانَتِ النساء العازبات في كنيسته تشعرنَ بالقناعة بعزوبتهنَّ، أجاب قائلًا: "لا، على الإطلاق!" إنَّني أستقبل أسبوعيًّا في مكتبي نساءً باكياتٍ مقتنعاتٍ بأنَّه قد حُكِم عليهنَّ بحياة الوَحدة. إنهنَّ يبذلنَ الجهود- ويُراهِنَّ على الوقت- بانتظار مجيء الرجل المناسب. وهنَّ يعتقدن أنَّ العزوبة ليست إرادة الله الكاملة.

إنَّ هذا مدعاةٌ للسخريَّة، أليس كذلك؟ تنظر النساء العازبات إلى النساء المتزوِّجات ويتمنَّينَ زوجًا. وتنظر النسوة المتزوِّجات إلى أزواجهن ويتمنَّينَ أزواجًا غيرهنَّ. كما تتوق النساء اللاتي لم ينجبنَ إلى أن يصير لديهنَّ أطفال، بينما تتوق الأمهات إلى اليوم الذي يذهب فيه أولادهنَّ إلى المدرسة.

أَمِنَ الممكن حتَّى أن تكوني قانعة بدَوْرك في المكان والزمان الحاضرَين؟

لا أستطيع الانتظار إلى أنْ...

شيريل زوجةٌ وأمّ؛ ولورا زوجةٌ وأمٌّ وطالبة دراساتٍ عليا؛ وتيري مهنيَّةٌ عازبة، هنَّ ثلاث رفيقات حجرةٍ سابقات أثناء دراستهنَّ في الكلِّيَّة، وقد بقينَ على اتِّصالٍ ببعضهنَّ عبر البريد الإلكترونيّ.

وإليكم في الفقرة التالية بعض مقتطفاتٍ من مراسلاتهنَّ التي تُعبِّر عن أفكارهنَّ، وصراعهنَّ حول الدور الذي عيَّنه الله لهنَّ.[١] [نُقِلَ وعُدِّل شكل هذه الرسائل الإلكترونيَّة عنِ النصِّ الأصليِّ الإنكليزيِّ بقلم **ليولا فلورين(Leola Floren)**، محرِّرة عمودٍ رئيسيٍّ في صحيفة مقرُّها مِشيغان، ومؤلِّفة كتاب "**المدير الجديد ذو الشارب الحليبيّ**" (*The New Boss Has a Milk Mustache*).]

عزيزتي شيريل،

هذه رسالةٌ سريعةٌ فقط لإعلامك أنَّ بريان قد عُيِّن رئيسًا لقسم الكيمياء أخيرًا! كاترين وتيم كلاهما الآن في المرحلة الثانويَّة، والخبر المهمُّ هو أنَّني سأعود إلى الدراسة أيضًا! لطالما ندمتُ على عدم إنهائي دراسة المحاسبة وحصولي على شهادةٍ فيها، غير أنَّه كان من الصعب عليَّ الحصول على موافقة برايان ومحاولة نيلها وحدي. ثُمَّ جاء الأولاد... حسنًا، أنت تعرفين القصَّة... أمَّا الآن فقد حان دوري! لقد كان ذكاءً منك أن تنهي دراستك وتحصلي على تلك الخبرة المهنيَّة قبل أن تبدأي في تأسيس أسرة. لقد حصلتِ على كلِّ شيء: نجاحٌ عمليٌّ في

ماضيك، وثلاثة أولادٍ أعزّاء في حاضرك. إنّكِ امرأةٌ رائعة! اكتبي عندما تسنح لك الفرصة.

مع محبّتي، لورا

عزيزتي لورا،

عودةٌ إلى الدراسة، هيه؟ يا للروعة، أَلا يبدو هذا ممتعًا؟ فكِّري مجرَّد تفكير. بعد فصلَين دراسيَّين فقط وستكونين بصدد شراء بدلةٍ بعلامة (ماركة) معروفة كالتي ترتديها إليزابيث دول. إنَّني أشعر بالغَيرةً! لديَّ خزانةٌ مليئةٌ بالملابس الجميلة، وكلُّ ما أرتديه هذه الأيَّام هو الألبسة الفضفاضة. في الواقع، هذا هو كلُّ ما يناسبني من لباسٍ الآن. بلغ التوأمان أربعة أعوامٍ الشهر الماضي، وأنا ما أزال أحاول التخلُّص من تلك الأرطالٍ العشرة الأخيرة (نحو ٤،٥ كغم). ذهبتُ البارحة إلى السوبرماركت وقدِ التصقتْ على ظهري طبعة يدٍ صغيرةٍ مغموسةً بالمربى. إنَّني أشعر بأنَّني خرقاء! يا لسعدكِ، أنتِ محظوظةٌ جدًّا. عليَّ أن أسرع الآن. يجب أن أضع قطعة لحمٍ في الفرن، كما أنَّ عليَّ أن أوصِل الأولاد إلى المسبح اليوم بعد الظّهر.

مع محبّتي، شيريل

عزيزتي لورا،

وصلتُ بالطائرة من سويسرا يوم الخميس، أخذتُ بريدي، وسقَيتُ بعض نباتات المنزل الميِّتة، وأنا الآن في طريقي إلى

مكسيكو سيتي. إنَّ طعام شركة الطيران، لحسن حظِّي، هو من السوءِ حتَّى إنَّني فقدتُ عشرة أرطالٍ من وزني في الشهر الماضي. قالت لي شيريل إنَّكِ عدتِ إلى الدراسة. إنَّ هذا لرائع! فأنتِ أذكى من أن تُهدري موهبتك في طهي قِدر لحم الشواء ونقل الآخرين في سيَّارتك. إنَّني أشكرك لمحاولتك ترتيب لقاء لي مع ذلك المحامي في لونغ آيلند. لا يمكنني أن أصدِّق أنَّ اسمه هو طوني رايت (المناسب)! السيِّد المناسب... أخيرًا! أستطيع أن أتفرَّغ في الأيَّام من ١٨ إلى ٢٣، وهو يستطيع أن يتفرَّغ من يوم ٢٢ إلى ٢٥، لذا سنحاول أن نتناول العشاء معًا يوم ٢٢ أو ٢٣. سأُطلعكِ على المزيد في وقتٍ لاحق، يجب أن أرسل بعض البنود الإحصائيَّة إلى أحد العملاء في جنيف.

مع محبَّتي، تيري

عزيزتي تيري،

سويسرا؟ مكسيكو سيتي؟ لا أستطيع أن أصدِّق! إنَّ كلَّ ما أردتُ يومًا فِعْله هو السفر، ولكن مع وجود ولدَين مراهقَين في البيت، لم نستطعِ الذهاب، أنا وبرايان، إلى أيِّ مكان قطّ. حصلتْ كاترين لتوِّها على رخصة القيادة، الأمر الذي يُثير قلقيَ الشديد، أمَّا تيم، فهو منشغلٌ بالرياضة حتَّى إنَّه لم يقبلِ الذهاب معنا لقضاء عطلة. إنَّني أقول لنفسي باستمرار أن أنتظر أيضًا أربع سنواتٍ أخرى، وعندها سأحصل على حرِّيَّة العالم كلِّها- حرِّيَّة كاملةً، لكن دون نقود. أتعرفين مبلغ الأقساط المدرسيَّة حاليًّا؟ إنَّها باهظة حتَّى في المدارس

الحكوميَّة. إنَّ كاترين مصمِّمةٌ على الذهاب إلى كلِّيَّة الطبِّ البيطريّ. إنِّني لا أدري السبب الذي يجعلها تعتقد بأنَّها ستكون قادرةً على الاعتناء بحيوانات الآخرين الأليفة، في حين أنَّها لا تنظِّف حتَّى صندوق القطِّ في منزلنا. أنت محظوظة لأنْ ليس لديك أولاد تقلقين بشأنهم.

مع محبَّتي، لورا

عزيزتي تيري،

لقدِ انطلقَ آدم لتوِّه في حافلة المدرسة الابتدائيَّة، والصغيران غافيان في الطابَق السفليّ، لذا فإنَّ لديَّ متسعًا من الوقت لإنهاء هذه الرسالة القصيرة. لو أمكنكِ أن ترَي عبر البريد الإلكترونيّ، لكنتِ شاهدتِ أنَّ قميصيَ الأبيض الجديد قد صار الآن قرمزيَّ اللون- كجزءٍ من حادثٍ طويلٍ ومعقَّد أثناء تناول الإفطار أفضِّل عدم الاستفاضة في التحدُّث بشأنه. أكتفي بالقول إنَّنا الآن نحتاج حقيقـةً إلى بساطٍ جديدٍ في الحجرة الصغيرة. أشكركِ لتذكُّركِ عيد مولدي. إنَّ الصابون المعطَّر وفقاعات الحمَّام هما متعةٌ حقيقيَّة أدخلَتِ السرور إلى نفسي، وأنا أتطلَّع بشوقٍ إلى مغطسٍ من الماء والفقاعات في الخريف القادم عندما يذهب التوأمان إلى الحضانة. وصلتني رسالةٌ من لورا منذ بضعة أسابيع. إنَّها ستعود إلى الدراسة لتنهيَ تخصُّصها والحصول على الشهادة. إنَّني أشعر بغَيرةٍ شديدة! إنَّ الكتب الوحيدة التي يُتاح لي الوقت لقراءتها في هذه الأيَّام، تستخدم العبارات نفسها مرارًا وتكرارًا: هوب، بوب، توب،

وستوب (تنتهي الحكاية). اكتبي لي متى أمكنك ذلك. أعلم أنَّك تسافرين كثيراً، وأودُّ أن أسمع منكِ بشأن تلك الأماكن الغريبة والجذَّابة.

مع محبَّتي، شيريل

عزيزتي شيريل،

أتمنَّى لو أمكنني قضاء عطلة نهاية الأسبوع في منزلك، حيث يجلس آدم والتوأمان في حضني، و أنا أقرأ هوب، بوب، توب، وستوب بدلًا من قراءة تقارير المبيعات المُضجِرة. إنَّك محظوظة جدًّا لحصولك على أسرةٍ وأطفالٍ صغارٍ يحبونَّك. إنَّني لا أزال آمل وأرجو، غير أنَّني أخشى أن يكون الأوان قد فات. أمضيتُ الأسبوع الفائت في باريس التي بالغتُ في تقديرها. إنَّني أكره خبز الشطائر الفرنسيِّ الطويل. في المرَّة القادمة التي يكون عليَّ السفر فيها إلى ما وراء البحار، سوف أحمل معي رغيفًا من "الخبز الرائع".

مع محبَّتي، تيري

عزيزتي لورا،

سمعتُ أنباءً سيِّئةً البارحة. اتَّصل أحد الأشخاص من البنك ليخبرني بأنَّ ليندا دايفس قدِ ارتقتْ إلى منصب نائب المدير العام. لقد كنتُ المسؤولة عنها سابقًا! حتَّى إنَّها ليست على ذاك القدر من الكفاءة أيضًا. لم يكن بإمكانها القيام بموازنة

دفتر شيكاتها، وهي الآن في طريقها إلى القمَّة. تيري موجودةٌ الآن في باريس، وهي تشكو من الطعام هناك. أَيمكنك تصوُّر ذلك؟ سأكتبُ لك المزيد لاحقًا. لقدِ استيقظ التوأمان وهما يبحثان الآن عن عصير العنب. إنَّك تعرفين مدى خطورة ذلك.

مع محبَّتي، شيريل

عزيزتي تيري،

إنَّك لن تصدقي هذا، ولكنِّي حامل! لا أدري كيف حصل الأمر! حسنًا، إنَّني أعلم كيف حصل، ولكنَّني لا أفهم تمامًا كيف حصل الآن. لقد كنتُ أتطلَّع بشوقٍ إلى الحصول على حياةٍ أتفرَّغ فيها لنفسي- أخيرًا - والآن حصل هذا الأمر! لماذا أنا؟ لماذا الآن؟

إنَّني لا أزال مصعوقة، لورا

عزيزتي شيريل،

أَسمعتِ الأخبار المتعلِّقة بلورا؟ من المنتظر أن يولد الطفل في شهر آذار. إنَّها في حال صدمةٍ الآن، ولكنِّي واثقةٌ بأنَّها ستتحمَّس للفكرة في النهاية. إنَّ الأمر شبيهٌ تقريبًا بتكوين أسرةٍ ثانية. أَتُدركين أنَّها ستكون في الخامسة والخمسين من عمرها حين ينهي هذا الولد دراسته الثانويَّة؟ إنِّي لأتساءل إذا كانت قد فكَّرت في ذلك أم لا؟ أخيرًا خرجتُ مع السيِّد رايت (المناسب) من لونغ آيلند. يا له من أحمق! إنَّ اهتمامه منصبٌّ إلى حدٍّ

بعيد على عمله. قال إنَّه يريد أن نخرج معًا ثانيةً، غير أنَّني لمَّا أخبرته بأنَّني متفرِّغةٌ في الثالث عشر والتاسع والعشرين من الشهر، طلب منِّي أن أؤجِّل سفري إلى اليابان ٢٤ ساعةً بحيث يكون بإمكاننا أن نتعشَّى معًا يوم ٢٨. لماذا ينبغي أن أكون أنا من تتلاعب بجدول أعمالها؟ لماذا لا يمكنني أن ألتقي شخصًا لطيفًا أولويَّاته مرتَّبةٌ بحسب أهمِّيَّتها، بحيث يضعني في المرتبة الأولى على سبيل التغيير؟ أأُبالِغ في ما أطلبه؟

مع محبَّتي، تيري

إلى عزيزتيَّ تيري ولورا،

من الآن فصاعدًا سأرسل لكما رسالة البريد الإلكترونيِّ نفسِها إذ إنَّ كلَّ ما يمكنني فِعْله هو كتابة رسالةٍ واحدة. هذا الصباح، وجدتُ الهَمَسْتَر الخاصَّ بآدم طافيًا في المرحاض، ومن حينها سار كلُّ شيءٍ نحو الأسوأ. إذ شرب التوأمان فقاعات الحمَّام التي تلقَّيتُها هديَّةً في عيد مولدي، ورفض موظفو غرفة الطوارئ أن يتركانا نذهب إلى البيت إلى أن يتقيَّأ الطفلان. إنِّي أنتظر بفارغ الصبر أن يكبر الأولاد لأتمكَّن من العودة إلى عملٍ لطيفٍ ومريحٍ حيث تكون العطل مدفوعةَ الأجر!

مع محبَّتي، شيري

ملاحظة: حين كُنَّا في المدرسة، لم يكن يسعنا الانتظار حتَّى نصبح بالغات بحيث يمكننا أن نفعل ما نريد. متى تبدأ تلك المرحلة بالضبط؟

إنَّ السؤال الذي تطرحه شيريل سؤالٌ جيِّد. متى تصبح امرأةٌ ما شخصًا بالغًا؟ ربَّما حين تتوقَّف عن مقارنة حياتها بحياة نساءٍ أُخريات- تتوقَّف عنِ انتظار "السيِّد المناسب"، وتمنِّي لو أنَّها قد تزوَّجت شخصًا آخر، أو لو كان أولادها في مرحلةٍ عمريَّة أسهل.

إنَّنا ننضج عندما نرى حياتنا ودورنا في هذه الحياة من وجهة نظر الله؛ حين نشكر الله على الدور الذي عيَّنه لنا؛ ونبدأ في النظر إلى كأسنا على أنَّها عطيَّةٌ بدلًا من كونها صليبًا، وحين نسأل كلَّ صباحٍ، "إلهي، كيف يمكنني أن أمجِّدك اليوم بالدور الذي أعطيتَني إيَّاه؟"

ما الأدوار التي تؤدِّينها؟

إنَّنا جميعنا نلعب دورًا في الحياة. يمكن تعريف الدور بأنَّه "شخصيَّة في مسرحيَّة". أدَّت **جوليا أورموند (Julia Armond)** دور فتاةٍ صغيرةٍ حمقاءَ مُغرمةٍ برجلٍ عديم الخُلُق في فيلم **"سابرينا"** (*Sabrina*). وكانت في دور جنيفييف في فيلم **"الفارس الأوَّل"** (*First knight*)، الملكة التي أُرغِمَت على اتِّخاذ قرارات كانت ستعني الحياة أوِ الموت بالنسبة إلى أولئك الذين أحبَّتهم. هذان دوران مختلفان تمامًا أدَّتهما الممثلة ذاتُها. نستخدم كلمة دور لوصف "الجزء" الذي نلعبه في الحياة. إنَّ الكثيرين، مثل جوليا أورموند، يؤدُّون أدوارًا عديدةً مختلفة.

عرفت إليزابيث أدوارًا كثيرة. لقد أحبَّت ورغبت في الزواج، غير أنَّها بقيت عازبة لمدَّة أربع سنوات بعد تخرُّجها في الجامعة. وعندما تزوَّجت أخيرًا حبيبها، كانت متيقِّنةً أنَّ هذا الزواج كان سيدوم إلى الأبد. بعد مُضيِّ عامين وثلاثة أشهر، راحت تحوز دورًا آخر: دور الأرملة. وعادت عازبةً ثانيةً

لمدَّة أربعة عشر عامًا. من ثمَّ فاجأها الله بزوج ثانٍ وشغلت ثانيةً دور الزوجة، لمدَّة ستِّ سنوات هذه المرَّة. ثُمَّ صارتْ أرملةً ثانية. لقد شعرتْ بالدهشة والذهول حين قدَّم الله إليها زوجًا ثالثًا.

أدَّت إليزابيث أدوارها كلَّها على نحوٍ جميل لأنَّها تؤمن أنَّ كلَّ دورٍ تؤدِّيه هو عطيَّةٌ من الله. إنَّكِ لتتساءلين، كيف يمكن أن يكون الترمُّل والعزوبة عطيَّتان؟ فلتُجِبْ إليزابيث عن ذلك.

> عندما كان عمري ثلاثةً وعشرين عامًا منحني الله هبة العزوبة. وفي سنِّ السابعة والعشرين منحني هبة الزواج. وعندما بلغتُ التاسعة والعشرين أعطاني هبة الترمُّل. فما عدتُ زوجةً بعد. لقد أصبحتُ أرملة. مهمَّةٌ أخرى هبةٌ أخرى. لا تعتقدوا لحظةً واحدةً أنَّ هذه كانَتِ الأفكار التي راودتني لحظة بلغني خبر وفاة زوجي. كانت عبارة "ياإلهي" هي كلُّ ما استطعت أن أفكِّر فيه في حالة الذهول التي كنتُ فيها.
>
> بدأتُ على مدى السنين، وأنا أسعى إلى سبر غور سرِّ الألم (الذي لا يمكن سَبْر غوره)، في رؤية أنَّ هناك معنى لقول إنَّ كلَّ شيءٍ هو عطيَّة، حتَّى ترمُّلي.
>
> أقول إنِّي وجدتُ السلام. ولا أقول إنَّني لستُ وحيدة. لقد كنتُ كذلك- وإلى درجةٍ مخيفة. لست أقول إنَّني لم أحزن. لقد حزنت- وبصورةٍ مؤلمةٍ جدًّا. غير أنَّ سلامًا من نوعٍ لا يستطيع العالم أن يمنحه

قد ساد، لا من خلال رفع المعاناة والألم، بل بطريقة
أخرى- من خلال القبول.[٢]

ربَّما تكونون قد حزرتم أنَّ لقب إليزابيث هو إليوت. يمكنكنَّ أن ترَينَ من خلال كلماتها أنَّ تركيزها هو على الأبديَّة. إنَّها امرأةٌ قد اختبرت الوَحدة العميقة- امرأة قدِ استخدمها الله إلى درجةٍ كبيرة لأنَّها ملكٌ له بكلِّيَّتها.

لقد أدَّيتُ إلى الآن،كـأمّ، ستَّةَ أدوارٍ مختلفةٍ في الحياة. إذ كنتُ أمًّا بيولوجيَّة، وأمًّا بالتبنِّي، وأمًّا بالرعاية، وأمًّا روحيَّة، وعرَّابةً، وجدَّة. وإن شاء الله وعشتُ، سأصير يومًا ما والدةَ الجدَّة!

ما الأدوار التي تؤدِّينها؟ أَأنتِ عازبة، أم متزوِّجة، أم مطلَّقة، أم أرملة، أم أمٌّ بيولوجيَّة، أم أمٌّ بالتبنِّي، أم أمٌّ روحيَّة؟ أَأنتِ قانعةٌ بالدور الذي منحك الله إيَّاه؟ أَوَتؤمنين أنَّ الله هو المسيطر المبارك على أدوارك الحاليَّة؟ أَمنحكِ الله أفضل ما لديه؟

إنْ وثقنا بأنَّ القسمة التي حدَّدها الله لنا هي الأفضل، يمكننا حينئذٍ أن نتَّخذ القرارات السرِّيَّة التي تمنحنا قلبًا قانعًا راضيًا. إنْ لم نقبل قسمة الله لنا، سنصبح نسوةً تسيطر عليهنَّ روح الاستياء وعدم الرضا.

الأدوار كلُّها صعبة

لكلِّ دورٍ صعوباته. قد لا يكون زوجك الرجل الذي كنتِ تعتقدينه، أوِ الرجل الذي كنتِ تأملين أن يكون. وقد لا تكون علاقتكما الجنسيَّة كما توقَّعتِ أن تكون. كم هو صعبٌ، يومًا بعد يوم وسنةً بعد سنة، أن تحبِّي الشخص نفسه، وتلتمسي الأفضل له. إنَّ من الصعوبة بمكان الحفاظ على الإثارة في الزواج، وإبقاء قنوات التواصل مفتوحة، وتَجَنُّب تَحَوُّل الجنس إلى

عمليَّة مملَّة ورتيبة. نعم، إنَّ هذا صعب؛ لكنَّه يستأهل الجهد الذي يُبذل من أجله! احتفلنا، أنا وجُدي، لتوِّنا بعيد زواجنا الرابع والثلاثين. إنَّ اتِّحادنا وحبَّنا يتعمَّقان مع مرور السنين. إنَّنا لم نحصل بسهولةٍ على هذه العلاقة الحميمة التي نختبرها؛ بل إنَّها نتيجة جهادنا بمحاولاتٍ متكرِّرة في الحياة الحقيقيَّة- يومًا بعد يوم وسنة بعد سنة. إنَّني ما كنتُ لأقايض ما لدينا اليوم بأيِّ شيء. صدِّقوني، إنَّ الأمر يستحقُّ التضحية.

في حين أنِّني لم أترمَّل يومًا ولم أعِش مستقلَّةً كعازبة، فإنَّ صديقاتي اللاتي اختبرنَ ذلك أخبرنَني بأن الوَحدة هي أعمق الصعوبات التي يواجهنَها. وإليك ما قالته إليزابيث إليوت: "بطريقةٍ ما، جميع الأشخاص العازبين لا ينسجمون في المجتمع، تمامًا كالشخص الذي قد فقد ساقه فأصبح مُعاقًا. لقد قَصَد الله أن يكون لكلٍّ منَّا ساقان. ومع أنَّنا لا نلاحظهما حينما تكونان كلتاهما موجودَتين، فإنَّ فقدان واحدةٍ منهما يجعلنا ننتبه إليها". وتتابع قائلةً إنَّها، كأرملة، لم تستمتع قطُّ أن تكون العَجَلة الخامسة. "كنتُ أجعل الأشياء تفقد توازنها بمجرَّد وجودي هناك، ولكنَّ هذا كان واقعًا كان عليَّ أن أتوصَّل إلى تفاهمٍ معه".[٣]

جميع الأدوار توفِّر الفرص

فكِّري معي للحظة بالسؤال الآتي: لِمَ أتى يسوع إلى الأرض؟ ربَّما أمكنكِ التفكير بأسبابٍ عدَّة. لقد أبدى يسوع سببه الرئيسَ حين قال إنَّه لم يأتِ ليُخْدَم بل ليَخْدُم، وليَبذُل نفسه فِدْية عن كثيرين (متَّى ٢٠:٢٨).

إنَّه يطلب منِّي ومنك أن ندخل إلى عالمنا ومجتمعنا ونحن نسعى إلى الغاية ذاتها. لقد وضع يسوع نفسه وأخذ دور الخادم، وقدِ استخدم الدور

الذي عُيِّن له لخدمة الذين يحيطون به وليهِبَ حياته عطيَّة نهائيَّة. لا أظن أنَّ الكثيرات منَّا قد فكَّرنَ بهذا من قبل، لأنَّني أعتقد أنَّنا لو فعلنا ذلك لتغيَّرت مواقفنا.

يقول **د. لاري كراب (Larry Crabb)** في كتابه **"عناصر بناء الزواج"** (*The Marriage Builder*): "ثمَّة احتمالان: إمَّا أن تقوم الزوجة بخدمة زوجها، أو تتلاعب به للحصول على ما تريده"[4]. فأيَّ الأمرَين قدِ اخترت: أن تخدمي أم أن تتلاعبي؟

تستطيع النساء العازبات أن يخدمنَ الآخرين كذلك؛ إذ ليس علينا أن نكون متزوِّجات قبل أن نتمكَّن من تقديم العطاء إلى الآخرين.

يمكن للأمَّهات أن يخترنَ تنشئة أولادهنَّ وتقدير الوقت الذي يمضينَه معهم بدلًا من انتظار اليوم الذي سيغادرون فيه البيت.

طبع الله جميع النساء بطابع "واهبة الحياة"، بصرف النظر عنِ الدور الذي يلعبنَه. قد تقرِّر النسوة اللاتي ليس لديهنَّ أولاد بيولوجيُّون أن يطلبنَ من الله امتياز أن يكنَّ أمَّهاتٍ روحيَّات، أو عرَّابات، أو أمَّهاتٍ بديلات.

إن أردنا أن نكون نساءً قانعاتٍ راضيات، يتوجَّب علينا أن نقرِّر قبول قسمتنا- قبول الدور الذي عيَّنه الله لنا. علينا أن نتَّخذ قرار الاهتمام بالجوانب الإيجابيَّة من دورنا في الحياة. إن لم نفعل ذلك، فسنشعر بالاستياء وعدم الرضا، مصحوبَين برغبةٍ دائمةٍ في حيازة شيءٍ مختلفٍ عمَّا قد أُعطينا.

كان يمكن للأمور أن تكون أسوأ بكثير

اتَّخذت كلٌّ من لورا وشيريل وتيري قرارها الخاصَّ بها. فلْنقرأْ كيف وجدت كلٌّ منهنَّ حلًّا لصراعها.

إلى عزيزتيَّ تيري وشيريل،

أعلم تمامًا أنَّني أشكو وأتذمَّر، ولكنَّ الحياة تبدو بلا أمل. زيارةٌ واحدةٌ إلى الطبيب جعلت خُططي جميعَها تذهب أدراج الرياح. إنَّني أكبَرُ من أن أنجب طفلًا! ألا يعرف الله ذلك؟ لقد كنتُ أضحِّي بوقتي لحضور مؤتمرات الأهل/المعلِّمين ومباريات كرة القدم تحت المطر. ليس هذا ما كان من المفترض أن يحصل! إنَّني لا أستطيع كتابة المزيد، إذ أشعر باكتئابٍ شديد.

مع محبَّتي، لـورا

عزيزتي لورا،

كيف يمكنك أن تشكي وتتذمَّري؟ إنَّ كلَّ ما تمنَّيتُه يومًا هو الحصول على أسرةٍ وبيتٍ خاصٍّ بي في شارع تصطفُّ الأشجار على جانبَيه. ليسَتِ المهنة تمامًا كما يدَّعون. حين يتوجَّب على شخصٍ ما الذهاب خارج المدينة في عملٍ ما خلال عطلة نهاية الأسبوع، مَن يختارون بحسب اعتقادك؟ أنا طبعًا. إذ مهما علتْ أصواتهم بالشكوى والتذمُّر من هذا الأمر، فإنَّهم لا يودُّون أن يفوِّتوا حضور مباريات أولادهم في لعبة كرة القدم. وعندما أكون غائبةً خلال عطلة نهايَّة الأسبوع، أتعتقدين أنَّ أحدًا يبالي بذلك؟

مع محبَّتي، تيري

إلى تيري ولورا العزيزتَين،

قال ليَ الله أن أكون "قانعةً بكلِّ شيء". آه، طبعًا! الأولاد يصرخون، والبيت تعمُّه الفوضى، وما من حليبٍ في الثلّاجة، وأنا أرتدي ثياب يوم أمسٍ الداخليَّة لأنَّني لم أتمكَّن من الحصول على دقيقتَين دون مقاطعة خلال الساعات الثماني عشرة الماضية! لم يكن هذا تصوُّري لحياة الزوجة والأمّ.

مع محبَّتي، شيريل

إلى تيري وشيريل العزيزتَين،

سأكون في الخامسة والخمسين حين يتخرَّج هذا الطفل من المدرسة الثانويَّة، في السنِّ المناسبة للحصول على الخصم المخصَّص للمواطنين المسنِّين في مطاعم بيرغر كينغ! أتعلمان؟ قد لا يكون الأمر بهذا السوء. برغم كلِّ شيء، إن لم يقتلكِ الضغط والإجهاد، فإنَّ باستطاعة الأولاد أن يجعلوكِ تحتفظين بشبابك! ربَّما ثمَّة أملٌ ما!

مع محبَّتي، لورا

إلى لورا وشيريل العزيزتَين،

في رسالتي القصيرة الأخيرة كنتُ أشكو من حياتي. غير أنَّني في الواقع أحبُّ حياتي في معظم الأحيان. لقد طفتُ أرجاء العالم على نفقة الشركة، وأنا أستمتع بالعمل الذي أقوم به بقدر ما يفعل الأشخاص الذين أعرفهم. كما أنَّني أستخدم ثقافتي والقدرات التي منحني الله إيَّاها. كان يمكن للأمور أن تكون أسوأ بكثير.

مع محبَّتي، تيري

إلى تيري ولورا العزيزتَين،

كانت رسالتي الأخيرة حافلةً بالشكوى والتذمُّر أيضًا. إنَّ آدم وكيلي ولين يُرهقونني- هذا مؤكَّد! غير أنَّه عندما أكون صادقةً حقيقةً مع نفسي، فإنَّ دور الأمِّ هو ما كنتُ أريد أن أؤدِّيَه. عندما أدخل إلى غرفهم على أطراف أصابعي في وقتٍ متأخِّرٍ من الليل، أنظر إلى وجوههم الصغيرة وأفكِّر، يا للروعة! إنَّه لأمر مدهش، أعجوبةٌ في طور النموِّ وها أنا الآن في قلبها مباشرةً.

مع محبَّتي، شيريل

قرَّرت لورا وتيري وشيريل أخيراً الإمعان في التفكير في الجوانب الإيجابيَّة من أدوارهنَّ. يمكننا، أنتِ وأنا، أن نتَّخذ القرار عينه.

ماذا يطلب الله؟

ما معايير تقييم الله لكِ ولي في الأدوار المُعطاة لنا؟ النجاح، الكمال؟ تقول لنا كلمته: "ثُمَّ يُسأل في الوكلاء لكي يوجَد الإنسان أمينًا" (١ كورنثوس ٤:٢).

الأمانة هي معيار الله! ليس مطلوبًا منَّا نحن خدَّامه أن نكون أشخاصًا كاملين أو ناجحين؛ بل أن نكون أمناء فقط. لقد أُعطينا وديعة. لقدِ استودِعْنا أشياء كثيرة: مواهبنا الطبيعيَّة ومواهبنا الروحيَّة ومواردنا الماليَّة. إنَّ الدور المُعيَّن لنا هو أيضًا وديعة. لقد منح الله بمحبَّته كلًّا منَّا عطيَّةً العزوبة، أو عطيَّة الزواج، أو عطيَّة الترمُّل. وهو في هيمنته قد قال لنا إنَّنا نستطيع في هذا الدور أن نمجِّده بشكلٍ أفضل.

أَتجعلكِ ثقتكِ بالله تقبلين الكأس والقسمة اللتَين عُيِّنتا لكِ من يده المُحِبَّة؟ هل ستقرِّرين استخدام دورك كموقعٍ لخدمة الآخرين؟ هل ستقومين بتلاوة هذه الصلاة؟

أيُّها الآب القدُّوس، أنت عالِمٌ بأفراح وآلام دَوْري. أنا أعترف بأنَّني ناضلتُ بقوَّةٍ وعزمٍ ضدَّ ما قد وهبتني إيَّاه. امنحني الشجاعة لأكون خادمةً. آه يا إلهي، إنِّي أتوق إلى أن أكون أمينة لك. وأنا أقبل الدور الذي عُيِّن لي كعطيَّة من لدنك. علِّمني أن " أكفَّ عنِ المقاومة وأن أعرف أنَّك الله".

آلينا وليندا

إنِّي أتذكَّر بجلاءٍ تامٍّ اليوم الذي قابلتُ فيه آلينا. كيف لي أن أنسى خبرة التحدُّث الأغرب التي مررتُ بها؟ إنَّني أتذكَّر ما قد فكَّرتُ فيه حينذاك، هذه مزحة! إنَّ هؤلاء النسوة العزيزات لا يمكنهنَّ أن يتعلَّمن شيئًا. إنَّني حتَّى لا أعرف ما أقوله!

لقد كانت معجزةً أن أتمكَّن حتَّى من التفكير. كانَتِ الغرفة الصغيرة في جبال بولندا تعجُّ باثنتي عشرة امرأة وباثني عشر طفلًا صغيرًا على الأقلّ. حتَّى آلينا، وضعت ابنها ذا الأعوام الثلاثة فوق ركبتَيها وهي تترجم كلماتي من الإنكليزيَّة إلى اللغة البولونيَّة. أثناء تقديم رسالتي، تذكَّرتُ أنَّني أحمل علكةً وأقلامًا في محفظتي. قمتُ بتوزيع العلكة وأنا أطوف في أرجاء الغرفة متابعةً حديثي، وأخذتُ الأطفال الصغار وأجلستُهم إلى طاولةٍ وضعتُ فوقها الأقلام والورق. كان المشهد كلُّه مثيرًا للضحك! غير أنَّ آلينا، ولدهشتي الشديدة، رأتْ أنَّ الرسالة التي قدَّمتها كانت رائعة.

وفي وقتٍ لاحقٍ من بعد ظهر ذلك اليوم، اصطحبتني إلى بيتها، وأجلستني على كرسيٍّ بلا مسندٍ لليدين أو الظهر في مطبخها ثُمَّ انحنتْ حتَّى أصبح بإمكانها أن تنظر في عينيّ. وقالت لي متوسِّلة "ليندا، علِّميني كيف أقدِّم الخدمة إلى النساء".

وقد تمتَّعتُ منذ ذلك اليوم، وقد مضى على ذلك ثلاثة عشر عامًا، برؤية كيف استخدمَ الله قلبًا كقلب آلينا وما برح مستمرًّا

يستخدمه. لقد عُلِّمَت آلاف النسوة وشُجِّعنَ وأُرشِدنَ من خلال كلمات آلينا إضافةً إلى العديد من الكتب والمجلات المسيحيَّة. والأفضل من ذلك كلِّه، أصبحت آلينا صديقة عزيزة لي! لم نعِشْ قطُّ في البلد ذاته. إنَّ المحيطات تفصل الآن ما بيننا، ومع ذلك، فإنَّ الفرح و"الحديد يفلُّ الحديد، يبقيان". إنَّ علاقتي بآلينا هي حقًّا هبةٌ من الله. علاقات الصداقة كلُّها هكذا- أو ينبغي أن تكون هكذا.

الفصل ٥

قانعة بعلاقاتي

علَّقتُ المكالمة الهاتفيَّة وأنا أشعر بالصدمة. مع أنَّني اعتقدتُ أنَّ علاقتي بجانا كانت علاقةً جيِّدة، فإنَّ اتِّصالها الهاتفيَّ الغاضب أثبت خلاف ذلك. كيف أمكنها أن تقول تلك الأشياء؟ إنْ كانت تعاني من مشكلةٍ ما معي، فَلِماذا لا تأتي إليَّ وتتحدَّث بشأنها؟ لقد أوليتُ اهتمامًا لأمر جانا وأولادها الصغار، واعتقدتُ بأنَّني استطعتُ أن أوصل إليهم محبَّتي واهتمامي. إنَّ كلماتِها القاسيةَ نزلت كالمطرقة على فؤادي، إذ قدِ اتَّهمتني بالأنانيَّة.

حاولت أن أنام؛ لكنَّ عباراتِها القبيحةَ ظلَّت تدور في رأسي كشريط تسجيلٍ يُعاد تشغيله أوتوماتيًّا. مرَّتِ اتِّهاماتُها مرارًا وتكرارًا في خاطري. مع أنَّني حاولتُ أن أصلِّي، وأن أفكِّر في أمورٍ أخرى، فإنَّ كلماتِ جانا كانت قدِ استحوذت على أفكاري. أردت أن أصرخ قائلةً: **"اذهبي عنِّي! إنَّني لا أريد أن أسمعكِ ثانية!"** أخيراً، استسلمتُ للنوم لمدَّةٍ وجيزة لأستيقظ بعد بضع ساعات وأكتشف أنَّ الشريط ما يزال يدور.

عرفتُ أنَّه يتوجَّب عليَّ أن أسامح جانا، لكنَّني شعرتُ بأنَّها لا تستحقُّ غفراني. لم أستطع أن أمتنع عنِ التفكير بكلماتها الظالمة. صلَّيتُ، وبكيتُ، واستشطتُ غضبًا من زوجي، حتَّى إنَّني حنقتُ على كلبنا باري. مع أنَّني

عالمةٌ بأنَّ الله غير راضٍ عن عدم قدرتي على المسامحة، فإنَّه كان من المستحيل أن أنسى العبارات التي ترسَّخت بقوَّةٍ في قلبي. فالخيانة مؤلمة.

سألت خمسًا وعشرين امرأة إنْ كنَّ قد تعرَّضن لجرح إحساسهنَّ من قِبَل شخصٍ يولينه اهتمامًا كبيرًا. أَتُصدِّقنَ أنَّ كلاًّ منهنَّ قدِ اختبرت نوعًا ما من أنواع مشاعر الألم أوِ الرفض؟ ثُمَّ سألتُ كم واحدة منهنَّ قد جرحتْ قصدًا أو بغير قصد شخصًا آخر. مرَّة أخرى، أجبنَ جميعًا بالإيجاب. أجرتْ صحيفة "أميركا اليوم" مسحًا إحصائيًّا للبالغين، سائلة إيَّاهم عنِ الاهتمامات التي تشغل بالهم على الدوام. أجابتْ أعلى نسبة منهم، وهي ٦٤٪، بأنَّها العلاقات مع الأشخاص الذي يحبُّونهم.[١]

هذا صحيح، إنَّ مصدر الكثير من مشاعر الاستياء التي نحسُّ بها هو تفاعلنا وارتباطنا بعلاقاتٍ تبادليَّة مع بعضنا البعض. فكِّري في علاقاتك. أتعيشين في سلام بنسبة ١٠٠٪ مع زوجكِ؟ أولادكِ؟ رفيقة حجرتكِ؟ زملائك في العمل؟ أسرتك؟ أصدقائك؟

لقد أوصانا الكتاب المقدَّس أن نحبَّ بعضنا بعضًا، وأن نخدم ونشجِّع بعضنا البعض. إنَّ طاعتنا لهاتَين الوصيَّتَين تُضفي الفرح والجمال على الحياة. لا شيء أروع من حبِّ الزوج، ومحبَّة الصديق. وما من شيءٍ يجرح كخيانة ذلك الحبّ. إنَّني أتَّفق مع جارتي السابقة التي قالت: "كان بإمكاني أن أكون قانعة راضية لو أنَّني لم اضطرَّ إلى التواصل مع الناس!"

الأزمات التي تواجهها العلاقات

إليكم هنا بعض أزمات العلاقات التي سمعتُ بشأنها في الأشهر القليلة الأخيرة.

مشكلة جولي: زوجها

"لو لم أكن غاضبةً إلى هذا الحدّ، لكان ما حصل مدعاةً للتسلية. هدَّد نزيف دمويٌّ من الأنف بتلطيخ مقاعد سيَّارة يوئيل الجلديَّة. فمددتُ يدي لأتناول علبة المناديل الورقيَّة من صندوق القفَّاز في السيَّارة، فسحبتُ بعض بطاقات الصور الإباحيَّة. إباحيَّة؟ زوجي أنا؟ إباحيَّة! تلك الصور في سيَّارة يوئيل! إنَّ هذا مثيرٌ للاشمئزاز! أردتُ أن أتقيَّأ.

"انتقلتُ من أنفٍ نازف إلى قلبٍ دامٍ. كيف أمكنه أن يفعل ذلك؟ شعرتُ بالنجاسة والقذارة والانتهاك".

مشكلة ميشيل: زملاء العمل

"كَربٌ، ألمٌ عاطفيّ، رفض، وإذلال". بحثتُ عن كلمةٍ تعبِّر عن يأسي، لكنَّني لم أعثر على واحدةٍ تعبِّر عمَّا شعرتُ به حين قيل لي إنَّه ليس بإمكاني أن أدرِّس في برنامج خدمة المرأة. وكان الأمر الأشدُّ إحباطًا عندما سألتهنَّ عنِ السبب، ولم تتمكَّن أيٌّ منهنَّ أن تقدِّم تفسيرًا.

"كيف كان بإمكان نساءٍ مسيحيَّاتٍ مؤمنات أن يعاملنَ أختًا لهنَّ بهذا الأسلوب؟ لقد وهبتُ ذاتي للنسوة اللاتي يحضرن دروس الكتاب المقدَّس التي أعلِّمها. لقدِ استخدمني الله في حياتهنَّ. إنَّ هذا ظلمٌ وإجحاف!"

مشكلة ساندي: رفيقة الحجرة

"كيف تمكَّنتْ صديقتي المفضَّلة أن تسرق صديقي؟ عشتُ أنا ودانا في بيتٍ واحد مدَّةَ خمس سنوات. اعتقدتُ أنَّه لن تتزوَّج أيٌّ منَّا. غير أنَّ الله أدخل جيمس حينذاك إلى حياتي. كنتُ مقتنعةً أنَّه كان الشخص الذي طالما

انتظرتُه، وأنَّ هذه العلاقة ستؤول إلى الزواج. أَحاولتْ دانا عن وعيٍ وإدراكٍ منها أن تسرقه منِّي وتبعده عنِّي؟ أَلديها أيَّة فكرةٍ عنِ الألم البالغ الذي سبَّبته لي؟ ليس بإمكاني أن أستمرَّ في العيش معها في هذا المنزل. إنَّني لم أفقد صديقي فحسب؛ بل فقدتُ أفضل صديقةٍ عندي أيضًا".

مشكلة سارة: الأصدقاء

شعرتْ سارة أيضًا بأنَّها قد طُعنَت في ظهرها. فلْنلقِ نظرةً خاطفةً على يوميَّاتها:

> آه يا إلهي، إنَّني أشعر بالخوف وأرتعش. إنَّني أخشى الموت أثناء العمليَّة الجراحيَّة. أريد أن أقعَ في الحبّ، وأتزوَّج، وأنجب أولادًا. يا إلهي، أريد أن أكون جدَّة! إنَّني لا أريد الموت في سنِّ الثلاثين. يخفق قلبي بسرعةٍ حتَّى إنَّني أستطيع معها سماع نبضاته. أشعر بالبرودة في يديَّ وبالجفاف في حلقي. أين أنت يا الله؟ إنَّني أشعر بوَحدةٍ كبيرة. لماذا عليَّ أن أُمضيَ عشيَّة العمليَّة الجراحيَّة وحيدةً في هذه الغرفة المعقَّمة؟ لولا مرض أمِّي لكان بإمكانها أن تكون هنا.
>
> أين جواني وسو؟ لقد وعدتاني بالحضور لزيارتي في هذه الليلة- إنَّهما تعلمان مقدار خوفي من هذه العمليَّة. اعتقدتُ أنَّهن سيقدِّرن... لقد وَعَدنَني. أين هما الآن؟

كيف شعرتْ كلُّ واحدةٍ من هؤلاء النسوة؟ بالخيانة. لقد شعرتُ أنا بها، وأنتِ أيضًا شعرتِ بها. وكذلك الربُّ يسوع.

مثال يسوع

إنَّ كلَّ مشاعر الألم والخوف والرفض التي انتابتكِ في يومٍ من الأيَّام، هي ذاتها ما شعر به الربُّ يسوع في بستان جثسيماني. عندما جاء إلى البستان في تلك الليلة ليصلِّي، كان يسوع يعرف أنَّه سيتعرَّض للخيانة، وأنَّه سيموت ميتةً مؤلمةً على الصليب. لقد أفضى بذلك إلى أصدقائه قائلًا لهم إنَّ قلبه كان على وشك أن يتحطَّم من الحزن. وطلب إليهم أن يمكثوا معه ليخفِّفوا من أساه، فقبلوا. ثُمَّ ابتعد يسوع عنهم مسافةً قصيرةً وصلَّى قائلًا: "يا أبتاه إنْ أمكن فلْتعبرْ عنِّي هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (متَّى ٤٢:٢٦). والتماسًا للراحة، عاد إلى تلاميذه بعد ساعةٍ فقط ليجدَهم نيامًا. كيف كان بإمكان ثلاثةٍ من صيَّادي الأسماك ذوي الأجساد القويَّة؛ والذين قد أمضوا ليالٍ عديدةً دون نوم وهم يواجهون المشقَّات في بحر الجليل، أن يفتقدوا إلى القوَّة إلى هذه الدرجة بحيث لم يتمكَّنوا من البقاء مستيقظين ليسهروا معه ساعةً واحدةً؟

يسهل علينا القول إنَّه **كان الله المتجسِّد؛ وهو لم يشعر بالألم والرفض كما نفعل نحن.** غير أنَّ الكتاب المقدَّس يقول لنا إنَّ يسوع كان يتألَّم، وابتدأ يحزن ويكتئب. "نفسي حزينة جدًّا حتَّى الموت" (متَّى ٣٨:٢٦). ومع أنَّه كان بحاجةٍ إلى أصدقائه؛ وقد دعاهم إلى مشاركته ألمه المبرِّح، فإنَّهم قد خذلوه. والأسوأ من ذلك أنَّ هذا قد تكرَّر بعد ذلك مرَّتَين! إنَّ الشعور بخيبة الأمل لمرَّةٍ واحدة شيء، لكن أَتتصوَّرين كيف سيكون شعورك لوِ استمرَّ أصدقاؤكِ في خذلانك؟

إنَّكِ تعرفين نوع الألم الذي يمكن أن يتسبَّب به الأصدقاء لك، أو إنَّك ربَّما تسبَّبتِ في جَرْح مشاعر شخصٍ آخر أو خيانته. وكنتِ واحدةً من

الأصدقاء الذين ناموا في حين أنَّك وعدتِ أن تسهري وتصلِّي. وربَّما كنتِ مثل "بطرس"، مُنكِرةً ولاءك لصديقةٍ في وقت حاجتها الألحّ. إنَّ الحواجز في علاقتك هي نتيجةُ خطأكِ، أو ربَّما خطأكما معًا. أنتِ في حالة انتظار، وما من علاجٍ قد سكَّن الألم.

عندما نحبّ، نعرِّض أنفسنا لاحتمال التعرُّض للأذى. إنَّ معظم شعورنا بعدم الرضا وافتقاد السلام ناتجٌ عمَّا نتوقَّعه في علاقاتنا. مع أنَّ يسوع طلب من أصدقائه أن يحملوا معه حزنه، فإنَّهم قد تخلَّوا عنه. ماذا كانت ردَّة فعله؟ "قوموا ننطلق..." (متَّى ٢٦:٤٦).

لو أنَّني كنتُ في مكانه لصرختُ قائلة: "انسَوا الأمر! إن لم تستطيعوا أن تسهروا وتصلُّوا معي لمَّا كنتُ أقطرُ دمًّا؛ وإن لم تتمكَّنوا من أن تشعروا بألمي بعد كلِّ ما فعلتُه من أجلكم؛ وإن لم تستطيعوا أن تنسَوا أنفسكم لليلة واحدةٍ فقط، فسوف أمضي بدونكم. إنَّكم لم تكونوا هناك حين احتجتُ إليكم. وداعًا".

هل لاحظتم أنَّ يسوع قال: "قوموا ننطلق"؟ لقدِ استخدم الضمير نحن، حتَّى بعد أن خانه أصدقاؤه، مدَّ يسوع يده إليهم.

لقد سامحهم بالرُّغم من أنَّهم قد ألحقوا به الأذى مرارًا. إنَّه يسألنا أن نفعل الشيء ذاته. "لأنَّكم لهذا دُعيتم فإنَّ المسيح أيضًا تألَّم لأجلنا تاركًا لنا مثالًا لكي تتبعوا خطواته" (١بطرس ٢:٢١).

حين أنظر إلى ردِّ الفعل الذي أبداه السيِّد المسيح تُجاه الخيانة، أعرف بأنَّني مذنبة. يجب أن أكون مستعدَّة لأن أتغاضى عنِ النقائص كما فعل يسوع. إن أصررتُ إمَّا أن أحقِّق الكمال أو لا أحقِّق شيئًا، فسوف أنتهي صفرَ اليدين. يجب أن أكون على استعدادٍ للصفح! وكذلك يجب أن تكوني

أنت، إن كنتِ تواقَّةً إلى الحصول على القناعة والرضا. وما لم نفعل ذلك، فإنَّ قلوبنا المضطربة لن تعرف الراحة.

الصفحُ ليس خِيارًا

لن أنسى ما حييت المرَّة الأولى التي زرتُ فيها أوشفيتز، معسكر الاعتقال الألمانيَّ الواقع في الريف البولنديّ. لم ينبس أيُّ شخصٍ في مجموعتنا ببنت شَفة. بدَتِ ابنتي وكأنَّها على وشك أن تُصاب بالغثيان، ممَّا يجعلنا اثنتَين. إنَّ في أوشفيتز صرحًا ضخمًا من الزجاج مليءٌ بأحذية الأطفال، والشَّعر البشريّ، والنظَّارات، يمثِّلون جميعًا آلاف الأشخاص الذين قُتِلوا هناك. كما تغطِّي الجدرانَ، باللونَين الأسود والأبيض، صورٌ جداريَّةٌ بأحجام مختلفة للحرب العالميَّة الثانية، ويُعدُّ الكثير منها سجلاً حيًّا لفظائع المعسكر: الأفران، ورشاشات المياه، والقبور الجماعيَّة.

زرنا أماكن السكن حيث كان السجناء ينامون على صفوف متعدِّدة من أرفف الأَسرَّة المتراصَّة فوق بعضها البعض على فُرُشٍ من الخشب. حين كانت أمكنة النوم غير المريحة تلك تأوي القمل والبراغيث وحشراتٍ أخرى غيرها. وكان لدى السجناء دلوٌ لاستخدامه كمرحاض. بالرُّغم من أنَّ درجة الحرارة في بولندا يمكن أن تهبط إلى ما دون درجة التجمُّد بكثير، فإنَّ المباني ما كانت مدفَّأة. فلا عجب أنَّ القليل جدًّا من الأشخاص قد بقَوا على قيد الحياة.

بقدر ما كانت معسكرات الاعتقال رهيبة، فإنَّ سجنًا آخر هو بمثل فظاعتها- إنَّه سجن المــرارة. في كتاب "**نمــاء القوَّة في فصول الحياة**" (*Growing Strong in the Seasons of life*)، يُعبِّر **تشارلز سويندول** (**Charles Swindoll**) بصورة مؤثِّرة عمَّا يحصل حين تأسرنا قيود المرارة:

> تتسرَّب المرارة بالتدريج إلى داخل قواعـد حياتنا كما تنسكب المياه من أنبوب صرفٍ صحِّيٍّ مكسـور. يبدأ كلُّ شكلٍ من أشكال البشاعة في الطفـو على سطح تلك المياه العكرة: الحكم المسبَّق واللغـة البذيئة، الريبـة والكراهيَّة، القسـوة والسخرية. مـا من عـذابٍ داخليٍّ كعذاب الشعور بالمرارة، والذي هو من صُنْع نفسٍ ترفض الصفح. ترفض أن تسكن وتستريح، وترفض أن تُشفى، وترفض أن تَنسى. ما من سجنٍ أكثـر تسبُّبًا بالضرر والدمار كقضبان سجن المرارة التي لن تدَعَ المعركة تنتهي.[٢]

بالرُّغم من شرورها، فإنَّ المرارة تُبقي الكثيرين منَّا أسرى لها. إنَّ الصفح هو الطريق الوحيد للهروب من هذا السجن.

والسؤال هنا: كيف أمكنني أن أصفح عن جانا في حين أنَّها تسبَّبت لي بجرحٍ عميق جدًّا؟ كيف أمكَنَ ميشيل أن تصفح عنِ النساء في كنيستها؟ كيف أمكَنَ ساندي أن تصفح عن رفيقة حجرتها؟ كيف أمكَنَ سارة أن تصفح عن صديقاتها؟ وجولي- كيف يمكن لأيَّة امرأة أن تصفح عن زوجٍ ينظر إلى صور نساءٍ عاريات؟

إنَّ الصفح بالنسبة إلى المسيحيِّين ليس خِيارًا. لقد **أوصانا يسوع** أن نصفح؛ وقد أعطانا مثالًا للصفح نقتدي به. إنَّ عجزنا عنِ الصفح لا يجرح مخلِّصنا فحسب؛ بل يتسبَّب في دمارنا أيضًا. كما أنَّ عدم الصفح يؤدِّي إلى انغراس جذور المرارة عميقًا في قلوبنا. تقول الرسالة إلى العبرانيِّين: "ملاحظين لئلاَّ يخيب أحدٌ من نعمة الله. لئلاَّ يطلع أصل مرارةٍ ويصنع انزعاجًا فيتنجَّس به كثيرون" (عبرانيِّين ١٢: ١٥).

إنَّ كلَّ إشارةٍ إلى المرارة في العهد الجديد تأتي من ذات المصدر اليونانيِّ (pic)، الذي يعني "القَطْع، الوخز". بكى بطرس بكاءً مرًّا بعد أن أنكر الربّ (لوقا ٢٢:٦٢). كان ضميره "يوخزه، ويجرحه في الصميم" لأنَّه قد خذل يسوع.

كم مرَّةً يجب عليَّ أن أغفر؟

بطرس ذاته هو مَن سأل الربّ: "كم مرَّةً يُخطئ إليَّ أخي وأنا أغفرُ لهُ؟ هل إلى سبع مرَّات؟" (متَّى ١٨:٢١). قال الكهنة إنَّ على الإنسان أن يغفر ثلاث مرَّات، ولهذا اعتقدَ بطرس أنَّه يُظهر فضيلة استثنائيَّة باقتراحه سبع مرَّات. لا بدَّ أنَّ جواب يسوع قد جعل بطرس يجمد في مكانه: "لا أقول لك إلى سبع مرَّاتٍ بل إلى سبعين مرَّة سبع مرَّات" (الآية ٢٢). ما كان يسوع بصدد اقتراح الرقم ٤٩٠ كعدد مرَّاتٍ سحريٍّ للصفح؛ بل إنَّه كان يعني، "استمرُّوا في الصفح؛ اصفحوا قدر ما يلزم من المرَّات". ثُمَّ أتبعَ يسوع جوابه بمَثَلٍ حول الصفح.

> لذلك يشبه ملكوت السموات إنسانًا ملكًا أراد أن يحاسب عبيده. فلمَّا ابتدأ في المحاسبة قُدِّم إليه واحدٌ مديونٌ بعشرة آلاف وزنة*. وإذ لم يكن له ما يوفي أمَرَ سيدُهُ أن يُباع هو وامرأته وأولاده وكلُّ ما له ويُوفى الدَّين.
>
> فخرَّ العبد وسجد له قائلًا يا سيِّد تمهَّل عليَّ فأوفيك الجميع. فتحنَّن سيِّد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدَّين. ولمَّا خرج ذلك العبد وجد واحدًا من العبيد

* تُعادل الوزنة الواحدة نحو ٦٠٠٠ دينار، علمًا بأنَّ الدينار الواحد، حينذاك، كان يساوي أجرة عاملٍ لقاء يوم عملٍ واحد (الناشر).

رفقائه كان مديونًا له بمئة دينار. فأمسكه وأخذ بعنقه
قائلًا أوفني ما لي عليك. فخرَّ العبد رفيقه على قدمَيه
وطلب إليه قائلًا تمهَّل عليَّ فأوفيك الجميع. فلم يُرِد
بل مضى وألقاه في سجنٍ حتَّى يوفي الدَّين. فلمَّا رأى
العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جدًّا وأتَوا وقصُّوا على
سيِّدهم كلَّ ما جرى.

فدعاه حينئذٍ سيِّده وقال له: أيُّها العبد الشرِّير
كل ذلك الدَّين تركته لك لأنَّك طلبت إليَّ. أفما كان
ينبغي أنَّك أنت أيضًا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك
أنا؟ وغضب سيِّده وسلَّمه إلى المعذِّبين حتَّى يوفي كلَّ
ما كان له عليهِ. فهكذا أبي السماويُّ يفعل بكم إن لم
تتركوا من قلوبكم كل واحدٍ لأخيه زلاَّتِه"

(متَّى ١٨:٢٣-٣٥)

إنَّ هذا أمرٌ جِدِّيّ. هل سمعتِ ما قاله يسوع؟ بعباراتٍ أخرى، إذا ما رفضتُ أن أسامح جانا، وزوجي، وأولادي، وزميلتي، وصديقتي، فلسوف أصبح ضحيَّة التعذيب- أي العذاب النفسيِّ الداخليِّ المبرِّح؛ ولسوف تأكلني جذور المرارة وأنا حيَّة، وسأصبح محاطةً بأسوار معسكر اعتقالٍ من صنعي أنا.

يصف سويندول عواقب نفسٍ ترفض الصفح على هذا النحو: "إنَّ الإنسان المسيحيَّ مرشَّحٌ ليصبحَ أسيرَ معاناةٍ لا توصف إلى أن يغفر للآخرين تمامًا، وإنْ كان الآخرون مخطئين".[٣]

هل تدركين عمق مغفرة الله لك؟ إنَّه يترك لكِ دَينَكِ الهائل الذي تدينين به له، وهو قد ترك لي دَيني أيضًا. أَكثيرٌ عليه أن يطلب منِّي أن أسامح جانا

وأترك لها الدَّين الذي عليها؟ وأن يطلب من جولي أن تسامح زوجها؛ ومن ميشيل أن تسامح النساء في كنيستها؛ ومن سارة أن تسامح صديقتها؛ ومن ساندي أن تسامح رفيقة حجرتها؟ وأن يطلب منكِ أنتِ أن تصفحي؟

إنَّ الصفح هو المفتاح الذي يفتح أقفال باب الاستياء وأغلال الكراهيَّة. كما يُحطِّم الصفح سلاسل المرارة وقيود الأنانيَّة. بينما كان يُحتَضَر على الصليب، قال يسوع: "اغفر لهم"- الجنود الرومان، القادة الدينيُّون، تلاميذه الذي فرُّوا في الظلام، وحتَّى أنتِ وأنا اللتان أنكَرتاه مرَّاتٍ عديدة. "اغفر لهم لأنَّهم لا يعلمون ماذا يفعلون".[٤]

أطلق الكاتب فيليب يانسي على الصفح عبارة "الفعل غير العاديّ".[٥] إنَّه محقٌّ في قوله. فهو يبدو شعورًا غير طبيعيّ. غير أنَّ الصفح ليس شعورًا بل هو خِيار قلبٍ سرِّيّ. لقدِ استخدم الله خلافي مع جانا ليعلِّمني هذه الحقيقة.

يجب أن أختار المسامحة

لقد ساعدتني قصَّةٌ عن كلارا بارتون، مؤسِّسة الصليب الأحمر الأمريكيّ، على إدراك أنَّه كان بإمكاني أن ألغيَ دَين جانا. ففي أحد الأيَّام، ذُكِّرت كلارا بعملٍ قبيحٍ قام به أحد الأشخاص تُجاهها قبل سنوات. غير أنَّها تصرَّفت وكأنَّها لم تسمع قطُّ بهذه الواقعة! سألتْها صديقتُها "ألا تذكرينها؟" فأجابتها كلارا قائلةً: "كلاَّ، إنَّني أتذكَّر بوضوحٍ أنَّني نسيتها".[٦] لقدِ اختارت عن وعيٍ أن تسامح شخصًا ارتكب عملًا قبيحًا، اختارت عن وعي أن تستمرَّ في المسامحة حين ذُكِّرت بذلك العمل. وعندما أجابت، "إنَّني أتذكَّر بوضوحٍ أنَّني نسيتها"، فإنَّ كلارا بارتون كانت تعني، "إنَّني أتذكَّر أنِّي اخترتُ أن أصفح وما زلت أختار الصفح".

كتبت جانا تسألني أن أسامحها. وبعد يومَين من الصراع الداخليّ، وقفتُ قدّام الله وأخبرتُه بأنَّني أودُّ أن أضع ''وتد مسامحة'' كما قد فعلتْ كلارا بارتون. ''إلهي، لقدِ اخترتُ أن أسامح جانا على الألم الذي سبَّبته لي. مع أنَّني لا أشعر شعور مسامحة، فإنَّني اخترتُ بإرادتي أن أسامحها''. إذ ذاكَ ذهبتُ إلى جانا وقلت لها: ''نعم، إنَّني أسامحك''. أَشَعرتُ بأنَّني أريد أن أسامحها؟ لا، غير أنَّني شعرتُ بإحساس سلامٍ من الله بأنَّ ما قمتُ به كان صوابًا.

لقد وجدت أنَّ عليَّ **الاستمرار** في اختيار المسامحة.

بعد أشهرٍ من مسامحتي جانا على ما فعلَتْ، اكتشفتُ أنَّ أشخاصًا عدَّة كانوا على علمٍ بموضوع خلافنا. اعتقدتُ أنَّ المسألة كانت محصورةً بيني وبينها. ها إنَّ جرحَ خنجرٍ جديدًا يوجَّه إلى قلبي. مرَّة أخرى وقفت قدَّام الله قائلة: ''يا ربّ، لقدِ اخترتُ أن أغفر لجانا الإساءة التي عرفتُها. وإنِّي أرى الآن مزيدًا من الأذى قد أدَّت إليه أفعالها. لقدِ اخترتُ أن أغفر لها هذا أيضًا'' .

يتردَّد صدى ذبذبات الخلاف بين الأشخاص مرَّاتٍ عديدة ويستمرُّ لأسابيعَ وشهورٍ وحتَّى سنوات. من الصعب بما يكفي أن يغفر الإنسان مرَّةً واحدة، فكم بالحريِّ الاستمرار في الغفران عندما يكون الشخص ما زال يتلقَّى الأذى. ومع ذلك، فإنَّ هذا هو ما طلب يسوع منَّا، أنا وأنتِ، أن نفعله. في الواقع، لقد طلب منَّا حتَّى أكثر من ذلك.

أبعدُ من المغفرة

لقد اتَّخذتُ قرارًا بأن أغفر لجانا وأن أستمرَّ في مسامحتها. إنَّ الله عرف، بلا شكّ، مدى التضحية التي قمتُ بها باتِّخاذي هكذا قرار. لقدِ اعتقدتُ أنَّني

تخلَّصتُ من المشكلة، بل وشعرتُ بقليلٍ من التفاخر إذ إنَّني قمتُ بعملٍ بارّ. كنتُ على استعدادٍ لأنْ أُثني على نفسي قائلةً: "حسنًا فعلتِ يا ليندا، ها قد أُنجزَتِ المهمَّة!" غير أنَّ الله أرادني أن أذهب إلى أبعد من ذلك. إذ تحدَّث إلى قلبي قائلًا: "ليندا، اذهبي إلى أبعد من الغفران".

أردت أن أقول: "لقد قمتُ يا إلهي بما فيه الكفاية!" وحدث بعد ذلك أنَّني قرأتُ في رسالة رومية:

> المحبَّة فلْتكنْ بلا رياء. كونوا كارهين الشرَّ ملتصقين بالخير، وادِّين بعضكم بعضًا بالمحبَّة الأخويَّة، مقدِّمين بعضكم بعضًا في الكرامة... باركوا على الذين يضطهدونكم- باركوا ولا تلعنوا... إن كان ممكنًا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس.
>
> (رومية ١٢:٩ - ١٠، ١٤، ١٨)

إنَّ هذه الآيات لا تقول إنَّ عليَّ أن أشعر بالمحبَّة، بل إنَّ عليَّ أن **أقرِّر** أن أُحبَّ، و**أقرِّر** أن أُكرِم. إنَّ المباركة خِيارٌ ينبع من إرادتي. لقد جسَّدتُ هذه الآيات على النحو التالي: "ليندا، لا تقولي فقط أنا أحبُّ جانا، بل فلْتكنْ أعمالك برهانًا على محبَّتكِ لها. كوني متفانية في محبَّتك الأخويَّة لها؛ قدِّميها عليك في الكرامة. باركي جانا ولا تلعنيها. كوني على وفاقٍ معها. إن كان ممكنًا، وحسب طاقتك، سالمي جانا".

كيف يمكنني أن أحبَّ وأُكرِم وأُبارك حين لا تكون هذه المشاعر نابعةً من صميمي؟ خطرت على بالي فكرتان وأنا أصلِّي.

- صلِّي لأجل جانا كي يباركها الله.
- اسعَي إلى القيام "بأفعال محبَّة، وأفعال لطفٍ وإحسان".

عندما صلَّيت لأجل جانا متسائلةً: "كيف يمكنني أن أباركها؟" أعطاني الله طرقًا خلَّاقةً لأمدَّ إليها يدي بالمحبَّة. فعندما كانت تشعر بالإحباط بشأن خدمتها، أرسلتُ إليها رسالةَ تشجيع. وعندما زارتها والدتها، دعوتُهما معًا إلى الغداء. **أَشَعرتُ** بأنَّني أحبُّها؟ لا. **أَشَعرتُ** بأنَّني أريد أن أباركها؟ لا. غير أنَّ الله يستمرُّ في حثِّي على المُضيِّ إلى أبعد من المغفرة- إلى وَضْع فعْل الغفران حيِّز التنفيذ؛ إلى اتِّخاذ قراراتٍ في السرِّ، في قلبي وفي إرادتي. إنَّه ليس ثمَّة علاقةٌ، بأيَّة حالٍ من الأحوال، بين مشاعري والخِيارات التي أقوم بها.

إنَّ المُضيَّ إلى أبعد من المغفرة هو أحيانًا أصعب من فعل الغفران الأوَّلي. إنَّنا نفكِّر قائلين: **"سأغفر لأنَّ الله قال لي إنَّه يجب عليَّ أن أفعل هذا. غير أنَّني سأتجنَّبها من الآنَ فصاعدًا!"** إنَّني أحبُّ صورة يسوع وهو ينشر المحبَّة، ويمدُّ يده باتِّجاه بطرس على نحوٍ شخصيٍّ بعد أن أنكره، لا مرَّةً واحدةً فحسب؛ بل ثلاث مرَّات. عندما رأَتِ النسوة القبر الفارغ، قال لهنَّ الملاك: "قد قام... اذهبنَ وقلنَ لتلاميذه ولبطرس إنَّه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترَونَه كما قال لكم" (مرقس ١٦:٦-٧).

لماذا قال يسوع: "ولبطرس"؟ كان بطرس واحدًا من التلاميذ؛ وقد كان مشمولًا معهم. أَمِنَ الممكن أن يكون يسوع قد عرف مقدار اضطراب بطرس وحزنه؟ إنَّ بطرس، وبعد أن حلف أنَّه لم يسبق له قطُّ أن كان مع يسوع، كان بحاجةٍ إلى التأكيد المحبِّ على أنَّه ما يزال أحد أصدقاء يسوع". لقد كانت عبارة "ولبطرس" فعل محبَّة.

هلِ الله هو المبارك المسيطر على علاقاتنا؟ نعم! لقد سمح بدخول الألم إلى حياتي من خلال جانا. وسمح بأن تشعر جولي وساندي وميشيل وسارة

بالألم. وهو يسمح بأن تشعري أنتِ بالألم. إنَّ العلاقات المتكافلة في الأُسرة وفي جسد المسيح، هي بعض أدواته الرئيسة "لجعلنا ننمو". لقدِ استخدم الله غدرَ صديقةٍ ليعلِّمني أن "أنمو" وأن أتشبَّه به أكثر.

كتبتُ أثناء تلك الأوقات ما يلي:

> لقدِ اختبرت شعورًا أكبرَ بالراحة في نفسي حين وثقتُ بأنَّ الله سيدَعُني أواجه أيَّة إهانة وأقبلها منه. إنِ اعتقدَ أنَّها صالحة، فسوف أتقبَّلها. هناك الكثير من الحرِّيَّة في القبول. إنَّ كلمة الله كانت راحتي كلَّ يوم. لم يمرَّ يوم إلاَّ وشَجَّعتني فيه كلمة الله وتحدَّتني وأراحتني ووبَّختني. لقد شعرتُ بالاتِّضاع قدَّام الله. اعتقدتُ بأنَّني أفعلُ حسنًا بالاحتراس ممَّا يخرج من فمي. إنَّ لديَّ الكثير الكثير لأتعلَّمه. إنَّني كنتُ لأعاود المسير في هذا الطريق لأتعلَّم ما قد تعلَّمته.

خِيارات العلاقات

ما الخيارات السرِّيَّة التي يمكنك أن تلتزمي بها في علاقاتك؟ هذه هي خياراتي:

- ما اخترتُ أن أكون: أمينةً لله
- ما اخترتُ أن أفعل: أغفرَ للآخرين، وأمضيَ إلى أبعد من الغفران
- ما اخترتُ أن أقول: عباراتِ المباركة والمحبَّة

إنَّنا لا نستطيع أن نتحكَّم بالآخرين: الزوج، الأولاد، الأصدقاء، رفيقة الحجرة، زملاء العمل، الأقرباء؛ ولا يمكننا أن نتَّخذ قراراتٍ بدلَ الآخرين، بل قرارات تتعلَّق بنا وحدنا! يمكننا أنْ نثق بالله ونضبط أنفسنا، ويمكننا أنْ نؤدِّيَ

الدور الخاصّ بنا لنحقّق السلام في علاقاتنا- وذلك يجلب الرضا والقناعة.

تسلّمت كاترين، وهي صديقةٌ عزيزة، رسالةً منِ ابنتها التي تجافيها. حملَتِ الرسالة في طيّاتها أخبارًا عائليّة، كما أخفَت بين سطورها رسالةً أخرى تصرخُ متوسّلةً: "أرجوكِ اقبليني، أرجوكِ أحبّيني، أرجوك سامحيني".

لقد كانت كاترين مجروحة ممّا فعلتْه ابنتها حتّى إنّه بالكاد أمكَنَها أن تقرأ الرسالة. ومع أنّها أحبّتْ السيّد المسيح، فإنّ المرارة قد جعلتها عاجزةً في علاقتها بابنتها. لم تدري ما الذي ينبغي أن تقوله أو كيف تقوله، لذا لم تقل شيئًا.

وبعد مرور سنتَين، طلبت كاترين، أخيراً، من صديقةٍ تثقُ بها أن تساعدها في كتابة ردٍّ على رسالة ابنتها. ثُمّ بعد كتابة العنوان ولصق الطابع والصلاة لأجلها، أُرسلَتِ الرسالة بواسطة البريد، وقد وصلتْ بعد موت كاترين بيومٍ واحد. ومع أنّ كاترين تمكّنت بنعمة الله من إبلاغ ابنتها بأنّها تحبُّها وقد سامحتها، فإنّ هذه الفرصة لا تسنح لأيٍّ كان. إنّ الحياة تمضي بسرعة. وقدِ استخدم الله خبرة كاترين ليحثّني على عدم الانتظار، بل أن أغفر الآن.

صديقتي العزيزة، لا تدَعي شيئًا- كالكبرياء، والغضب، وعدم معرفة كيف تستجيبين أو ماذا تقولين- يقفُ حائلًا بينك وبين منح الآخرين مغفرتك.

إيفا

سرتُ جيئةً وذهابًا أثناء انتظاري. إنَّ إيفا التي لا بيت لها آتيةٌ إلى بيتي. ومع أنَّ بيتَنا كان بعيدًا عن أن يوصف بالفخم، فإنَّه، بالمقارنة مع البيوت في بولندا، كان يُعدُّ قصرًا. لقد أردتُ مرَّاتٍ عديدةً الحصول على بيتٍ أكبر، غير أنَّني شعرتُ بالذنب اليوم لأنَّ الله قد أعطاني الكثير.

أخيراً، وصلت إيفا والصغيرة مونيكا. كانتا ستمكثان معنا مدَّة يومَين، ثُمَّ تسافران إلى إنسبروك لزيارة الأسرة التي عاشت معها إيفا حين كانت طالبةً في الجامعة. ابتسمت إيفا ونحن نجول في أنحاء البيت وقالت: "ما أجملَه من بيتٍ يا ليندا! إنَّ كلَّ شيءٍ رائع". لم تكدِّر وجهها سحابة من الطمع أوِ الحسد.

شعرتُ بالتوتُّر وأنا أراجع في ذهني معضلة سكنها. عاشت إيفا وزوجها ميريك وابنتها مونيكا عيشة الغجر خلال السنوات الثلاث التي عرفتُهم فيها لعدم توفُّر شققٍ سكنيَّة للأزواج الشباب في بولندا الشيوعيَّة. لقد أقاموا بدايةَ الأمر مع أهل ميريك، ثُمَّ مع أهل إيفا. ذهابًا وإيابًا من شقةٍ بالغة الصغر إلى أخرى مثلها. كانت إيفا حبلى الآن بطفلهما الثاني، وما زالت الأسرة دون مسكن. لو أنَّ ظروفنا كانت معكوسةً، لكان غيَّر الحسد والغَيرة ملامح وجهي، إنَّني على يقين من ذلك.

بعد العشاء، قالت إيفا إنَّها ستصعد إلى الطابَق العلويِّ لتغسل حِفاضات مونيكا. فقلت لها: "إيفا، لستِ بحاجةٍ إلى غَسْلِ

حِفاضات ابنتك باليد! لديَّ غسَّالة ونشَّافة. يمكنكِ استخدامهما". أجابت إيفا قائلةً إنَّها كانت معتادةً على غَسْل الحِفاضات باليد وإنَّ ذلك ليس بمشكلة.

بعد أن نامت مونيكا، جلستُ أنا وإيفا وتحدَّثنا. وطرحتُ عليها السؤال الذي كان يجول في خاطري طِوال اليوم قائلةً: "عندما ترَين جميع وسائل الراحة هنا المخصَّصة لأمَّهات الأطفال الصغار- من الغسَّالات، والحِفاضات التي نتخلَّص منها بعد الاستعمال، إلى طعام الأطفال الصغار في المرطبانات- كيف يكون شعورك؟ إنَّ الحياة في بولندا بالنسبة إليك أصعب بكثير!"

لقدِ اخترق جوابها قلبي إذ قالت: "ليندا، عندما عشتُ هنا في الغرب كنتُ ألاحظ أنَّ النساء الغربيَّات يملكنَ الكثير حتَّى إنهنَّ لم يعُدنَ بحاجةٍ إلى الله".

الفصل ٦

ليس كافيًا أبدًا

كُنَّا قد خطَّطنا لقضاء فصل الصيف في السفر والخدمة في عددٍ من دول أوروبا الشرقيَّة مع أولادنا، حيث نخيِّم في خيمتنا التي تنتصب عند فتحها. توقَّفنا بدايةَ الأمر في المجر (هنغاريا). يا له من كشفٍ لم نعلمه سابقًا قطّ! ما كنتُ لأتوقَّع أنْ يصبح المكان الذي ستخيِّم فيه عائلة ديلو عرضًا فرعيًّا. فمع أنَّ معظم الأمريكيِّين ينظرون إلى هذا النوع من الخيم على أنَّها رخيصةٌ وتُستخدَم من قِبَل ذوي الدخل المحدود، فإنَّها حُسبَت كفندق الهيلتون بالنسبة إلى زملائنا المخيِّمين حوالينا. إنَّ كلَّ ما كان متوفِّرًا في أوروبا الشرقيَّة خلال الثمانينات، كان نوعًا من الخيم الصغيرة جدًّا غير المريحة، ذات المنفعة العمليَّة واللون الواحد في الغالب.

في الليلة الأولى التي قضيناها في المجر، نصبنا خيمتنا وبدأتُ بإعداد طعام العشاء. خلال ثلاثين دقيقة، كان ثلاثون شخصًا يحدِّقون فينا عبر نوافذهم البلاستيكيَّة. لم نفهم ما الذي كانوا يقولونه ولماذا كانوا يضحكون ويشيرون إلينا. ما الشيء الغريب والمضحك في ما كُنَّا نقوم به؟ وحيث إنَّنا لم نتمكَّن من فهم ردود فعلهم، قرَّرنا أن ندعوَهم إلى خيمتنا. فبدأت كلُّ مجموعةٍ منهم تستكشف أعجوبة عملنا الأميركيّ.

بالطبع، ذهبوا لدعوة أصدقائهم، فصار لدينا صفٌّ من عشرين شخصًا حول المخيَّم.

من ثَمَّ سافرنا ساعاتٍ طويلةً إلى رومانيا حتَّى صار البحر الأسود ذو المياه الصافيَّة أمامنا. ومع أنَّني صمَّمتُ ألَّا أتذمَّر، فإنَّني لمَّا استنشقتُ رائحة موقع المخيَّم على بُعْد نصف ميلٍ أمامنا قبل أن نراه (إذ كان نظام الصرف الصحِّيِّ سيِّئًا)، انكمشتُ إلى الوراء مرتعدةً وقلت: "كفى، لا أستطيع البقاء هنا". بدلًا من ذلك الموقع نصبنا خيمتنا في موقفٍ للسيَّارات يقع على قطعة أرضٍ بين البحر الأسود وإحدى البحيرات هناك. لقد كان المكان مثاليًّا، والبحر على بُعْد دقيقتَين سيرًا عبر الرمال، كما كانَتِ البحيرة (ذات المياه العذبة الصالحة للاستحمام) على عتبة بابنا. كانت عدَّةُ عائلاتٍ قد خيَّمت أيضًا في موقف السيَّارات ذاك، ومن أعجوبة العجائب أنَّ إحدى النساء كانت معلِّمةً لِلُّغة الإنكليزيَّة، فاستطعنا أن نتواصل معها، فكانت تلك ميِّزة إضافيَّة.

جلسنا لساعاتٍ طويلة مع كارمن وزوجها نتحدَّث بشأن حياتهما في رومانيا وبشأن خيمتهما التي صنعاها من بقايا بعض المواد، وأيضًا بشأن آمالهما وأحلامهما. أدركتُ وأنا أصغي إليهما أنَّ تركيزهما كان منحصرًا بشكلٍ كامل على "المزيد، المزيد، والمزيد". لقد كان طموحهما الأعظم في الحياة هو امتلاك الأشياء فيكونان مثلنا نحن قاطني "أرض الوفرة". عندما أخبرتهما بإيماني وإيمان زوجي جُدي بالمسيح؛ وبشأن اتِّكالنا على الله، نظرا إلينا نظرة عدم التصديق. لماذا يرغب إنسانٌ في الاتِّكال على الله بينما يستطيع أن يجمع ما يريد من الأشياء؟

إنَّ الجشع لا يُراعي أيَّ شخص. كانت كارمن تملك القليل وقد كانت جشعة، غير أنَّ أصحاب الملايين يعانون أيضًا من مرض "أريد المزيد". عندما

سُئل المليونير الكبير جون دي. روكفلر: "ما الشيء الآخر الذي تريده في الحياة؟" أجاب: "شيئًا قليلًا بعدُ". سواءٌ أَعِشْنا في الشرق أم الغرب؛ وسواءٌ أَفقراء كنَّا أم أغنياء، فإنَّ علينا أن نختبر القناعة بما أعطانا إيَّاه الله.

لقد تطرَّقنا حتَّى الآن إلى المجالات التي نتعلَّم فيها القناعة: في ظروفنا، وأنفسنا، وأدوارنا ومسؤوليَّاتنا. وقد حان الوقت الآن للتركيز على الحواجز التي تمنعنا منِ اختبار القناعة. سنتطرَّق في حديثنا إلى ثلاثة حواجز: الجشع، فقدان الهدف، القلق.

قال إيمانويل كانْت: "أعطِ الإنسان كلَّ ما يرغب فيه، وعندها لن يبقى كلُّ ما رغب فيه هو ذاته".* عندما تبحث المرأة عنِ الاكتفاء والرضا في الممتلكات المادِّيَّة، تجرُّها "الأشياء" التي تريدها إلى أعمق أعماق الاستياء، وبالتدريج تصبح الأشياء التي تتوق إليها، هي ذات الأشياء التي تسيطر عليها.

يُعرِّف قاموس وبستر كلمة الجشع كما يلي: "رغبةٌ شديدةٌ في طلب المزيد زيادةً عمَّا يحتاجه المرء". تقول الآية في سفر الأمثال ١٥:٣٠ "للعلوقة بنتان هات هات". أي أنَّ الشجع دودة تمتصُّ الدماء. فالجشع ماكر وهو مثيرٌ للاشمئزاز. أيمكنكِ أن تتخيَّلي علوقة وابنتَيها اللتين تمتصَّان الدماء وهما تصرخان "هات هات. المزيد المزيد. الآن الآن"؟ فمع أنَّها ليست صورةً جميلة، فإنَّها وصفٌ ملائم.

إنَّ الله يكره الجشع، وأنا أكرهه كذلك. ومع ذلك، فإنَّه واسع الانتشار. إنَّني أراه حواليَّ في كلِّ مكان، كما أراه في داخلي. قد تتربَّص العلوقة بكِ عند مدخل منـزلكِ أيضًا. لنرَ أين يوجد الجشع في هذه الدولة وفي بيتك، ثُمَّ

* المقصود أنَّه عندما يمتلك الإنسان كلَّ ما رغب فيه، فإنَّه لن يتوقَّف عن طلب المزيد. فما رغبَهُ سابقًا لم يَعُدْ كافيًا الآن (الناشر).

لنبحث في الكتاب المقدس عن وجهة نظر الله ونسعى إلى معرفة ما يمكننا أن نفعله لمقاومة هذا المرض.

حالة الاتِّحاد

ذكر الدكتور **ريتشارد سوينسون (Richard Swenson)** العبارة التالية في كتابه الرائع "**الهامش**" (*Margin*)، وإليكِ ما قاله: "في آخر إحصاء، كانت هناك نحو مئتَين وعشر دول في العالم. في كلِّ سنة يُنفق الأميركيُّون على أكياس القمامة أكثر من الناتج القوميِّ الإجماليِّ للفرد في ٩٠ دولةً من هذه الدول. والأمر الأكثر إثارةً للدهشة هو أنَّنا ننفق على تناول الطعام خارج بيوتنا ما يفوق الناتج القوميَّ الإجماليَّ للفرد في ٢٠٠ دولة من هذه الدول".[١]

كيف حدث هذا؟ كيف حصلنا على كلِّ هذا حتَّى إنَّ ما لدينا لنرميَه في سلَّة القمامة، يفوق ما يملكه معظم الناس؟ إنَّ أحد الأسباب هو الدعاية والتسويق اللذان يهدفان إلى خلْق سوقٍ لمُنتَجٍ ما. وأيَّة طريقةٍ لتحقيق ذلك أفضل من إقناع المشترين المحتملين بأنَّهم بحاجةٍ إلى تلك المُنتَجات؟

كان كاتالوج "سيرز" الأوَّل من نوعه في السوق. قالت لي والدتي إنَّه قبل وصول "كتاب الأمنيات العظيم"، لم يعلمِ الناس عن كلِّ الأشياء التي "كانوا يحتاجون إليها". وتذكر والدتي كيف كانت تشعر بالسعادة الغامرة لأنَّها كانت تحصل على لعبةٍ وبرتقالةٍ في عيد الميلاد. غير أنَّ مشاعرها تغيَّرت عندما رأت كاتالوج "سيرز". فليلةً بعد ليلة، كانت هذه الكنوز غير المعروفة بين غلافَي الكاتالوج تسحر أمِّي وخالتي وتجذبهما إليها. أخبرتني والدتي أنَّها بدأت تصدِّق أنَّهما كانتا بحاجةٍ إلى تلك الكنوز. لقد أرادتا تلك الكنوز، وكانتا تظنَّان أنَّهما تستحقانها.

كم تغيَّر الزمن! سجَّلَتِ امرأةٌ أعرفها عدد الكاتالوجات التي كانت توضع في صندوق بريدها خلال ثلاثة أشهر. أتصدِّقين أنّه كان يوجد سبعون كاتالوجًا؟ هناك هجومٌ يوميٌّ على حواسنا، والحرب الدعائيّة لا تُقاوَم. كما أنَّ الإثارة المرئيَّة هي إحدى الاستراتيجيَّات التي تُستخدَم لمساعدتنا- نحن المستهلكين المحرومين- على إدراك ما نحن بحاجةٍ إليه. غير أنَّنا إذا كُنَّا حقًّا بحاجةٍ إلى غرضٍ ما، فلن يُضطر أصحاب الدعاية والإعلان إلى إجهاد أنفسهم في إقناعنا بشرائه. وهكذا فإنَّهم يعملون على خلْق الحاجة أمامنا، وإثارة مشاعر الاستياء فينا. أمَّا هنري كيسنجر، وزير خارجيَّة الولايات المتَّحدة سابقًا، فقال: "إنَّ المأساة بالنسبة إلى الأميركيِّين هي الرغبة القويَّة والملحَّة في الحصول على شيءٍ ما وعدم القدرة على امتلاكه".

يا له من وصفٍ يبعث على الأسى.

الشراء على الحساب!

إنَّنا لا نريد المزيد فحسب؛ بل إنَّنا لا نرغب أيضًا في الانتظار للحصول عليه. إنَّنا نريده ونريده الآن، ونتيجة لذلك، فإنَّنا نشتريه بالدَّين. أعلنت مجلَّة "**USA Today**" أنَّ ديون الأميركيِّين على بطاقات الائتمان في عام ١٩٩٤ بلغت ٣٦٦ بليون دولار، وهو رقم أعلى بمقدار ٥٥٪ من عام ١٩٩٠. هذا يعني أنَّ كلَّ رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ في الولايات المتَّحدة مديون بمبلغٍ قدره ١٤٠٠ دولار.[٢] ويعتقد **ديف رامسي (Dave Ramsey)**، مؤلِّف كتاب "**السلام الماليُّ: استعادة الأمل الماليِّ لك ولعائلتك**" (*Financial Peace: Restoring Financial Hope to You and Your Family*)، أنَّ سوء استخدام بطاقات الائتمان هو "مرض من صميم الثقافة". إنَّ إحصائيَّاته مخيفة. يحمل الأميركيُّ من خمس إلى سبع بطاقات ائتمان، معدَّل رصيد كلٍّ منها ١٦٧٠ دولارًا![٣]

لماذا تُبتلى بيوت كثيرة بالديون؟ يعلِّق رامسي قائلًا:

> أدعوه ذلك الطفل الذي في داخلك والذي يحبُّ الطبقة الحُلوة على الكعكة. عندما يتعلَّق الأمر بالأمور الماليَّة، فإنَّ هذا الطفل يسيطر: إذا أردتُ شيئًا، فسأحصل عليه- وسأحصل عليه الآن! أنا أقول للناس إنَّهم إن أرادوا التحكُّم بأمورهم الماليَّة، فإنَّه يتوجَّب عليهم أن يسيطروا على ذلك الطفل. إنَّ البالغ هو من يجب أن يتَّخذ القرارات. وتُدعى هذه العمليَّة النضج والبلوغ.[٤]

عندما نكون مَدينين، فإنَّنا نصبح عبيدًا للمال. إنَّ الدَّين الذي نراه في دولتنا كلِّها وفينا نحن الأفراد، يشهد للحقيقة القائلة إنَّ عقليَّة "أعطني، أعطني!" تمتصُّ مجازيًّا كلَّ ما لدينا.

قال بيلي غراهام إنَّ أحد دواعي قلقه الكبير بشأن دولتنا هو الجشع السائد. علينا أن نتغلَّب عليه. إنَّ الجشع يتسبَّب بضررٍ كبير. وعندما انتهتِ الحرب العالميَّة الثانية، كانت أميركا هي المسيطرة. وبالرُّغم من أنَّه كان بالإمكان أن يسيطر الجشع علينا بطريقةٍ مرعبة، فإنَّنا بدأنا بتقديم المساعدة إلى أوروبا وقد كلَّفنا ذلك الكثير. غير أنَّه وبمرور السنوات أصبحتِ النـزعة المادِّيَّة سائدةً- كإلهٍ تقريبًا- في شمال أميركا وأوروبا. إنَّ الاهتمام البالغ بالممتلكات المادِّيَّة لن يُرضي قلوبنا. لا يمكن أن يحصل هذا.[٥]

إنَّنا لا نريد ما يملكه الآخرون فحسب؛ بل إنَّ توقُّعاتنا تتصاعد باستمرار نحو "المزيد، الأفضل، الأسهل". إنَّ الجشع يبني حاجزًا يمنعنا من أن نصبح قانعات بما أعطانا إيَّاه الله.

من المؤسف أن نعلم أنَّ الجشع مسارٌ حلزونيٌّ يتَّجه نحو الأسفل ويقود إلى الحسد. والحسد يؤدِّي، بدوره، إلى الدَّين. وجميعها تقود إلى الاستياء وعدم الرضا.

حالة الاتِّحاد في بيتكِ

ما حال قلبكِ أنتِ؟ أتَرغبين في الحصول على المزيد؟ أأَنتِ مكتفية بما عندك أم إنَّكِ غارقةٌ في الديـون بسبب بطاقات الائتمان إذ تشترين ما لا تستطيعين تحمُّل تكاليفه؟ كم تَصعُب المحافظة على المنظور الصحيح عندما يمطرنا الآخرون باستمرار بأشياء يخبروننا بأنَّنا "بحاجةٍ" إليها.

تظهر الرغبة في طلب المزيد بأشكالٍ مختلفة، بعضها أقلُّ وضوحًا من غيرها. أنا قانعةٌ ومكتفيةٌ بما أملك إلى أن أكتشف أنَّ هناك ما يدعوه أصدقائي "صفقة ليندا ديلو" (أي صفقة تناسبني). عندئذٍ يسهم الجشع في هذه العمليَّة وأنفق أكثر ممَّا يجب. خلال سنواتنا الثلاث في هونغ كونغ، اشتريتُ أكثر ممَّا كنتُ بحاجةٍ إليه لأنَّ صفقات الشراء كانت مبهِجةً وجذَّابة. ومع أنَّني لم أكن أدين لأحدٍ بمال، فإنَّني أنفقتُ أكثر ممَّا ينبغي. صديقتي كيم مدمِنةٌ على الشراء عندما ترى صفقاتٍ جيِّدة. يسيل لعابها عند مرأى إعلانٍ عن بيع أغراضٍ في مرأب أحد البيوت. ربَّما تقولين: "بالطبع، بيع الأغراض في المرأب لاضرر منه". لكن ليس عندما يستحوذ علينا كما استحوذ على كيم. وهي الآن مضطرَّةٌ أن تعرض ما جمعته لتبيعه في مرأب منـزلها لمدمنين آخرين على الشراء.

من ناحية أخرى، كارين مدمنةٌ على الشراء من المحلات التجاريَّة، ودون أن تكون هناك أيَّة صفقات أو تنـزيلات. كانت تذهب لتتسوَّق يوميًّا من

المحلات التجاريَّة الأغلى في المدينة، وكانت تعود إلى منـزلها وهي تحمل أكياسًا من كنوز المصمِّمين المعروفين الباهظة الثمن. عندما آمنت كارين بالمسيح، بدأت تدرك مصدر إدمانها على الشراء. فقالت يومًا: "أدركتُ يا ليندا أنَّني كنتُ أحاول أن ألبِّي حاجاتي بواسطة الأشياء".

سواءٌ أَرخيصةً كانَتِ الممتلكات التي اشتهيناها أم ماركاتٍ ثمينة، فالقضيَّة هي ذاتها: الجشع. عندما نشتري ما لا نستطيع أن نتحمَّل تكاليفه، فإنَّنا نعلن عن عدم رضانا عمَّا أعطانا إيَّاه الله. ولن نثق بعد ذلك بكون الله يعرف ما هو الأفضل لنا وأنَّه سيلبِّي حاجاتنا. كيف نُبقي قلوبنا مركِّزة على الله، وكيف نشكره على عطاياه لنا بدلًا من الحصول على المزيد والمزيد؟ الطريقة الوحيدة هي أن نحفظ منظور الله في قلوبنا ونسمح له بإلهاب عقولنا.

نِظرة الله نحو "ليس كافيًا أبدًا"

يحتوي الكتاب المقدَّس على مراجع عنِ المال أكثر ممَّا يحتويه عنِ الخلاص. من الواضح أنَّ الله يريدنا أن ننظر بجدِّيَّة إلى موضوع الغنى. تتناول ستةَ عشرَ من الأمثال التسعة والثلاثين التي سردها يسوع موضوع الغنى. يقول الكتاب المقدَّس بكلِّ جلاءٍ إنَّ الله يكره الجشع. والسؤال هنا: هل يُعدُّ الانتقال من بيتٍ إلى بيت، من سيَّارةٍ إلى سيَّارة، ومن وظيفةٍ إلى أخرى للحصول على المزيد من الممتلكات خطيئة؟ ما منظور الله بالنسبة إلى الغنى؟ فلنتطرَّقْ معًا إلى أربعة مبادئ في الكتاب المقدَّس.

١. **الكلُّ مُلكٌ لله.** "لك ياربُّ العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد **لأنَّ لك كلَّ ما في السماء والأرض.** لك ياربُّ المُلك وقدِ ارتفعت رأسًا على

الجميع. **والغنى والكرامة من لدُنك** وأنت تتسلَّط على الجميع وبيدك القوَّة والجبروت وبيدك تعظيم وتشديد الجميع... **لأنَّ منك الجميع ومن يدك أعطيناك**" (أخبار الأيَّام الأوَّل ٢٩:١١-١٤).

بحسب هذه الآيات، فإنَّ أيَّة ثروةٍ أو غنًى نحوزهما هما قرضٌ من الله. هو يملك كلَّ شيء؛ ونحن لا نملك أيَّ شيء. لذا، فإنَّ السؤال الذي يجب أن نفكِّر فيه ليس "كم ينبغي أن أُعطي؟" بل "ما مقدار ما يجب أن أحتفظ به؟"

قد تقول إحداكنَّ بتلقائيَّة: "لكنَّني جَنيتُ هذا المال بجهدي وعرقي". هذا صحيح إلى حدٍّ ما. لكن مَن أعطانا القدرة على القيام بالعمل؟ مَن الذي بحكمته وعنايته رتَّب الأمور كي نحصل على أعمالنا ونولَد في دولةٍ غنيَّة؟

الله هو المسيطر المبارك على كلِّ الأشياء. لهذا السبب يقول الرسول يعقوب: "لا تضلُّوا يا إخوتي الأحبَّاء. كلُّ عطيَّة صالحة وكلُّ موهبةٍ تامَّة هي من فوق نازلةٌ من عند أبي الأنوار" (يعقوب ١٦:١-١٧).

٢. **القضيَّة هي موقف القلب.** تقول الآية في المزامير"إنْ زاد الغنى فلا تضعوا عليه قلبًا"(مزمور ١٠:٦٢). الله يهتمُّ بما نركِّز قلبنا عليه وبالمكان الذي نكنـز فيه كنوزنا. لنصغِ إلى كلمات الربِّ يسوع:

> "لا تكنـزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بلِ اكنـزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد سوسٌ ولا صدأٌ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنَّه حيث يكون كنـزك هناك يكون قلبك أيضًا".
>
> (متَّى ١٩:٦-٢١)

لا يمكن أن تكون كلمات الربِّ يسوع أوضحَ من هذا. علينا أن نكنـز كنوزًا في السماء لا على الأرض حيث يصنع العثُّ ثقوبًا في الثياب، وحيث يُتلِف الصدأ المعادن، إذ لا يمكن أن تضيع الكنوز التي تُودَع في السماء.

اسألي نفسك: أين يكمن كنـزي؟ أين قلبي؟ فمع أنَّها أسئلةٌ بسيطة، فإنَّ الإجابة عنها تحدِّد هويَّتكِ وهدفَ حياتكِ. إذا كان كنـزكِ على الأرض، فإنَّ قلبكِ سيكون على الأرض أيضًا، لهذا ستسيطر عليكِ الأمور المادِّيَّة.

بإمكانكِ أن تحدِّدي ما يركِّز عليه قلبك بسرعة إنْ راجعتِ بدقَّةٍ الأشياء التي تملكينها، ثُمَّ أجبتِ عن السؤال الآتي: **لنفترضْ أنَّ هذا الكنـز قد ضاع أو تحطَّم أو سُرِق في الغد. هل سأفتقده لدرجةٍ تُلحِق الضرر بثقتي بالله أو بشعوري بالاكتفاء، أو بعلاقاتي؟** إذا أجبتِ بالإيجاب، فإنَّ كنـزكِ هو على الأرض.

٣. **الله أوَّلًا والممتلكات ثانيًا.** "لا يقدر أحدٌ أن يخدم سيِّدَين. لأنَّه إمَّا أن يُبغض الواحد ويُحبُّ الآخر أو يُلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (متَّى ٦:٢٤).

إنَّ المعنى واضح: لا تجعلي من المال إلهًا. لم يقُلِ الكتاب المقدَّس قطُّ إنَّ المال أوِ الثروة شرٌّ. يُحتمَل أنَّكِ سمعت أنَّ الكتاب المقدَّس يقول: "المال أصلٌ لكلِّ الشرور". غير أنَّ ما سمعته غير صحيح، فما يقوله الكتاب المقدَّس هو: "لأنَّ محبَّة المال أصلٌ لكلِّ الشرور" (١ تيموثاوس ٦:١٠). ويقول لنا الكتاب المقدَّس أيضًا: "لتكن سيرتكم خالية من محبَّة المال. كونوا مكتفين بما عندكم لأنَّه قال: لا أهملك ولا أتركك" (عبرانيِّين ١٣:٥). أَقال بيتُك لكِ، أو غرفةُ طعامك، أو ثيابُك الجميلة الجديدة يومًا: "لا أترككِ"؟ لماذا نختار التركيز على الأمور الزائلة في حين أنَّ الله قد أعطانا **الضمانة** بأنَّه لن يتركنا

مطلقًا؟ لا نستطيع أن نخدم الله والمال معًا. فالتسلسل واضح: الله أوَّلًا والممتلكات ثانيًا. مَن تخدمين؟ ما الذي تركِّزين عليه؟

٤. **علينا أن نستخدم ثروتنا لا أن نحبَّها.** إنَّ إحدى تحذيرات يسوع الأكثر إثارةً للخوف بالنسبة إلى أميركا المعاصرة، كانت توبيخه لمالك الأراضي الذي أخصبت كورته في لوقا ١٢. فعندما أعطَتْ حقول ذلك المالك حصادًا وفيرًا، أصابه الجشع وبنى مخازنَ ضخمةً وخزن فيها كنوزه الأرضيَّة للسنوات القادمة. ثُمَّ فكَّر قائلًا **إنَّ الحياة ستصبح سهلةً وآمنةً الآن.** غير أنَّ دينونة الله لم تمهله الكثير. إذ دعاه الله بالغبيّ، وفي الليلة نفسها طُلِبت روحه منه. ثُمَّ حذَّر يسوعُ قائلًا: "انظروا وتحفَّظوا من الطمع. فإنَّه متى كان لأحدٍ كثيرٌ فليست حياته من أمواله" (لوقا ١٢:١٥).

عبَّر إيه. دبليو. توزر عن هذا حسنًا إذ قال: "لقد سيطرَتِ الأشياء على قلب الإنسان. إذ حلَّت عطايا الله مكان الله ذاته، فاختلَّ وانقلب نظام سَيْر الطبيعة بأكمله من جرَّاء هذا الاستبدال المخيف".[٦] لقد خلطنا بين ما نخدمه وما نستخدمه. ممَّا يؤسَف له أنَّ أشخاصًا كثيرين يخدمون الأشياء ويستخدمون الله؛ لكنَّ الكتاب المقدَّس يعلِّمنا أن نفعل العكس.

منحنا الله أنا وزوجي في الآونة الأخيرة عطيَّةً رائعةً هي بيتٌ في جبال كولورادو الجميلة. بعد ثماني عشرة سنةً من السكن خارج بلادنا في بيوتٍ وشققٍ مُستأجَرة، إنَّني أشكر الله لأجل هذه العطيَّة، ومع ذلك فأنا خائفة. من السهل أن أسمح للعلوقة أن تتحكَّم فيَّ. ففي اللحظة التي يصبح فيها شيءٌ ما ملكًا لي، فإنَّ نزعتي البشريَّة تدفعني إلى التمسُّك به بشدَّة. يريدني الله أن أقدِّم له بيتي كلَّ يومٍ بيدٍ مفتوحةٍ قائلةً: "إنَّه لكَ يا ربّ".

أريد أن يكون موقفي مشابهًا لموقف أَجُور، الرجل الوارد ذِكْره في سفر الأمثال الأصحاح ٣٠. كان رجلًا متواضعًا، وجد نفسه في علاقته الصحيحة مع الإله القدُّوس. "لا تعطني فقرًا ولا غنًى. أطعمني خبز فريضتي. لئلَّا أشبع وأكفرَ وأقول مَن هو الرب، أو لئلَّا أفتقر وأسرق وأتَّخذ اسم إلهي باطلًا" (أمثال ٣٠:٨-٩).

كان قلب أجور وكنـزه في المكان الصحيح. لقد خدم الله لا الأشياء. إنَّ كلمات الكتاب المقدَّس واضحة: الله يكره الجشع. الجشع قبيح ويولِّد خطايا أخرى. إنَّه يستنفد قِوانا ويسيطر علينا. لا يمكننا أن نتخلَّص من الجشع بصلاةٍ رمزيَّة أو بأمنيةٍ لا تنبع من صميم قلوبنا. علينا أن نأتيَ إلى الربِّ بكلِّ قلوبنا ونتضرَّع إليه ليُزيل هذه العلوقة البائسة بمجسَّاتها التي تمتدُّ إلى مسافاتٍ طويلة.

هل لدى الله معيار ما؟

ذكرنا حتَّى الآن أربعة أمور:

- الكلُّ ملكٌ لله.
- القضيَّة هي موقف القلب.
- الله أوَّلًا والممتلكات ثانيًا.
- علينا أن نستخدم ثروتنا لا أن نحبَّها.

لم نُجب حتَّى الآن عن سؤال: ما معيـار الله بالنسبة إلى المسيحيِّين؟

حاز ريتشارد سوينسون، وهو طبيب، الفرصة لجمع ثروةٍ طائلة، لكنَّه اختار وزوجتُه أن يعيشا على دخلٍ أقلَّ بكثيرٍ ممَّا كان يجنيه كي يتمكَّنا من تقديم العطاء إلى ملكوت الله. تنظر عائلة سوينسون إلى عبارة الرسول

يوحنَّا نِظرة جدِّيَّة وحرفيَّة "وأمَّا مَن كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجًا وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبَّة الله فيه" (١ يوحنَّا ١٧:٣). إنَّ هذا يعني أنَّ عائلة سوينسون لا تحوز أيَّة مدَّخرات (لديهما مورد التقاعد والمال المخصَّص للجامعة). وهما يقودان سيَّارةً مستعملة، ونادرًا ما يشتريان ثيابًا جديدة. إنَّ نمط حياتهما قد يجعل العديد من المسيحيِّين يشعرون بالخزي والارتباك. أَهذا معيار الله لجميع المسيحيَّين؟

لا يوجد جوابٌ سهلٌ عن هذا السؤال. لا يعطينا الله التفاصيل المحدَّدة، لكنَّه يقدِّم لنا مبادئ توجيهيَّة. إذن، يمكننا الإجابة بسهولة عنِ السؤال المتعلِّق في ما إذا كان ينبغي لنا أن نعيش على دخلٍ يوازي ٢٥,٠٠٠ دولار، أم ٥٠,٠٠٠ دولار، أم ٢٠٠,٠٠٠ دولار سنويًّا.

يفترض كثيرٌ من الناس أنَّه عندما يزداد دخلهم، ينبغي أن يرتفع مستوى معيشتهم ويزداد عدد مقتنياتهم. قد يكون هذا ما يريده الله لنا وقد لا يكون. علينا أن نطرح على الله أسئلة كالتالي: كم ينبغي أن نعطي من أموالنا للكنيسة ولعمل الإرساليَّات؟

سألتُ أنا نفسي، أَينبغي أن أستخدم المال الإضافيَّ الذي حصلنا عليه هذه السنة لأسدِّد ثمن بيتنا؟ أَوَ يجب أن أعطيَه كلَّه لنشر ملكوت الله؟ وإن لم أعطِ كلَّ مالي، أَيجب أن أُعطيَ ٣٠٪ منه، أم ٤٠٪، أم أكثر؟ من السهل أن أقول لنفسي: **لم نتمكَّن من شراء بيتنا حتَّى بلغنا الثالثة والخمسين. من المنطقيِّ أن نستخدم أيَّة أموالٍ نحوزها لتسديد ثمن البيت.** غير أنَّني لا أعتقد أنَّ الأمر بهذه السهولة. إنَّ الله يريدنا أن نأتيَ إليه ونضع "أموالنا" قدَّامه ونقول: "إنَّها لك يا الله. بيِّن لي ماذا تريدني أن أفعل بهذه الأموال".

ماذا يمكنكِ أن تفعلي في بيتك؟

افحصي قلبكِ

كانت كتابة هذا الفصل صعبة عليَّ لأنَّني سألتُ الله أن يمتحنني ويفحص قلبي، وأن يختبر أفكاري وينظر إن كان فيَّ طريق باطل، فنخسني الله في قلبي. علامَ؟ على موقفي الخامل وعلى شعوري بالرضا الذاتيّ. التهبتْ كلمة الله في قلبي لأنَّني أتوق بكلِّ كياني إلى وضع كنـزي في السماء وإلى أن أخدم الله لا المال.

إنَّني أشجعكِ على قراءة مزمور ١٣٩:٢٣-٢٤ وأن تصلِّي قائلة: "ساعدني يا الله على أن أكون صادقة. بيِّن لي ما يمكنني أن أفعله لأمنع العلوقة من التأثير فيَّ وفي عائلتي".

يمكنك أن تقرِّري التحرُّر من حبِّ المال، ويمكنك أيضًا أن تسيطري على ما تملكين بدلًا من سيطرة مقتنياتك وما ترغبين في اكتسابه عليك. إنَّه اختيار سرِّيٌّ بينك وبين الله الذي يمكنه أن يحرِّر قلبك من الجشع. غير أنَّ المسؤوليَّة تقع عليك لتجنُّب المواقف التي تساهم في إيجاد الجشع.

اقطعي الحبال

يشبه الجشع ثقلًا ما يربطه حبلٌ بكِ. إن أردتِ أن تتحرَّري من الجشع، نفِّذي التمرين البسيط التالي: قفي في داخل منزلكِ وانظري حواليك. أين يسيطر الجشع عليك؟ ألقي نظرةً شاملةً على ممتلكاتك واطلبي من الله أن يُريَك أين ينبغي أن تقطعي الحبال. قد يتوجَّب عليك أن تعطي الآخرين بعض ملابسك، أو حاجيَّاتك الأخرى. إنَّ هذه هي سياستي بخصوص الملابس. إن لم أرتدِ قطعة ملابس مدَّة سنة، فهذا يعني أنَّ شخصًا ما غيري بحاجةٍ إليها.

وإذا كانَتِ الكاتالوجات أو إعلانات الصحف تجعلكِ تشتهين المزيد، اطرحيها جانبًا قبل قراءتها.

وإذا شجَّعتْكِ صديقةٌ ما على أن تكوني جشعة، فابتعدي عنها. قالت لي جانيس: "في كلِّ مرَّةٍ أكون فيها بصحبة أصدقاء معيَّنين، يدور الحديث بطريقةٍ ما بشأن غرضي الجديد هذا، وغرضي الجديد ذاك وكذلك حول ما سنشتريه وما نخطِّط ونتَّفق على شرائه. من السهل عليَّ أن أستسلم لتجرِبة التورُّط في مجاراة جيراني وأقراني، وفجأةً أجد نفسي وأنا أفكِّر بما لستُ أملك بدلًا من أن أقدِّم الشكر على ما أملك. أعرف أنَّ عليَّ الابتعاد عن تلك الصديقات".

اخضعي لعمليَّة جراحة ترميميَّة

في السنوات الأولى من زواجنا، أسرفتُ أنا وجُدي في الإنفاق باستخدام بطاقات الائتمان. كُنَّا نشعر بالذنب الشديد في أعماقنا كلَّ شهرٍ عند تسلُّمنا فاتورة بطاقات الائتمان. فاتَّخذنا قرارًا جذريًّا قضى بأنْ أجرينا "عمليَّةً جراحيَّةً ترميميَّة" أخذنا فيها المقصَّ وقصصنا جميع بطاقات الائتمان.

اقتبستُ في وقتٍ سابقٍ من المستشار الماليِّ رامسي قوله إنَّه لكي نتخلَّص من ديون بطاقات الائتمان علينا أن ننمو. أَهذا أمرٌ ينبغي أن تقومي به أنت؟ أتذكَّر اليوم الذي سدَّدنا فيه أنا وجُدي ديون بطاقات الائتمان. لا يمكن وصف الشعور بالحرِّيَّة ذاك. ومع أنَّنا لا نزال نستخدم بطاقات الائتمان البلاستيكيَّة، فإنَّنا ملتزمون بتسديد الفاتورة شهرًا بشهر.

احذري الجشع الموسميّ

نشرت صحيفتنا المحليَّة التقرير التالي خلال عيد الميلاد الأخير: "ازداد الإنفاق خلال عيد الميلاد وخرج عنِ السيطرة حتَّى إنَّ العائلاتِ أدركتْ

أنَّ عمليَّة تسديد ديون الهدايا التي اشتُريَتِ الشتاء السابق قد امتدَّت إلى الصيف وما بعده".[٦]

أهذا ما يريده المسيح في احتفال عيد ميلاده؟

قرَّرتْ صديقتي فيليس وزوجها بول اتِّخاذ بعض الخطوات لمقاومة هوس الإسراف في الشراء الذي يرافق عيد الميلاد. فبدأا بتقليد جديد لهذا العيد في عائلتهما. أخبرتني قائلة: "بعد انتهاء موسم عيد الميلاد وتسلُّمِنا **عددًا هائلًا** من الهدايا؛ وحيث شَعَرنا بأنَّنا قد فقدنا روعة الميلاد، صلَّيتُ للحصول على أفكار جديدة تناسب أولادنا المتزوِّجين والذين يتابعون دراستهم في الجامعة. كيف يمكننا أن ننقل إليهم ما هو مهمٌّ بالنسبة إلينا؟ هذا ما قرَّرت أن أفعله. قبل عيد الميلاد بشهرَين، كتبنا رسالة إلى كلِّ فردٍ من أولادنا ذكرنا فيها أنَّنا نريد أن تكون هديَّتهم لنا في عيد الميلاد هديَّةً لشخصٍ آخر أقلَّ حظًّا منهم. وطلبنا منهم أن يضعوا بطاقةً صغيرةً على شجرة الميلاد يشرحون فيها ما قد فعلوه من أجلنا باسم يسوع.

"عندما حلَّ عيد الميلاد، كان فتح البطاقات ورؤية العمل المبدع الذي قام به أولادنا مبعثَ فرحٍ كبيرٍ لنا. فمع أنَّ الهدايا المغلَّفة بأوراق الهدايا كانت قليلةً، فإنَّ فرحنا كان أعظم. كانت هديَّة أحد أولادنا لنا رعاية أحد الأولاد اليتامى من ما وراء البحار؛ كما قام أولادنا الآخرون بتنظيف وغسل أرضيَّة إحدى الإرساليَّات، وساعدوا الأشخاص الذين لا مأوى لهم".

إنَّ تقديم عطيَّة ممَّا تملكين أمرٌ ملائمٌ في كلِّ وقتٍ وليس في عيد الميلاد فحسب. إنَّ الأولاد الشباب يمكنهم أيضًا أن يدركوا هذا المفهوم. لماذا لا تقترحين على كلِّ فردٍ من أفراد عائلتك أن يقدِّم هديَّة إلى إحدى المنظمات التي تقدِّم هدايا إلى أبناء المسجونين[٨] بدلًا من تقديمها بعضهم إلى بعض؟

اسألي الله أن يمنحك الأفكار الخلّاقة في تقديم الهدايا، وشجِّعي أبناءك ليقدِّموا ممّا يملكون في يوم الأمِّ أو يوم الأب أو في أيِّ وقتٍ آخر.

تبادلي الآراء مع أصدقائك حول شراء الهدايا وكيف يمكنك أن تقولي"كفى" للإسراف في شرائها. يحتاج كلُّ بيتٍ إلى عمليَّة تنظيف من الداخل ليتخلَّص من العلوقة الجشعة.

فلْيكنْ موقفُك موقفَ شكرٍ وعرفان

نقول لأولادنا "لا تتذمَّروا". والسؤال هنا: أَتمارس نحن ما نعظ به؟ تتذكَّر إليزابيث إليوت أنَّ أبناء إحدى القبائل في أدغال أميركا الجنوبيَّة حيث كانت تخدم لم يكونوا يتذمَّرون قطُّ لأنَّهم لم يتعلَّموا كيف يتذمَّرون. أنصتي إلى قلبك؛ أنصتي إلى كلماتك؛ انظري إلى أعمالك. أَتُعلِّمين أبناءك أن يكونوا شاكرين الله على بركاته؟

نفِّذي تجرِبةً صغيرة. ابذلي جَهدًا واعيًا لمدَّة أسبوع لتكوني شاكرة. وإن لم تكوني قد حفظتِ غيبًا فيلبِّي ٤:٨، فاحفظيها الآن وصمِّمي على أن تمعني في التفكير في ما هو صالحٌ وحقٌّ وجليلٌ وصيته حسن. اسألي الله أن ينمِّي في قلبك موقف الشكر والعرفان.

احتفظي بدفترٍ للشكر وسجِّلي فيه ما يحدث خلال الأسبوع. وأثناء هذه التجرِبة، صمِّمي على ألَّا تطلبي شيئًا أو تتذمَّري أو تتضايقي بشأن ما تتمنَّين لو كان لديك. وبينما تقومين بهذه التجرِبة، شاركي أفراد عائلتك السبب الذي جعلكِ تشكرين الله من أجلهم. واشكري الله من أجل بركاته الكثيرة، واشكري زوجكِ وأولادكِ أو زميلتكِ في الحجرة. اشكري أصدقاءكِ لأجل صداقتهم. تذكَّري أنَّك إنْ كنتِ مستاءةً ممَّا لستِ تملكينه، فإنَّك تبدِّدين ما تملكين.

شاركي كنزك

قد لا تحسبين نفسكِ غنيَة؛ لكنَّك ثريَّةٌ بالمقارنة بمعظم الناس على هذا الكوكب. (أنا أسمعكِ تضحكين)! يحثُّنا بولس على ألَّا نتكبَّر لأنَّ لدينا الكثير، بل أن نستخدم أموالنا في الأعمال الصالحة. فلنصغِ إلى كلماته.

> أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينيَّة الغنى بل على الله الحيِّ الذي يمنحنا كلَّ شيءٍ بغنًى للتمتُّع. وأن يصنعوا صلاحًا وأن يكونوا أغنياء في أعمالٍ صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع مدَّخرين لأنفسهم أساسًا حسنًا للمستقبل لكي يُمسكوا بالحياة الأبديَّة.
>
> (١ تيموثاوس ٦:١٧-١٩)

نرى في العهد القديم أنَّ الله قد خصَّص مقادير مختلفةً من المال لخدَّامه المختلفين. فقد حصل دانيال ويوسف على غنًى عظيم. وعاش حزقيال في فقرٍ مُدقع، وكان إرميا نبيًّا ذا دخلٍ متوسِّط. تُعلِّمنا الأخلاق المسيحيَّة أنَّ الغنى مسؤوليَّةٌ كبيرةٌ، لكنَّه ليس خطيئة. يجب ألَّا يكون عطاؤنا مثل الصِّمَام الذي يمنع انسياب أموالنا، فلا نعطي إلَّا من فائض ما جمعناه وخزنَّاه. بدلًا من هذا، يجب أن يكون العطاء مثل سدادة المصرف غير المُحكمة الإغلاق التي تسمح لمواردنا أن تتدفَّق إلى الآخرين بانتظامٍ وباستمرار.

كيف تتعاملين مع الموارد التي ائتمنك الله عليها؟ جمع أحد المحاسبين نسبة ما منح زبائنه المسيحيُّون للقضايا المسيحيَّة، فاكتشفَ أنَّ المعدَّل كان ٣٪. يعطي المسيحيُّون ٧ بلايين دولار سنويًّا للكنائس والمنظَّمات المسيحيَّة. قد يبدو لكِ هذا مبلغًا ضخمًا، إلى أن تدركي أنَّ الأميركيِّين ينفقون المبلغ

ذاته سنويًّا على شراء العلكة. إنَّ لمنظورنا أهمِّيَّةً كبرى بالنسبة إلى الله: أين يكمن رجاؤنا، أين نضع كنزنا، وماذا نفعل بالثروات التي أعطانا الله إيَّاها. إنَّ ١٠٪ هي نقطة البداية فقط. لماذا لا تسألين الله إنْ كنتِ قادرةً على إعطاء المزيد؟

كوني حذرة

يقول الله لنا بكلٍّ وضوح إنَّ علينا أن نكون قانعاتٍ ومكتفياتٍ بما لدينا. إذا استمرَّت عقليَّة "أعطني المزيد" في السيطرة علينا، فلن نكون قانعات البتَّة. فالسعادة هي الحصول على ما نريد؛ بينما القناعة هي أن نريد ما نحصل عليه.

هناك قصَّة عن وكلاء الشيطان الذين فشلوا في محاولاتهم إغراء امرأةٍ تقيَّةٍ بارتكاب الخطيئة. حاولوا إغواءها برجلٍ وسيم، وبوعد القوَّة والنفوذ، والوعد بالمكافآت. غير أنَّ كلَّ هذه المحاولات باءت بالفشل. قال الشيطان لوكلائه: "إنَّ السبب في فشلكم هو أنَّ طرقكم فظَّةٌ ومكشوفةٌ بالنسبة إلى شخصٍ يسعى إلى إرضاء الله. انظروا ماذا سأفعل".

اقترب الشيطان من المرأة التقيَّة بحذرٍ كبير وهمس في أذنها قائلًا: "ورثتْ صديقتك مليون دولار واشترتْ أجمل بيتٍ شاهَدَتْه عيناك". فتجهَّم وجهها وضاقت عيناها وبدت عليهما نظرة الجشع. لقد ربح الشيطان.[٩]

إنَّ أعظم دفاعٍ ضدَّ مكائد الشيطان هو التأكُّد من أنَّنا نعيش من أجل الكنـز الأبديِّ لا الأرضيّ. اصرفي بضع دقائق الآن في تأمُّل الآيات التالية، وادخلي إلى حضرة الله واستخدميها في صلاتك إليه. ليت قلوبنا تتَّجه نحوه!

- بطريق شهاداتك فرحتُ كما على كلِّ الغنى. (مزمور ١١٩:١٤)

- أمِل قلبي إلى شهاداتك لا إلى المكسب. حوِّل عينيَّ عنِ النظر إلى الباطل. في طريقك أحيِني. (مزمور ١١٩:٣٦-٣٧)

اغفر لي أيُّها الآب القدُّوس. إنَّ الرغباتِ المفاجئةَ والشهوات تتحكَّم بي. إنَّ كنـزيَ أرضيّ. غيِّرني وأعطني الدافع والقوَّة بروحك الذي يسكن جسديَ الضعيف. أتوق إلى أن أكون مكتفيَّةً بما عندي. وأرغب في استخدام جميع ما أعطيتني إيَّاه لمجدك.

السيِّدة وونغ

انحنَت السيِّدة وونغ فانحنيتُ أنا، فإذ بها تنحني ثانيةً. فتساءلت كم مرَّةً ينبغي لي أن أنحني؟ وابتسمتُ ثانيةً وانحنيتُ نحو الأسفل راجيةً أن تضع هذه الانحناءة نهاية لهذا الطقس.

لقد كان امتيازًا لي أن أقابل بعض المسيحيِّين الصينيِّين في تلك الرحلة إلى الصين. وإذ كنتُ المرأة الوحيدة في المجموعة، فقدِ اختِرتُ لإجراء مقابلةٍ مع السيِّدة وونغ. جرَتِ المقابلة في غرفة أحد الفنادق. وكنت قدِ اشتريتُ بعض قطع الحلوى من أحد البائعين في الشارع لمساعدة السيِّدة وونغ على الشعور بالارتياح. جلسَتِ السيِّدة وونغ، القادمة حديثًا من الريف؛ والتي ترتدي سترة ماو التقليديَّة، على حافَة الكرسي. من ثَمَّ قدَّمتُ إليها قطع الحلوى مرَّة ومرَّتين وثلاث. كانت مترجمتي على حقّ- إذ أثَّرَتِ المحاولة الثالثة فيها فأخذتْ قطعة حلوى. بعد انتهاء عمليَّة الضيافة، بدأنا المقابلة.

"متى أصبحتِ مؤمنةً مسيحيَّةً يا سيِّدة وونغ؟"

"منذ ستِّ سنوات".

"أرجو أن تُحدِّثيني عن خدمتك".

"أتجوَّل على درَّاجتي الهوائيَّة كلَّ أسبوعٍ في دائرة تبلغ عشرة أميال (نحو ١٦ كيلومترًا). أذهبُ إلى ستِّ قرى، بمعدَّل قريةٍ في كلِّ يوم. أمَّا يوم الأحد، فأظلُّ في البيت".

"مَن تعلِّمين؟"

"٥٠٠-٦٠٠ رجلٍ وامرأة".

"كيف صار هؤلاء الناس مسيحيِّين؟"

"لقد أخبرتُهم بشأن يسوع".

"أَتريدين القول، يا سيِّدة وونغ، إنَّك في السنوات الستِّ الماضية منذ أن أصبحتِ مؤمنةً مسيحيَّة، قد قُدتِ ٦٠٠ شخصٍ إلى المسيح؟"

"نعم".

لقد قالت نعم بكلِّ بساطةٍ ووضوح كما لو أنَّ قيادة مئة شخصٍ إلى المسيح كلَّ سنة أمرٌ عاديٌّ وبإمكان أيِّ شخصٍ القيام به.

صلَّيتُ: "يا ربّ، أشكركَ لأنَّك منحتني امتياز مقابلة هذه المرأة التي تركِّز بهذه الطريقة على خدمتها. دَعْ قلبي يلتهبُ بالإيمان الذي أراه فيها".

لقد عرفَتِ السيِّدة وونغ سبب وجودها في ذلك المكان. كما عرفَتْ أيضًا ما يريد الله أن تفعله بحياتها. لذا فقد سلكت دربًا أوصلها إلى هدفها.

الفصل ٧

تركيزٌ خاطئ

تجعَّد أنفي عندما شممتُ الرائحة اللاذعة. كم كان هذا الجزء من شانغهاي مختلفًا عنِ المنطقة السياحيَّة. لقد كان هناك مستراحٌ خارجيٌّ (دورة مياه) واحدٌ لجميع الساكنين في مجمَّع الشقق السكنيَّة. وقد هاجمتني الرائحة المنبعثة منه بينما كنتُ أنعطف حول زاوية الطريق، فأسرعتُ الخُطى للابتعاد عنه. من الواضح أنَّ "عمَّال النظافة" وعرباتهم، لم يقوموا بتنظيف المستراح في هذا الجزء من المدينة منذ بضعة أيَّام.

مررت بمجموعةٍ من كبار السنِّ يلعبون لعبة "المايونغ" (Mahjong)- وهي لعبة صينيَّة تشبه لعبة الدومينو- تحت شجرة ظليلة. حدَّق عددٌ منهم النظر فيَّ، فعدَّلتُ وضع نظَّارتي الشمسيَّة كي أخفيَ عينيَّ الزرقاوَين المستديرتَين الأجنبيَّتَين. هلِ اعتقدتُ حقًّا أنَّ النظَّارة الداكنة اللون كانت ستجعلني أبدو كواحدةٍ منهم؟ لو كان الأمر كذلك لكان عليَّ أن أصبغ شعري الأشقر بلونٍ أسود، وأزيل بضع بوصاتٍ من طولي، وأخيرًا توجَّب عليَّ أن أفعل شيئًا ما بخصوص بشرتي وعينيَّ. إنَّ جميع الناس في الصين ذوو شعرٍ أسود وعيون داكنة اللون.

كنتُ في طريقي لأزور ماي لينغ وابنتها تينغ تينغ ذات الأعوام العشرة. كانت ماي لينغ امرأةً شجاعة، وكان هدفها في الحياة معرفة المسيح وتعريف الآخرين به. كانت تعرِّض حياتها للخطر كلَّ يومٍ وهي تنقل المواد المسيحيَّة إلى الكنائس البيتيَّة السرِّيَّة في شانغهاي. عندما دخلنا شقَّتها المؤلَّفة من غرفة نومٍ واحدة، رفعتُ نظَّارتي عن عينيَّ واسترخيت. **أبتاه، شكرًا لك لأنَّك حميتَني.** لم يستوقفني أحد ولا سألني أحدٌ عن سبب وجودي في هذه المنطقة المعيَّنة من شانغهاي. وقفَتِ الصغيرة تينغ تينغ قدَّامي وحدَّقت فيَّ. أشارت إلى عينيَّ وقالت للمترجمة إنَّ عينيَّ كعينَيِ القطة. بالنسبة إليها، قد أكون كذلك قادمةً من كوكبٍ آخر. ركضت لتأتي برفيقتها حتَّى تتمكَّن هي أيضًا من الإمعان في النظر في هذه الغريبة ذات العينَين الفاتحتَين الملوَّنتَين.

تركيزٌ خاطئ

كنت أُدعى بذات العيون الأربعة في المدرسة الإعداديَّة بسبب نظَّارتي السميكة. كانت قدرتي على رؤية الأشياء بوضوحٍ تامٍّ صعبةً نظرًا إلى أنِّي كنتُ أعاني من قصر نظرٍ شديد. خضعتُ منذ ثلاث سنوات إلى عملية شقِّ القرنيَّة بواسطة الأشعة، فصارت لديَّ رؤيةٌ جديدة. وقد صار بإمكاني قراءة الوقت من على ساعة الحائط، ورؤية أصابع قدميَّ في مغطس الحمَّام. يا له من أمرٍ مذهل! لقد صُحِّح نظري، وصار بإمكاني أن أرى بوضوح.

إنَّ نساءً عديداتٍ يعانينَ اليوم قصرًا في النظر لا يعود إلى إبصارهنَّ؛ بل إلى نظرتهنَّ إلى الحياة. إنهنَّ لا يعرفنَ سبب وجودهنَّ أو إلى أين هنَّ متَّجهات، كسفينة لا دفَّة لها تتقاذفها الأمواج. يقول الدكتور سوينسون مؤلِّف كتاب "**الهامش**"، إنَّ انعدام وجود الهدف أمرٌ شائعٌ: "يشتهر الأميركيُّون بأنَّهم أناس قصيرو النظر. إنَّنا نعيش في حالة هوس قصر النظر

والذي يجعل رؤيتنا ضبابيَّةً فلا نرى المستقبل واضحًا. لا يمكن رؤية الأفق في وسط عاصفةٍ رمليَّة. غير أنَّ رؤيتنا يجب أن تمتدَّ إلى ما وراء الغد. إنَّ العيش أسبوعًا بأسبوع هو أشبه ما يكون بحياة توصيل النقاط معًا بالخطوط".[١]

غالبًا، لا تعيش النساء اللواتي لا وجهة لديهنَّ في حالة عدم تخطيطٍ فحسب؛ بل في حالة الانتظار أيضًا. إذ ينتظرنَ عملًا مناسبًا، ورجلًا مناسبًا، وطفلًا أيضًا. إنَّهنَّ ينتظرنَ الطفل ليكبر ويترك البيت، وينتظرنَ **شيئًا** ما ليضفي معنًى على حياتهنَّ. إنَّ الرؤية غير الواضحة لديهنَّ تجعل القناعة حُلُمًا مستحيلًا.

طرح العالم النفسيُّ وليام مارستون السؤال التالي على ثلاثة آلاف شخص، فقال: "ماذا عندكَ لتعيش من أجله؟" وقد أُصيبَ بالصدمة من جرَّاء اكتشافه أنَّ ٩٤٪ من الأشخاص كانوا يتحمَّلون الحاضر فقط في أثناء انتظارهم للمستقبل.[٢] ولأنَّني أريد أن أكون امرأة ذات هدف، فغالبًا ما أسأل نفسي: "أَأتعيشين الحياة يا ليندا برؤيةٍ غير واضحة قصيرة النظر؟ أَأنتِ في وضعيَّة الانتظار؟"

قرأتُ مؤخَّرًا القصيدة التالية التي كتبها صبيٌّ في سنِّ الرابعة عشرة (نعم الرابعة عشرة!) وقد جعلتني أعيد التفكير في تركيزي- أي وضوح رؤيتي. وإليكِ أبياتها:

كان الفصل ربيعًا، لكنَّ الصيف هو ما أردتُه؛
حيث الأيَّام الدافئة والنزهات الرائعة.
كان الفصل صيفًا، لكنَّ الخريف هو ما أردتُه؛
حيث أوراق الشجر الملوَّنة والهواء الجاف البارد اللطيف.
كان الفصل خريفًا، لكنَّ الشتاء هو ما أردتُه؛
حيث الثلج الجميل وفرح موسم العطلات.

كان الفصل شتاءً، لكنَّ الربيع هو ما أردتُه؛

حيث دفء وتفتُّح الطبيعة.

كنتُ طفلًا، لكنَّ النضوج هو ما أردتُه؛

حيث الحرِّيَّة والاحترام.

كنتُ في العشرين، لكنَّ عمر الثلاثين هو ما أردتُه؛

حيث أكون ناضجًا وخبيرًا بأمور الدنيا.

كنتُ في منتصف العمر، لكنَّ عمر العشرين هو ما أردتُه؛

حيث الروح الشابَّة الحرَّة.

كنتُ متقاعدًا، لكنَّ منتصف العمر هو ما أردته؛

حيث حضورُ البديهة لا يحدُّها شيء.

شارفتْ حياتي على نهايتها،

لكنَّني ما حصلتُ قطُّ على ما أردته.[٣]

حدِّدي مسارك

تخيَّلي للحظةٍ أنَّكِ تحلِّقين متَّجهةً فوق جزيرةٍ غريبةٍ وجذَّابة. بعد مرور نحو ساعةٍ على الإقلاع، يعلنُ الطيَّار عبر الاتِّصال الداخليِّ قائلًا: "لديَّ أنباءٌ سارَّةٌ وأخرى سيِّئة. بالنسبة إلى الأخبار السيِّئة فهي توقُّف أجهزة الإرسال والاستقبال اللاسلكيَّة عنِ العمل وتضرُّر الأجهزة الملاحيَّة. أمَّا الأخبار السارَّة فهي وجود رياح قويَّة تدفع مؤخِّرة الطائرة، وهكذا، حيثما ذهبنا سنصل إلى وجهتنا بمعدَّل ستَّمائة ميلٍ (نحو ٩٦٠ كيلومترٍ) في الساعة". مع أنَّنا نضحك من هكذا موقفٍ ساخر، فإنَّ الحقيقة المحزنة هي أنَّنا غالبًا ما نحلِّق كهذه الطائرة: دون اتِّجاهٍ محدَّد، وتدفعنا بسرعةٍ رياح الظروف.

البعض منَّا يسير كما في الضباب حين يتعلَّق الأمر برغبتنا في أن نصبح النساء اللاتي نودُّ أن نكونَهنَّ. فنُمضي وقتًا في التخطيط للعطلة الصيفيَّة أكثر من الوقت الذي نمضيه في تخطيط حياتنا! وإذا ما سألَنا أحدهم إلى أين نحن متَّجهون، فسيكون جوابنا: "تدريب كرة القدم". لقد أصبحنا نلاحق برامج أولادنا ونقل الآخرين في سيَّارتنا، ومهنتنا، ومخاوفنا، ومشاكلنا، حتَّى إنَّنا فقدنا القدرة على رؤية الصورة الأكبر. لقد نسينا مَن نكون، كما نسينا أنَّنا هنا لسببٍ ما. إنَّنا لا نتوقَّف لنفكِّر بما نقوم به؛ والأسوأ من هذا أنَّنا لا نصلِّي بخصوصه.

إنَّ هذا عكس ما يتصوَّره الله لأجلنا. إذ تحثُّنا الأسفار المقدَّسة على أن نسلك بحكمةٍ في هذه الحياة.

> فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء [كنساءٍ جاهلات لا يعرفنَ معنى وهدف الحياة] بل كحكماء مفتدين الوقت لأنَّ الأيَّام شرِّيرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الربّ.
>
> (أفسس ٥:١٥-١٧)

يجب أن نعيش كنساءٍ **يعرفنَ** معنى الحياة وهدفها. كما عبرَّ الفيلسوف الألمانيُّ غوته عن ذلك بقوله: "إنَّ الأشياء الأهمَّ لا يجب أن تكون أبدًا تحت رحمة الأشياء الأقلِّ أهمِّيَّة". إنْ لم نختَرِ الهدف الذي نعيش من أجله، فإنَّنا نعيش في هذه الحياة دون أن نعرف السبب، إذ ننجز تعليماتٍ تُمليها علينا الأسرة، وجداولَ أعمال أشخاصٍ آخرين، وضغوطات الأحوال والظروف. إنَّ هذه **ليست** طريقة عيش امرأةٍ تعرف معنى الحياة وهدفها. غير أنَّ الفرصة ما تزال سانحةً والأوان لم يفت بعدُ لتغيير تركيزكِ الخاطئ.

تركيزٌ ثابت

يجب أن نصحِّح تركيزنا الخاطئ- أي رؤيتنا غير الواضحة- ونصير نساءً لهنَّ هدفٌ في الحياة. إنَّ التصريح بالهدف الذي نسعى إليه؛ وتحديدَ ما نؤمن به وأين نريد أن نكون، هو طريقةٌ جيِّدةٌ نبدأ بها. لقد كتب العديد من الأشخاص ذوي النفوذ والتأثير على مدى التاريخ أقوالًا يعلنون فيها عن هدفهم في الحياة. فلأشارككُنَّ تصريحَين قد كان لهما تأثير بالغٌ فيَّ. كتب أوَّلَهما جوناثان إدواردز، الكارز المتَّقدُ بالإيمان، في القرن الثامن عشر. يمكنني أن أشعر تمامًا بقوَّة الهدف الذي يسعى إليه من خلال هذه الكلمات:

صمَّمتُ أن أعيش حياتي بكلِّ ما أوتيتُ من قوَّة ما دمتُ حيًّا.
صمَّمتُ ألَّا أضيِّع لحظةً واحدة، وأن أعملَ قدر إمكاني لجعل حياتي أفضل بأكثرِ الطرقِ فائدةً.
صمَّمتُ ألَّا أفعل أبدًا أمرًا، إنْ صدر ذاك الأمر عن شخصٍ آخر، فإنَّني أحتقر سلوك ذلك الشخص أو أفكِّر بأنَّه شخصٌ لئيم.
صمَّمتُ ألَّا أفعل شيئًا أبدًا بدافع الانتقام.
صمَّمتُ ألَّا أفعل أبدًا أمرًا ينبغي أن أخاف من القيام به لو كان ذلك في الساعة الأخيرة من حياتي.[٤]

كتب جوناثان إدواردز تصريحًا بالهدف الذي يسعى إلى تحقيقه في الحياة على شكل تصميماتٍ عاقدة العزم. وقد كتبتْ بيتي سكوت ستام الغايات التي تسعى إلى الوصول إليها على شكل صلاة:

يا ربّ، إنِّي أضع بين يديك جميع خُططي وأهدافي،
جميع رغباتي وآمالي، وإنِّي أقبل ما تريده أنت لحياتي.
إنِّي أهبكَ ذاتي وحياتي وكلَّ كياني لأكون ملكك إلى الأبد.

املأني واختمني بروحك القدُّوس. استخدمني كما تشاء، أرسلني حيثما تريد، لتكن مشيئتك الكاملة هي المهيمنة في حياتي مهما كان الثمن، الآن وإلى الأبد.[٥]

عاشت بيتي كلمات هذه الصلاة في حياتها حين أصبحت هي وزوجها مرسَلَين إلى الصين واستشهدا بعد تسلُّم الشيوعيِّين مقاليد السلطة هناك سنة ١٩٤٩. لقدِ استخدم هذه الصلاة، التي تعبِّر عن هدف حياةٍ شخصيّ، أشخاصٌ عديدون من بينهم إليزابيث إليوت التي نسختها في كتابها المقدَّس وختمتها بتوقيعها عندما كانت فتاةً صغيرة. لا بدَّ أنَّ هذه الصلاة قد كانت تذكيرًا بما كانت عليه حياة إليزابيث حين استُشهد زوجها جيم إليوت بعد ذلك بسنواتٍ على أيدي هنود الأوكا، وهم ذات الأشخاص الذين أتَوا ليخدموهم.

أودُّ أن أعرِّفكنَّ بأربعٍ من صديقاتي الكاملات النضج (أقصد بالنضج هنا أنَّهنَّ مؤهلاتٌ للحصول على الخصومات المخصَّصة لكبار السن في محلات ديني)! وأدعهنَّ يروينَ لكنَّ كيف يعشنَ حياتهنَّ برؤية واضحة. فيليس وجين وميمي هنَّ جدَّات الآن، أمَّا ناي فهي عازبة، غير أنَّ أولادها الروحيِّين يملأون الأرض. أدعو في صلاتي أن يستخدم الله كلَّ قصَّةٍ من هذه القصص لتلهمكِ أن تثبِّتي تركيزكِ بحيث تكونين قادرةً على القول: "هذا هو هدفي. إنَّني أعرف إلى أين أنا ذاهبة".

فيليس

إنَّ فيليس ستانلي قادرةٌ على تذكُّر حياتها دون هدف. خلال دراستها الجامعيَّة، خاب أملها بالمسيحيَّة؛ فأغلقت كتابها المقدَّس وقرَّرت أن تعيش على هواها. بعد سنتَين، توسَّلت إلى الله أن يغفر لها، وناشدته أن يساعدها

على التقاط أجزاء حياتها المضطربة. قالت لله إنَّها تريد أن تعيش بقيَّة حياتها بهدف إرضائه. وقد صارت آيتها في الحياة هي فيلبّي ٣:١٠ "لأعرفه وقوَّة قيامته وشركة آلامه متشبِّهًا بموته"، قد عنى ذلك بالنسبة إلى فيليس التالي: "لأنَّ الهدف الذي وضعتُه نُصب عينيَّ هو أن أعرف، وأن تصبح معرفتي الشخصيَّة به أكثر عمقًا وألفة، وأن أتبيَّن، وأدرك وأفهم روعة شخصه بشكلٍ أقوى وأكثر وضوحًا".

تقول فيليس: "عندما كان أولادي صغارًا، أذكر أنِّي كنتُ أقول لنفسي: **هل أولادي الآن هم هدفي في الحياة؟** وقد أدركتُ أنَّ أولادي كانوا **منصَّة انطلاقٍ** نحو الهدف فقط، لا الهدف ذاته. إنَّ هدف حياتي هو في تقدُّمٍ مستمرّ. بدأتُ بآيةٍ واحدة، وبعد مُضيِّ سنوات، أعطاني الله أربع كلماتٍ جعلت هدفي واضحًا". كانت هذه الكلمات هي: بهدفٍ، بأمانةٍ، بإبداعٍ، بتناقض.

نقرأ هدف حياة فيليس اليوم هكذا:

> أريد أن أعيش **حياتي بهدف**، وأن أراجع هدفي في الحياة بصورةٍ منتظمة، وأن أصلِّيَ من أجل هدفي، وأن أحبَّ الله محبَّةً فائقة، وأن أكون ملهِمةً لزوجي أعامله بحبٍّ ومودَّة، وأن أصلِّيَ من أجل أولادي وأبقى مرتبطةً روحيًّا بهم، وأن أحبَّ النساء وأسعى إلى وضع أسسٍ روحيَّة في حياتهن.
>
> أريد أن أعيش **بأمانة**، وبإيمانٍ بالله من أجل ما لا يمكنني أن أراه. أريد أن أؤمن بأنَّ الله يستطيع أن يعمل في حياة أولادي ما لا أستطيع أنا أن أفعله.

> أريد أن أعيش **بإبداع**، إذ أُوجِد الجمال والدفء في بيتي، وحول مائدتي، وفي مجموعة درس الكتاب المقدَّس. إنَّ الإبداع يُضفي تألُّقًا على حياةٍ هادفة ذات رؤيةٍ واضحةٍ ومحدَّدة.
>
> أريد أن أعيش **بتناقض**. أريد أن أتصرَّف نقيض طبيعتي الأنانيَّة، ونقيض ثقافتنا، وأن أعطي أكثر بقليلٍ ممَّا أودُّ أن أعطي، وأن أمشيَ الميل الثاني، لأتشبَّه بيسوع.[٦]

لو أنَّكِ حظيتِ بمعرفة فيليس، لكنتِ رأيتِ بوضوحٍ انعكاس العبارات الأربع هذه على حياتها.

جين

جين فلِمينغ امرأة تتمتَّع بفكرٍ عميق وتعيش حياةً هادفة. حين سألتُ جين كيف يمكنها تعريف بيان هدفها، أجابت بالقول: "أريد أن أكون مؤثِّرة في الأجيال". يسجِّل مزمور ٧٨:١-٥ رغبة جين في نقْلِ حقيقة الله العميقة إلى أولادها وأحفادها. "لا نخفي عن بنيهم إلى الجيل الآخر مخبرين بتسابيح الربِّ وقوَّتِه وعجائبه التي صنع". (مزمور ٧٨:٤).

من الصعب أن يعيش المرء حياةً هادفةً وذات رؤيةٍ واضحة على أمل أن يترك إرثًا للأجيال القادمة. قالت جين في كتابها القيِّم **"إيجاد رؤية واضحة في عالمٍ يدور بسرعةٍ صاخبة"** (*Finding Focus in a Whirlwind World*): "أثناء سعينا إلى إيجاد هدفٍ واضحٍ لحياتنا، تظهر مشكلة هائلة، إذ تفقد حياتنا تركيزها على أهدافنا دون بذل أيِّ جهد، أوِ اتِّخاذ قرار،

أو تصميمٍ من قِبَلنا. إنَّ عمسَيَّة العيش، يومًا بعد يوم، من شأنها إضعاف التركيز وجعله ينحرف عن مساره. إنَّنا ننشغل حتَّى إنّنا لا نجد معها وقتًا للتفكير **بطريقة** عيشنا. وقد قال الفيلسوف أفلاطون إنَّ الحياة التي لم تخضع للفحص والتحليل، هي حياة لا تستحقُّ العيش"[٧].

لكي تُبقي جين على تركيزها في مشقَّات الحياة اليوميَّة، شبَّهتْ حياتَها بشجرة. إذ إنَّ الجذع يمثِّل علاقتها بالمسيح؛ وتمثِّل فروع الشجرة المجالات الرئيسة للمسؤوليَّات المعطاة من الله، مثل العائلة، والعمل، والخدمة، والنموِّ الشخصيّ. أمَّا أغصان شجرة جين فتمثِّل أنشطةَ وفرص الحياة. في بعض الأحيان، تسرع "أغصان النشاط" إلى النموِّ والتكاثر، فتحجب الجذعَ والأغصانَ الكبيرة. وحين يحدث هذا، تقول جين إنَّها تشعر وكأنَّها عالقةٌ في فخٍّ ما، وينتابها شعورٌ بالإحباط والفراغ. "يجب أن أذهب في تحديدي لمعنى الحياة إلى ما وراء الأنشطة. لا ينبغي أن ينحصر تركيزي على الأغصان فقط، بل على الجذع والفروع أيضًا. إنَّني أفعل ما أفعله من أجل يسوع وحقِّه في الهيمنة على حياتي. كما لا أفعل ما لا أفعله من أجل السبب ذاته".

يعني التركيز في الحياة بالنسبة إلى جين أنَّ عليها أن تشذِّب شجرتها. "أُمضي ثلاث أو أربع مرَّاتٍ في السنة نصف يومٍ مع الربِّ لتقييم حياتي، وتفحُّص جدول أعمالي، ووضْعَ توجُّهٍ جديدٍ للشهر المقبل. أقضي معظم الوقت في قراءة الكتاب المقدَّس، والصلاة، والترنيم للربّ. إنَّ هذا الوقت الهادئ هو كسكِّينٍ تخترق أوهام الحياة اليوميَّة وسرابها. وهو يجعلني قادرةً على تركيز انتباهي، وتوجيه قلبي نحو الأمور السماويَّة".

خلال وقت خلوتِها، تقوم جين بطرح "شجرتها" قدَّام الرب سائلةً إيَّاه: "يا ربّ، ماذا ينبغي أن أفعل في هذه المرحلة من حياتي كي أحافظَ على

علاقتي بك مُفعمةً بالحيويَّة؟ لأيَّة أمورٍ تريدني أن أقول نعم، ولأيِّها أن أقول لا؟"

أَلدى جين دائمًا توجيهٌ واضح لِما ينبغي أن تقوم به بعد نصف اليوم الذي تمضيه في التشذيب؟ كلَّا. غير أنَّها قالت لي إنَّها حين كانت تصغي إلى صوت الربّ، منجذبةً روحيًّا إلى سماع ما يريد قوْلَه، كان ما يجول في قلبها يتوافق مع ما يريده الله.[٨]

إنَّ تركيز جين التَّقيَّ هو نتيجةٌ مباشرةٌ للقرار الذي اتَّخذته بتشذيب شجرتها والتواصل بإلهها.

ناي

وُضِع بيان هدف ناي بيلي بناءً على فِقرتَين من الكتاب المقدَّس بالإضافة إلى إحدى الصلوات. عند بلوغها سنَّ الرابعة والعشرين، جعلتْ ناي هدف حياتها متمحورًا حول رومية ٨:٢٨-٢٩: "ونحن نعلم أنَّ كلَّ الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبُّون الله الذين هم مدعوُّون حسب قصده. لأنَّ الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم **ليكونوا مشابِهين صورة ابنه**".

عندما حدَّدت ناي تركيزها لتصبح مشابِهةً للسيِّد المسيح، فإنَّها طبَّقت هاتَين الآيتَين بشكلٍ شخصيٍّ على حالاتٍ معيَّنةٍ في حياتها. "لمَّا كانت تحدث أمورٌ ما كنتُ أحبُّها، كنتُ أشكره، بالرُّغم من أنَّني لم أفهمها. لقد عرفتُ أنَّ الظروف السلبيَّة كانت جزءًا من عمليَّة جعلي مشابِهة له".

بعد مرور عشر سنوات، طبع الله فِقرةً ثانيةً من الكتاب المقدَّس على قلب ناي. ركعْت قدَّام المذبح ملتزمةً بأن تعيش وفقًا لِما جاء في إشعياء ٦١:١-٣.

> روح السيِّد الـربِّ عليَّ، لأنَّ الـربَّ مسحني لأبشِّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيِّين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق. لأنادي بسَنَة مقبولةٍ للربِّ، وبيوم انتقام لإلهنا. لأُعزِّيَ كلَّ النائحين. لأجعلَ لنائحي صِهيَون، لأُعطيَهم جَمَالًا عوضًا عنِ الرماد، ودهن فرحٍ عوضًا عنِ النَّوح، ورداءَ تسبيحٍ عوضًا عنِ الروح اليائسة، فيُدعَونَ أشجار البرّ، غرس الربِّ للتمجيد.

كصديقةٍ لنـــاي، فإنَّني أتعجَّب كيف أنَّ حياتها هي بالتحديد مثالٌ على ما ورد في هذه الآيات. إنَّها **تأتي** بالبشارة للمساكين، وتعصب منكسري القلب، وتنادي للمسبيِّين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق. و**تعطي** دُهن فرحٍ عوضًا عنِ النوح، ورداء تسبيحٍ عوضًا عنِ الروح اليائسة.[٩]

وبعد مرور عشرين سنة، سمعتْ نـاي الصلاة التالية فاتَّخذتها صلاةً لها:

> أيُّها الربُّ يسوع، إنيِّ أهبك
> كلَّ كياني
> كلَّ ما أملك
> كلَّ أفعالي
> كلَّ معاناتي
> الآن وإلى الأبـــد.[١٠]

ولكي تجسِّد هذه الصلاةَ الجميلة، أخذتْ ناي أربعَ قطعٍ من الورق وكتبت عليها: (١) كلُّ كياني، (٢) كلُّ ما أملك، (٣) كلُّ أفعالي، (٤) كلُّ معاناتي. "كتبتُ كلَّ شيءٍ كان بإمكاني أن أفكِّر فيه ممَّا ينتمي إلى هذه

الفئات الأربع''. وتقول: ''أدركتُ أنَّ كلَّ ما كتبتُه في لائحتي على صفحاتي الأربع، قد كان مادَّةً لتقدمِها كذبيحة. وهكذا، بعد أنِ انتهيتُ من وَضْع قائمتي، شكرتُ الله لأجل تلك الأشياء وسلَّمته القائمة كتقدمة''.

إنَّ بيان هدف ناي قد تنمَّى عبر السنين، ويبدو عمل الله في جَعْلها مشابِهةً لصورته واضحًا بصورةٍ جميلة لكلِّ مَن يعرفها.

ميمي

لمَّا كانت ميمي في سنِّ الثلاثين، بدأت تتساءل كيف صارَتِ النسوة اللاتي تُكنُّ لهنَّ الإعجاب والاحترام نساءً متميِّزات ومتفوِّقات. أرادت أن تفهم ذاك كي تتمكَّن من الاقتداء بهنَّ في حياتها. وتقول: ''قرأتُ كتبًا، وراقبتُ نساءً ودرستُهنَّ، وطرحتُ العديد من الأسئلة. لقد منحني الله الرغبة في أن يكون لديَّ هدف مركَّز. كأنَّما سحبني إلى داخل غرفة تدعى **الإدراك**. في تلك الغرفة، تأمَّلت في أسئلة مثل، ما سبب وجودي هنا؟ إلى أين أنا ذاهبة؟ ما الهدف الذي أسعى إليه في الحياة؟ عندما وصلت إلى هذه الغرفة، أدركتُ أنَّ هناك غرفةً ثانيةً تُدعى **القرار** تقع بعدها. ما كانت إجابة الأسئلة بكافية؛ فقد كانَتِ الغرفة الأولى مجرَّد عتبة عبور. توجَّب عليَّ الآن أن أتصرَّف إثْرَ ما اكتشفتُه في غرفة الإدراك. وهذا يتضمَّن اتِّخاذ قرارات.

''عند وصولي إلى سنِّ الثانية والثلاثين، رأيتُ حياتي من وجهة نظر الأبديَّة. وأدركتُ أنَّ الأبديَّة لا تبدأ عند موتي. إنَّ أبديَّتي قد بدأت فعلًا! وهكذا تصوَّرتُ حياتي وكأنَّها خطٌّ لا نهاية له. وقفت عند الطرف الأيمن من الخطِّ ونظرتُ باتِّجاه نهاية حياتي عند الطرف الأيسر.

ميمي ٣٢ ______________________ ٨٠

خطر ببالي سؤالان مهمّان: أوّلًا، ماذا أريد أن أكون في سنِّ الثمانين؟ كان هذا الجزء الأسهل. لقد عرفتُ الجواب.

- امرأة قانعة
- امرأة حكيمة
- امرأة تقيّة

"أمّا السؤال الثاني- الذي استغرقتُ وقتًا أطول لأجيب عنه- فكان، كيف سأتمكّن من أن أصبح تلك المرأة؟ أدركتُ أنَّ الجواب يبدأ بمعرفةٍ أعمق لصفات الله".

منذ بلوغ ميمي سنَّ الثانية والثلاثين أخذتْ تُمضي صباح يومٍ من أيّام الأسبوع في الصلاة وتأمُّل ذات الله. إنْ كنتِ قد حاولتِ يومًا أن تصلِّي بوجود ثلاثة أولادٍ يدورون حول ركبتَيكِ، فإنَّك ستدركين الصعوبة الكبيرة التي ستواجهكِ. كيف قامت ميمي بذلك؟ "لم أرغب في أن يكرهَ الأولاد إلهي لأنَّه كان يحوز انتباهي خلال أوقات الصلاة. ولهذا، فقد أعطيتُ ملائكتي الثلاثة قبل أن أبدأ بالصلاة، حصّةً كبيرةً من "الكريما" (وقتًا مكثّفًا مع ماما، وأشياء خاصّة يحبُّونها). أكان الأمر يستحقُّ العناء؟ لقد كنتُ لأزحزح السماء والأرض للحصول على وقتٍ حميمٍ مع الربّ؛ لأنَّه قابلني وأظهر لي نفسه. لمّا أنهيتُ أوقات صلاتي، حزتُ ساعتئذٍ نِظرةً جديدةً للأبديّة، وتذكيرًا أسبوعيًّا بأبديّتي في الله. كنتُ قادرةً على رؤية يومي الحاضر والمشاكل التي يحملها من وجهة نظرٍ أبديّة".

قرّرت ميمي في سرِّها أن تنتقل من المعرفة (غرفة الإدراك) إلى العمل (غرفة القرار)، وهي ممتنّة أكثر امتنانٍ للقرارات السرِّيّة التي اتّخذتْها

لتحوزَ التقوى والحكمة والقناعة. وقد قالت: "مع أنَّه يمكنكِ أن تتظاهري بالطيبة والصلاح، فإنَّ التقوى لا يمكن محاكاتها".

تقدَّمت ميمي بعزمٍ ثابت نحو هدفها، وكان لاختيارها تأثيرٌ مُهمّ. مرَّت عشرون سنة منذ أن بدأت بحثها عنِ التركيز الثابت. وقد مشت على طول "خطِّ أبديَّتها".

ميمي

٣٢ ________ ٥٢ ________ ٨٠

كصديقةٍ لميمي، يمكنني القول إنَّها الآن امرأةٌ تتمتَّع بالقناعة والحكمة وتتَّصف بالتقوى. كم هو أمرٌ مثيرٌ للاهتمام تَصَوُّر المرأة التي ستكونُها وهي تتقدَّم نحو الأبديَّة![١١]

في أيَّة غرفةٍ أنتِ؟

أمَّا الآن وقد نظرنا إلى عدَّة نساءٍ طلبنَ من الله بقصدٍ وتصميم أن يريهنَّ ماذا كان هدف حياتهنَّ، أرجو أن يكون هذا قد شجَّعكِ على الاقتداء بهنَّ. إنَّني أدعو في صلاتي أن يكون لديك الدافع للانتقال من غرفة الإدراك إلى غرفة القرار.

إنَّ كلَّ واحدةٍ من صديقاتي اختارت بيان هدف التركيز على الله. إذِ اختارت فيليس أن تعيش حياتَها بهدفٍ، وأمانةٍ، وإبداعٍ، وبتناقضٍ. وقد صوَّرت جين حياتَها كشجرةٍ طلبت إلى الله أن يشذِّبَها باستمرار. أمَّا ناي، فقد حدَّدت آيتَين وصلاةً عبَّرت عن هدف حياتها. وعيَّنت ميمي مَن تريد أن تكون عندما تبلغ الثمانين من العمر، ومن ثَمَّ حدَّدت خطواتٍ معيَّنةً للوصول إلى هدفها.

كما أنَّ لكلٍّ واحدةٍ من النساء الأربع طريقتها المختلفة في الإعلان عن هدفها: إذ كتبتْ فيليس أهدافها في مفكِّرة، وكتبتها ناي على قلبها، وجاء إعلان ميمي بعد دراستها لحياة بعض النسوة، أمَّا إعلان جين فقد جاء من خلال دراستها لكلمة الله. إنَّ كلَّ هدفٍ من أهداف حياة كلِّ واحدةٍ منهنَّ كان أَشبَهَ بسلسلةٍ من العمليَّات، نمِّيَتْ ونُقِّيتْ بمرور الزمن. لقد اتَّخذت كلُّ واحدةٍ منهنَّ في مرحلةٍ معيَّنة، قرارًا بالسير قُدُمًا بوضوحٍ وبتركيزٍ ثابتٍ. في الأساس، اتَّخذت كلُّ امرأةٍ القرار السرِّيَّ لتحديد هدف حياتها بعونٍ من الله.

فيا صديقتي، هلَّا تصلِّين ثُمَّ تتناولين القلم والورقة وتسألين الله أن يُريَكِ إعلان هدف حياتك؟ اطرحي على نفسك السؤال التالي: **أين أريد أن أكون بعد عشر سنوات من اليوم؟** فكِّري بجملةٍ واحدة، أو آيةٍ من الكتاب المقدَّس تصف ما تؤمنين به بشأن الله وخُطَّته التي وضعها من أجلك. قولي مثلًا: "إنَّ هدف حياتي هو تمجيد الله في كلِّ ما أقوله وأفعله". إن لم تتمكني من التفكير في آيةٍ أو جملة، استعيري فكرةً ما من واحدةٍ من صديقاتي الأربع (لقد منحنَ جميعهنَّ الإذن بذلك). تذكَّري أنَّه مهما كان ما تكتبينه، فما هو إلَّا **البداية**.

لقد تطلَّب اكتشاف هدف حياتهنَّ سلسلةً من العمليَّات بالنسبة إلى النسوة الأربع، وهو سيكون كذلك بالنسبة إليك أنتِ أيضًا. غير أنَّه لا بدَّ أن تكون للعمليَّة بداية.

لقد كان للقصَّة التالية تأثيرٌ كبيرٌ في رغبتي في أن أحيا بتركيزٍ ثابت. سوف أدعو هذه المرأة ماتي. خلال حياتها، أحبَّت ماتي كلمة الله واتَّكلت عليها، والتزَمَتْ بأن تحفظ غيبًا عدَّة آياتٍ من كتابها المقدَّس البالي ذي الترجمة

بلغةٍ كلاسيكيَّة. كانَتِ الآية القدوة في حياتها هي ''لأنَّني عالمٌ بِمَن آمنت وموقنٌ أنَّه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم'' ٢ تيموثاوس ١:١٢.

عندما تقدَّمت ماتي في السنّ، وضعفت ذاكرتها وغابت عنها تفاصيل الأحداث. حتَّى إنَّها لم تعُدْ تميِّز الوجوه الحبيبة لأفراد أسرتها. أخيراً، أصبحت طريحة الفراش في إحدى دور الرعاية. لمَّا كان أفراد أسرتها وأصدقاؤها يزورونها، كانوا يجدون أنَّها لا تزال تتلو آياتٍ من الكتاب المقدَّس، خاصَّة الآية المفضَّلة لديها. غير أنَّه بمرور الوقت، راحت أجزاءٌ من هذه الآية الأميَز بالنسبة إليها تتلاشى. كانت تقول: ''إنِّي عالمٌ بِمَن آمنت، هو قادرٌ أن يحفظ وديعتي''. لمَّا راحت ماتي تضعف وتضعف، صارت الآية حتَّى أقصر: ''هو... وديعتي''.

وعندما استلقتْ ماتي على فراش الموت، صار صوتُها ضعيفًا حتَّى إنَّه توجَّب على أُسرتها أن ترهف السمع كي تسمع العبارات التي تهمس بها. وبقيت من آية حياتها المفضَّلةكلمة واحدة: ''هو... هو... هو''. لقد كان هو كلَّ ما بقي لها، وكلُّ ما تحتاج إليه. لقد كان تركيزها في الحياة منصبًّا عليه هو.[١٢]

فيكتوريا

غطسة رأسٍ أخرى وأنتهي من غسل شعري. أوه، لقد كان الماء باردًا! انخفضت حرارة الجوِّ خارجًا إلى -٥ فهرنهايت (نحو -٢٠ مئويَّة).

كنتُ أشعر بالأسف على نفسي حين مشت فيكتوريا مجتازةً الغرفة في بيتها حيث كنتُ أقيم تعلو وجهها ابتسامة لطيفة. لقد شعرتُ على الفور بأنَّني مُعاقَبة، وليس هذا عائدًا إلى شيءٍ قالته، بل كان بسبب ما كانت عليه. إنَّني متأكِّدةٌ من أنَّها حتَّى لم تلاحظ قطُّ كم كانت المياه شديدة البرودة؛ إذ كانت لديها أمور لتتعامل معها أصعب بكثيرٍ من فروة رأسٍ فقدت القدرة على الإحساس. أيَّة أهمِّيَّةٍ للإزعاج اليوميِّ عندما يكون ولدك متألِّمًا؟ لا يرى قلب الأمِّ سوى عذابِ ابنتها، وما كانت حياة الصغيرة أديانا سوى حياةِ ألمٍ هائل- أديانا التي أرادت أن تتبع المسيح كما فعل أبوها وأمُّها.

كانت رومانيا في سنة ١٩٨٠ أشبه بسجن، وكانت أديانا واحدةً من سجيناته الصغيرات. تعرَّضت أديانا للسخرية من قِبل معلِّميها؛ لأنَّ والدها كان قسًّا، وقد كانوا يجبرونها على الوقوف قدَّام زملائها في غرفة الصفِّ لينتقدوها ويهزأوا بها؛ لأنَّها تؤمن بأساطير غبيَّة. لو كانت طفلةً عدوانيَّة، لكانت ربَّما واجهتهم بأن دافعت عن نفسها، غير أنَّ أديانا البالغة ثلاثة عشر عامًا وذات الإحساس المرهف قد تحطَّمت. وصف الأطبَّاء لها جرعاتٍ قويَّةً من الأدوية المضادَّة للاكتئاب لمعالجة صدمتها العاطفيَّة. وما كان

بوسع فيكتوريا إلَّا المراقبة وهي ترى كنزها الغالي، ابنتها، تصير شخصًا آخر غير أديانا المرهفة الإحساس.

أيوجد أيُّ ألمٍ يوازي ألم والدٍ مُجبرٍ على رؤية طفلٍ يتعذَّب، خاصَّة حين يبدو أنَّه قد كان بإمكان الله أن يتدخَّل لمنع ذاك الألم؟ لو كنتُ مكانها، لاستولى عليَّ الاضطراب الشديد. لقد تعلَّمتْ فيكتوريا أن تُلقي بخوفها واضطرابها على الذي أحبَّ أديانا أكثر حتَّى ممَّا أحبَّتها هي_ أي على الله. لففتُ رأسيَ البارد بمنشفة، وذهبتُ للجلوس عند قدمَي فيكتوريا. لقد سارت حيث تقتُ أن أسير- في حضرة الملك المسيطر.

الفصل ٨

يُشبهُ القلق الكرسيَّ الهزَّاز

لقد جمعتُ مقتطفاتٍ بشأن موضوع القلق. أتنطبقُ إحداها على حياتكِ؟

يشبه القلق كرسيًّا هزَّازًا؛ إنَّه يُلهيكِ بشيءٍ تفعلينه،
غير أنَّه لا يوصلك إلى أيِّ مكان.

إنَّنا نمرُّ بلحظاتٍ لا وجود للقلق فيها على الإطلاق.
إنَّ أوقات الراحة القصيرة تلك تُدعى الهلع!

إنَّ هذه الأقوال بشأن القلق تجعلني أضحك، غير أنَّ العبارات التالية تجعلني أفكِّر.

قال جورج مولر: "إنَّ بداية القلق هي نهاية الإيمان،
أمَّا بداية الإيمان الحقيقيِّ فهي نهاية القلق".

إنَّ السبب في شعورنا بالهمِّ والقلق يعود كلُّه إلى
استبعاد الله من حساباتنا.

عندما نقلق، فكأنَّنا نقول: "إنَّ الله لا يستطيع". إنْ كُنَّا نسير في دروب القلق، فنحن لا نسلك بالإيمان. إنَّنا نريد أن نكون نسوةً ذوات إيمان، ومع

ذلك، فإنَّ **القلق** غالبًا ما يصيرِ مرافقًا لاسمنا. إنَّنا نعرف معاناة الوقوع في مخالبه، كما نعرف جيِّدًا انسياب الخوف الذي يتلوَّى شيئًا فشيئًا خلال عقولنا إلى أن يشقَّ قناةً تصبُّ فيها الأفكار الأخرى كلُّها. **يتوجَّب علينا** أن نتغلَّب على آفة "إنَّ الله لا يستطيع" هذه.

لقد فكَّرت مطوَّلاً بشأن موضوع القلق؛ لأنَّ الله مصمِّم على معالجة هذا المجال في حياتي. وأثناء مراقبتي للنساء وسؤالي لهنَّ عمَّا يقلقنَ بشأنه، أجبْنني بالقول: "**كلُّ شيء!**" غير أنَّ أكثر مجالات القلق اللاتي ذكرنَها شيوعًا، هي التالية وقدِ احتلَّ المال مكان الصدارة فيها:

المال: كيف سنتمكَّن من تسديد قسط الرهن هذا الشهر؟ أَيُمكنني تحمُّل التكاليف المادِّيَّة لإرسال أولادي إلى جامعةٍ مرموقة؟ كيف يمكنني تحمُّل مصاريف سيَّارةٍ أخرى؟

الأمومة: هل سأكون قادرةً على الإنجاب؟ هل سأكون أمًّا صالحة؟ هل سيتسبَّب الأولاد في معاناتي من المشاكل والمصاعب بقدر ما تسببتُ بهما لوالديَّ؟

الزواج: هل سأجد يومًا رجلاً أرغب في الزواج به؟ هل سيدوم زواجي؟ وهل سيكون زواجي مليئًا بالحيويَّة والإثارة؟ هل سيكون زوجي وفيًّا لي؟

الصحَّة: هل سأصاب أنا أو شخصٌ أحبُّه بداء السرطان أو بالألزهايمر؟

أمان الوظيفة: أَينبغي أن أكون أمًّا عاملة أم ربَّة منزل

تهتمُّ بشؤون بيتها ورعاية أولادها؟ إنْ كنتُ أمًّا عاملة، فهل سأتمكّن من البقاء في عملي؟

الوزن: هل سأبدو في ثوب السباحة بدينةً كما أشعر؟

التهديدات: هل سأتعرَّض للاغتصاب؟ هل سيتعرَّض ولدي للإساءة الجنسيَّة؟ هل سيعمد مختلٌّ ما إلى تفجير طائرتي؟

عندما سألتُ النساء عن أسباب قلقهنَّ، أعطينَني ثلاثة أسباب:

- أصبح العالم خارج نطاق السيطرة.
- أصبحَتِ الأسرة خارج نطاق السيطرة.
- أصبحت حياتي خارج نطاق السيطرة.

يمكنني أن أقرن هذه الهموم ومجالات القلق كلِّها بما اختبرتُه شخصيًا، ولكن حالما أنظر إلى الوراء إلى حياتي، أرى أنَّ أكبر همومي ومخاوفي كانت تدور حول أولادي الأربعة.

نحيبٌ في أحد مطارات نيويورك

التقطتُ الهاتف الذي كان يرنُّ في شقَّتنا في هونغ كونغ. كانَتِ المتَّصلة ابنتي روبن. وهذا ما جاء في مكالمتها: "ماما، يحدث أمرٌ رهيب لجسدي. لقد كُنَّا نَحضُر حفل زفاف، وقد كنتُ حينها أتناول شرائح بطاطا مقليَّة، وفجأةً كان زوجي ميكو يحملني إلى الخارج. كنتُ أبكي بصوتٍ عالٍ؛ ولكنَّني لم أعرفِ السبب. كنتُ خائفة، وكنتُ أشعر أيضًا بأنَّ شيئًا ما كان يحدث في جسدي الذي فقدتُ السيطرة عليه. ماما، كان الأمر مريعًا وتكرَّر حدوثه مرَّةً أخرى

في المِصعد. ما هذا؟ إنَّني خائفة جدًّا. وقد قالت صديقتي إنَّها نوبة هلع. لكن، لماذا سأصاب بنوبة هلع؟"

تلت هذه المحادثة محادثة أخرى بعد بضعة أسابيع.

"ماما، لديَّ أخبار رائعة. إنَّ ما أصابني ليس نوبات هلع بل نوبات صرع. أليس هذا عظيمًا؟ إنَّ منشأه ليس انفعاليًّا، بل هو جسديّ! سوف أخضع غدًا لتصويرٍ بالرنين المغناطيسيِّ (MRI)، ولمسح طبقيٍّ محوريٍّ بالكمبيوتر(CAT-Scan). ألستِ مسرورة يا ماما؟"

لم يسرَّني هذا الخبر كثيرًا. إذ إنَّ نوبات الصرع لدى الراشدين الشباب قد تعني أمورًا كثيرة، وليس من بينها ما يدعو إلى السرور. أتذكَّر أنَّني قلتُ لزوجي جُدي: "إنَّ ما أصاب روبن ليس نوبات هلع، بل إنَّها تعاني من نوبات صرع وهي تعتقد أنَّ ذلك جيِّد". عرفتُ أنَّ نوبات الصرع يمكن أن تعني ورمًا دماغيًّا، وبدأ التوجُّس يملأ ذهني. ولم يساعد نظرتي إلى الأمور واقع أنَّني قد حضرتُ مؤخَّرًا جنازة ابن صديقةٍ لي قد توفِّي نتيجة إصابته بورمٍ دماغيّ.

انساب الخوف الذي يتلوَّى شيئًا فشيئًا خلال عقلي إلى أن أصبح كسيلٍ مندفع يشقُّ قناةً تصبُّ فيها أفكاري كلُّها. ومع أنَّني صلَّيتُ وعهدتُ بالحال إلى الله، فإنَّني وجدتُ نفسي أمعن في التفكير فيها بعد خمس دقائق. "يا إلهي، علِّمني أن أثق بك"، هكذا أصبحت صلاتي.

مرَّت عدَّة أيَّام ثُمَّ علمنا أنَّ فحوصات روبن قد أظهرت أنَّها لا تعاني من ورمٍ دماغيّ، فشكرنا الله. شُخِّصتْ حالتها على أنَّها تعاني الصرع، ووُصِف لها علاجٌ دوائيٌّ للسيطرة على النوبات المفاجئة.

كان محيطٌ وقارَّةٌ يفصلان ما بيني وبين ابنتي في فيلادلفيا. الأمُّ وحدها قادرةٌ على أن تدرك مقدار بُعْد ذلك. لقد تقتُ إلى رؤيتها وإلى ضمِّها. وبما أنَّني كنتُ بطلةً في اقتناص الصفقات، فقد وجدتُ رحلة سياحيَّة بالطائرة من هونغ كونغ إلى نيويورك ذهابًا وإيابًا بمبلغ ٥٠٠ دولار، فأمضيتُ أسبوعًا مع روبن في فيلادلفيا. ومع أنَّه كان من الصعب رؤية تأثيرات العلاج فيها، فإنَّ ما بدا أنَّها كانت تتحكَّم بالنوبات. عندما غادرتُ في القطار للَّحاق بطيران العودة إلى هونغ كونغ، كنتُ ممتنَّةً جدًّا.

قبل صعودي إلى الطائرة، اتَّصلتُ بروبن؛ لأنَّني أردتُ أن أسمع صوتها مرَّة أخيرة. كان الصوت الذي أجابني ضعيفًا، لا أكاد أميِّزه. عندما قلت، "حبيبتي، ما الذي يجري"؟ انفجَرَت بالبكاء. "ماما، لقد كان تأثير الدواء فيَّ مريعًا، وها إنِّي مريضةٌ جدًّا. لم يسبق أن كنتُ مريضةً إلى هذا الحدِّ في حياتي. إنَّ حرارة جسمي مرتفعة، والطفح الجلديُّ يغطِّي جسدي كلَّه، ولديَّ تضخُّمٌ في الغدد اللمفاويَّة. يقول الطبيب إنَّ عليَّ أن أوقف العلاج على الفور، وهذا معناه عودة نوبات الصرع".

عندما تصوَّرتُ ابنتي العزيزة وحيدةً ومريضة (لم يتمكَّنوا من تحديد مكان وجود زوجها في الجامعة)، فعلتُ ما كانت لتفعله أيَّة أمٍّ تحترم ذاتها: وقفت وحدي في إحدى زوايا مطار نيويورك، وبكيتُ بحرقةٍ لمدَّةٍ طويلة. كانت مشاعر العجز تملأ قلبي. لقد كانَتِ ابنتي بحاجةٍ إليَّ وأنا لم أكن إلى جانبها هناك.

تذكَّرتُ قولاً كنتُ قد حفظتُه غيبًا: "ليس التوتُّر الهادئ ثقةً، بل هو مجرَّد قلقٍ مكبوت".[١] لقد شعرتُ بالقلق يمزِّق أحشائي!

تعريف القلق

لقد عانت كلُّ النساء اللاتي عرفتهنَّ من القلق في مرحلةٍ ما أو أخرى. لديَّ صديقاتٌ قدِ اختبرنَ نوبات قلقٍ سببها عدم توازنٍ كيمياويٍّ في أدمغتهنَّ، وكان عليهنَّ الخضوع لعلاجٍ للسيطرة على قلقهنَّ. إنَّ هذه مشكلةٌ جسديَّة ليس بوسعهنَّ السيطرة عليها إلَّا بشكلٍ محدودٍ جدًّا. ليس هذا نوع القلق الذي أتحدَّث بشأنه. إنَّني أتحدَّث بشأن القلق اليوميِّ الذي نسمح له بأن يسيطر على حياتنا.

ذكر الدكتوران فرانك مينيرث (Dr. Frank Minirth) وبول ماير (Dr. Paul Meier) في كتابهما "**حياة خالية من القلق**" (*Worry- Free living*)، أنَّ القلق هو المسبِّب الأوَّل لاضطراب الصحَّة العقليَّة في أميركا[٢]. ومع ذلك، فإنْ سألتِ عشر نساءٍ أن يصفنَ القلق، فلسوف تحصلين على عشر إجاباتٍ مختلفة. إليكِ أجوبة بعض النساء اللاتي سألتُهنَّ أن يحدِّدن معنى القلق.

- حين أُمضي نصف ليلتي وأنا أقطع المكان جيئةً وذهابًا دون القدرة على النوم.
- إنَّه الضجرُ البغيض الذي أشعر به حين لا أستطيع أن أجلس ساكنةً، ولا أستطيع أن أركِّز وقتًا كافيًا لإنجاز أيِّ شيءٍ كان.
- إنَّه الألم في الرقبة الذي يبدأ في الكتف ويزحف ببطءٍ نحو رقبتي.

ومع أنَّ جميع هذه الإجابات صحيحة، فإنَّها تُركِّز على نتيجة القلق بدلاً من أن تعرِّفه. إذن، كيف نحدِّد معنى القلق؟

إنَّ كلمة **قلق** مشتقَّةٌ من الكلمة الأنجلوساكسونيَّة القديمة التي تعني "يكبت أو يخنق". إنَّ قبضة القلق الخانقة تمنع أيَّة امرأة من الاستمتاع بحياةٍ يسودها السلام والقناعة .

إنَّ **القلق** هو الذي يعمل على انفصال الروح وتشتيتها، وهو ما يحوِّلنا عنِ الواجب الحالي إلى الاهتمام بالحسابات المرهِقة لكيفية مواجهة ظروفٍ قد لا تأتي أبدًا. إنَّها عادة عبور الجسور قبل أن نصل إليها.

يتعلَّق القلق بالمنظور أكثر منه بالظروف. في حالاتٍ متشابهة، قد تشعر امرأة ما بالقلق، فيما تشعر أخرى بالسكينة والسلام. تقلق المرأة حين تشعر بتهديدٍ ما أو خطر. أستخدمُ كلمة "أشعر" لأنَّ الخطر إمَّا أن يكون حقيقيًّا أو وهميًّا. فعندما يكون ولدي واقفًا في وسط الشارع وتبدو سيَّارة قادمة، فإنَّ الخطر يكون حقيقيًّا؛ لذا فالقلق هنا أمرٌ جيِّد، إذ إنَّه أشبه ما يكون بنظام إنذار يساعدني على إنقاذ ابني من الأذى. أمَّا إذا انتابني القلق بشأن أمورٍ مثل: **احتمال** تعاطي ولدي المخدِّرات؛ **واحتمال** أن تصبح ابنتي حبلى؛ **واحتمال** خيانة زوجي لي؛ **واحتمال** أن أصاب بسرطان الثدي؛ **واحتمال** عدم تمكُّننا من دفع فواتيرنا الشهر القادم، فإنَّ الخطر في هذه الحالات يكون وهميًّا.

قال الفيلسوف الفرنسيُّ مونتين: "لقد كانت حياتي حافلةً بالمصائب الرهيبة الناتجة عن سوء الحظ، والتي لم تحدث في معظمها مطلقًا". عندما نُمضي وقتًا ثمينًا في القلق بشأن ما **قد** يحدث، يصبح القلق متاعًا سلبيًّا يرهقنا بثقله، ويستنفد طاقتنا، ويتركنا عاجزين.

قد تخلط النساء في بعض الأحيان ما بين القلق والاكتئاب. إذ يرتبط القلق، وفقًا لمينيرث وماير، أكثر ما يرتبط بالمستقبل، بينما يرتبط الاكتئاب بالماضي. إنَّ الاكتئاب هو الماضي الذي يُلقي بظلاله الثقيلة على المستقبل، والقلق هو المستقبل الذي يُلقي بثقله على الحاضر[٣]. قالت إحدى النساء إنَّ القلق هو الفائدة التي تدفعينها سلفًا لقاء المشاكل والأخطار التي نادرًا ما

تأتي. كم أنَّ هذا صحيح! غيرَ أنَّنا نحن النساءَ نعاني من قلقٍ مزمن. والنساء المسيحيَّات هنَّ في عداد الأسوإ بينهنَّ. **نقول في لحظة إنَّنا نثق بالله، ونقول في اللحظة التالية كم نحن قلقات!** إنَّ القلق والاضطراب يُظهران ظلًّا كبيراً لشيءٍ صغير، وهذا الظلُّ يثير المشاكل، لا في الروح والنفس فحسب، بل في الجسد أيضًا.

القلق مدمِّر

مع أنَّ الأمر قد يبدو بعيدًا عنِ التصديق، فإنَّ الناس يستطيعون في الواقع أن يعانوا من القلق في داخلهم حتَّى الموت. وجدت دراسةٌ عمرها اثنان وثلاثون عامًا أوردتها كخبرٍ مجلَّة "**Circulation**"، أنَّ الأشخاص الذين يعانون من القلق والاضطراب معرَّضون لاحتمال الإصابة بالنوبات القلبيَّة أربع مرَّات ونصف أكثر من نظرائهم ممَّن لا يعانون منهما. وقد أثبتَتِ الأبحاث الطبيَّة الحديثة أنَّ القلق يدمِّر مقاومة الجسم الطبيعيَّة للمرض. وهو بالإضافة إلى ذلك، يُلحق الضرر فعليًّا بالجهاز العصبيِّ، ويؤثِّر بشكلٍ خاصٍّ في الجهاز الهضميِّ والقلب. وعندما نضيف إلى هذا تأثير ليالي الأرق والنهارات التي تخلو من الإحساس بالرضا، يمكننا أن نَلمَح قبضة القلق الخانقة التي تمسك بالقلب الإنسانيّ. لا يعمل القلق على إفراغ الغد من أحزانه، بل إنَّه يُفرغ اليوم الحاضر من قوَّته.

إنَّنا نعلم أنَّ القلق مدمِّر، ومع ذلك نستمرُّ في الاختناق بسبب القلق بخصوص ما يمكن أن يحدث. رسم أحد الأشخاص في بحثه عن حلٍّ لمشكلة القلق ما أسماه بجدول القلق، احتفظ فيه بسجلٍّ لمجالات قلقه. اكتشف أنَّ ٤٠٪ منها كانت حول أمورٍ من المرجَّح أنَّها لن تحدث أبدًا؛ و٣٠٪ تتعلَّق بقرارات سابقة ليس بإمكانه تغييرها الآن؛ وتتناول ١٢٪ انتقاداتٍ وجَّهها إليه

أشخاصٌ آخرون؛ وقد كانت ١٠ ٪ من مسبِّبات القلق همومًا تتعلَّق بصحِّته. انتهى إلى نتيجةٍ مفادها أنَّ ٨٪ فقط من همومه كانت حقًّا مشروعةً![٤]

ربَّما كانت سمة القلق الأكثر مدعاةً للانتباه هي عجزه المطلق. إنَّ القلق لا يغيِّر شيئًا مطلقًا إلَّا الشخص القَلِق. لم يسجِّلِ التاريخ أنَّ القلق قد حمى من كارثة. ولا حال دون وقوع إعصار، ولا تفادي جفافٍ، ولا مَنْع تحطُّم طائرة، ولا حمى طفلاً من الوقوع عن درَّاجته، ولا مراهقًا من الهروب من مدرسته ولا من محاولة تجرِبة المخدِّرات. وما من نوبةٍ قلبيَّة استطاع القلق أن يمنعها (مع أنَّه تسبَّب في عددٍ كبيرٍ منها). إنَّ القلق ضارٌّ وغير نافع بلا شكَّ. وكمثال الكرسيِّ الهزَّاز الذي ذكرته سابقًا، فهو لا يوصلنا إلى أيِّ مكان، غير أنَّه على الأقلِّ يمنحنا شيئًا نفعله، والنساء يحببنَ أن يفعلنَ شيئًا ما!

كم من الساعات والأيَّام قدِ انقضت في القلق بشأن أمورٍ لا سيطرة لنا عليها، وأشياء لن تحصل أبدًا؟ ما من شكٍّ في حقيقة أنَّ القلق، في تسعٍ من عشر حالات، يتسبَّب في أذيَّة جسدنا وروحنا ونفسنا أكثر ممَّا يفعله في الواقع الموضوع الذي نقلق بشأنه.

هل يُعدُّ القلق خطيئة؟

لحسن الحظ، تمنحنا كلمة الله علاجًا أكثر فاعليَّة. يمكننا أن نتأكَّد من وجود علاجٍ؛ لأنَّ يسوع أوصانا أن نتجنَّب القلق. وهذا نراه واضحًا في التحذيرات في الموعظة على الجبل، لا سيَّما في متَّى ٦:٢٥-٣٤ حيث يُرسل يسوع رسالةً فحواها: "توقَّفوا عنِ القلق".

> "لذلك أقول لكم لا تهتمُّوا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليسَتِ الحياة أفضل

من الطعام والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء. إنَّها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحريِّ أفضل منها؟ ومَن منكم إذا **اهتمَّ** يقدر أن يزيد على قامته ذراعًا واحدة؟ ولماذا **تهتمُّون** باللباس؟ تأمَّلوا زنابق الحقل كيف تنمو. لاتتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم إنَّه ولا سليمان في كلِّ مجده كان يلبس كواحدةٍ منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويُطرح غدًا في التنُّور يُلبِسه الله هكذا، أفليس بالحريِّ جدًّا يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟ **فلا تهتمُّوا** قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فإنَّ هذه كلُّها تطلبها الأمم. لأنَّ أباكم السماوي يعلم أنَّكم تحتاجون إلى هذه كلِّها. لكن اطلبوا أوَّلاً ملكوت الله وبرَّه وهذه كلُّها تُزاد لكم. **فلا تهتمُّوا** للغد. لأنَّ الغد يهتمُّ بما لنفسه. يكفي اليوم شرُّه".

يقول لنا يسوع **خمس** مرَّات في هذه الفِقرة أن **نتوقَّف عنِ القلق.** أَتعتقدن أنَّه يريد منَّا أن نفهم هذه الرسالة؟

في هذه الآيات، يصف يسوع القلق أوِ اضطراب النفس بأنَّه دلالة على قلَّة إيمان. وهو يأمرنا بعدم القلق ويوصينا بأن نكون نسوةً يتحلَّينَ بالإيمان (الآية ٣٠). بدلاً من الشعور بالقلق والاضطراب، علينا أن نركِّز اهتمامنا على الله وبرِّه. وتكشف لنا الآية ٣٤ سرَّ الحياة المحرَّرة من القلق. إذ تقول إحدى ترجمات الكتاب المقدَّس بوضوحٍ تامّ: "إذن لا تقلقوا بشأن الغد. فإنَّ الله سوف يهتمُّ بغدِكُم أيضًا. عيشوا كلَّ يومٍ بيومه ". من المؤكَّد أنَّ علينا

أن نصلّيَ، ونخطِّطَ، ونستعدَّ للغد، ولكن ليس علينا أن نهتمَّ بشأن ما **يمكن** أن يحدث. إنَّ حِمْل الغد مضافًا إلى حِمْل الأمس، وملحوقًا بحمل اليوم، يجعل حتَّى أقوى امرأة تتعثَّر. علينا أن نعهد بِغَدنا كلِّه إلى الله ونعيش يومنا فقط. إنَّ السير مع الله خلال ساعات اليوم الأربع والعشرين هو صعب بما فيه الكفاية.

في كتاب "**دراسات حول الكلمة في العهد الجديد اليونانيّ**" (*In Word Studies in the Greek New Testament*)، كتب كينيث ويست (Kenneth Wuest)، "لقد أوصانا الله أن نكفَّ عنِ القلق الدائم بشأن أيِّ أمرٍ. إنَّنا نرتكب خطيئة حين نقلق. وإنَّ قلقنا يعني عدم ثقتنا بالله. فإنَّنا عندما نقلق، لا نتلقَّى إجابات لصلاتنا لأنَّنا لسنا متَّكلين على الله وواثقين به".[٥] ذهب الأسقف فلتون جي. شين حتَّى إلى أبعد من ذلك حين قال: "إنَّ كلَّ قلقٍ هو إلحاد؛ لأنَّه افتقارٌ إلى الثقة بالله والإيمان به".[٦] عندما أسأل نساءً عمَّ إذا اعتقدنَ أنَّ القلق خطيئة، فإنَّهنَّ كنَّ يبدينَ إمَّا حالة صدمة وذهول، أو يشهقنَ شهقة عدم تصديق. قالت إحدى النسوة: "حسنًا، يُفترَض بالأمَّهات أن يقلقن".

من السهل علينا أن نخدع أنفسنا في التفكير **بأنَّنا نهتمُّ فحسب**، أو أن نضفيَ مظهرًا برَّاقًا على الحقيقة البشعة وهي أنَّ القلق خطيئة. يقول القلق: "إنَّني لا أثق بالله. كما إنَّني لا أؤمن بقدرته على تدبير أمور ولدي، وزواجي، وصحَّتي، وعملي، أو وَحدتي". لقد دعا أوزوالد تشامبرز القلق بالغدر وخيانة عهد: "ليس القلق خطيئة فحسب، بل إنَّه خيانة للعهد؛ لأنَّ القلق يعني أنَّنا لا نعتقد بإمكان الله أن يهتمَّ بتفاصيل حياتنا، وليس أمرٌ آخر قطُّ يُثير قلقنا أكثر من التفاصيل ".[٧]

ألقِي بهمومكِ على يســوع

لقد أوصانا كلٌّ من الربِّ يسوعَ وبولس بأنْ "لا نقلق ولا نضطرب"، فكيف يمكننا أن نطيع هذه الوصيَّة إنْ كان القلق يساور هذا العدد الكبير من الناس؟ بل ويبدو القلق أمرًا طبيعيًا إلى أبعد الحدود. لقد أظهرَ لنا الرسول بطرس كيف يكون هذا ممكنًا. وفي ١بطرس ٥:٦-٧، قدَّم بطرس إلينا خِيارًا بديلاً عنِ النوء بأنفسنا تحت حمل قلقنا.

> فتواضعوا تحت يد الله القويَّة لكي يرفعكم في حينه.
> مُلقين كلَّ همَّكم عليه لأنَّه هو يعتني بكم.

تقول إحدى الترجمات الفرنسيَّة حرفيًّا: "أفرغوا همومكم كلَّها عليه". تعني الكلمة اليونانيَّة المرادفة لكلمة **مُلقين** "أن نرمي". إنَّني أفضِّل شخصيًّا ترجمةً إنكليزيَّةً أخرى (ترجمة فيليبس) للآية ٧: "يمكنك أن ترمي بثقل همومك عليه، لأنَّك أنت موضع اهتمامه الشخصيّ". يا لها من حقيقة عظيمة!

إنَّ عددًا كبيرًا منَّا قد حفظ غيبًا ١ بطرس ٧:٥ وخبَّأها جانبًا كي يُخرجها عند ظهور مشكلةٍ ما. غير أنَّنا عندما نطبِّق هذا الجزء الرائع- المتعلِّق "بإلقاء كلِّ الهمِّ"- فإنَّنا غالبًا ما ننسى الجزء الأوَّل من الآية والمتعلِّق "بالتواضع تحت يد الله القويَّة". لا تجمع بين الآيتين فكرة واحدة فقط، بل إنَّهما تشكِّلان جملة واحدة! ويجب أن تُقرأا معًا وتُطبَّقا معًا.

ما معنى أن نتواضع تحت يد الله القويَّة؟ التواضع يعني الثقة الكاملة بالله وحده. إنَّه تسليم كياننا كلِّه: الفكر، والعاطفة، والإرادة، والخُطط، والأحكام. إنَّه التخلِّي عن كلِّ شيء. بالنسبة إليَّ، يتضمَّن اتِّضاع النفس إطاعة الله بوصفه المسيطر المبارك على كلِّ ظرفٍ أو شخصٍ يتسبَّب في إثارة قلقنا مهما كان.

فلْنعُد إلى زاوية مطار نيويورك وإلى لحظة شعوري بالألم العميق. ما من كلماتٍ كافية يمكن أن تعبِّر عمَّا شعرت به. لقد أردتُ أن ألقيَ ببطاقة الطائرة وأركبَ القطار وأعود إلى ابنتي. شعرتُ بألمٍ في معدتي، واضطرابٍ في روحي. وقفتُ هناك منتحِبةً ومضطربة. ولمَّا صلَّيتُ، أعاد الله إلى ذهني هذه الفِقرة الجميلة من ١بطرس ٥: ٦-٧. كنتُ أعلِّم رسالة بطرس الأولى، وكانت هاتان الآيتان ما تزالان حاضرتَين في قلبي. صلَّيتُ بهما وسلَّمتُ ابنتي الغالية إليه.

يا إلهي، أنت تراني ههنا. وأنت تعرف مقدار عمق ألمي. ما من كلماتٍ يمكنها التعبير عمَّا يعتمر في صدري، ولكنَّك تعلم كلَّ الألم. إنَّني لا أفهم لماذا كانت روبن بحالةٍ جيِّدة خلال الأسبوع كلِّه، وما إن غادرتُها حتَّى أصيبت بالمرض الشديد. مع هذا يا إلهي، أنا أعرف أنَّك المبارك المسيطر على الأشياء كلِّها. وأعلم أنَّك تهتمُّ بمحبَّة وبشكلٍ شخصيٍّ بابنتي. أنت ملمٌّ تمامًا بجميع طرقها، بذبذبات دماغها، وبتأثير العلاج فيها. يا أبتِ، إنَّها مُلكٌ لك. إنَّ أوقاتها هي بين يدَيك القديرتَين. إنَّني باتِّضاع أستودعك كنزي الثمين، وأرمي بكلِّ قلقي عليك لأنَّك تهتمُّ بي اهتمامًا شخصيًّا، تمامًا كاهتمامك بروبن.

عندما صلَّيت، تشكَّلت صورةٌ ما في ذهني.

إلهي، أنت تعرف خوفي من الأماكن المرتفعة، ولكنِّي أتصوَّر نفسي في هذه اللحظة فوق أعلى بناءٍ في هونغ

كونغ. أسير نحو حافَة المبنى حاملةً روبن بين ذراعيَّ.
أيُّها الآب القدُّوس، عندما أنظر عبر الحافَة، أراك واقفًا
في الأسفل ويداك مبسوطتان تنتظر أن أقفز، وأن أرميَ
كلَّ همِّي عليك. إلهي، إنَّني مجرَّد همٍّ كبيرٍ واحد،
ولكنَّني أهبط الآن بين ذراعَيك.

بعد عشرين دقيقةً من قفزتي بين ذراعَيِ الله وإفراغ كلِّ همِّي عليه، ركبتُ الطائرة. إنَّني لستُ إنسانةً هادئةً بطبعي، ومع ذلك فقد شعرتُ بالسكينة والسلام. وكانت تلك هي المعجزة!

كان ما حدث في مطار نيويورك هو بداية تسليمي ابنتي في عُهدة الربّ. وما زال نصف العالم يفصل ما بيني وبين روبن. خلال السنتَين التاليتَين، اختبَرتْ روبن عددًا لا حصر له من المشاكل الطبيَّة: مخاوف سرطانيَّة، وخزعات (لفحص عيِّنات حيَّة)، ومزيد من التأثيرات الدوائيَّة، ونوبات لا يمكن التحكُّم بها. وقد أُصيبت بالاكتئاب نتيجة العلاج، كما شعرتْ وكأنَّها "ميِّتة حيَّة". وقد واجهت هي وزوجها ضغوطًا ماليَّة مستمرَّة بالإضافة إلى حادث سيَّارة خطير- أي مزيدٌ من الضغوط.

أيَّةَ خبرةٍ قد واجهتُها؟ كان عليَّ بشكلٍ مستمرٍّ (وأعني مرارًا وتكرارًا) أن أسلِّم ابنتي في عهدة الله. في كلِّ مرَّة يرنُّ الهاتف، كنتُ ذهنيًّا أخرُّ راكعةً على ركبتَيَّ وأسلِّمُها مرَّة أخرى إلى المسيطر المبارك الذي يحبُّها. فبدلاً من أن أقلق بشأنها وأدَعَ أفكاري تدخل في سباقٍ مع الخوف حول ما يمكن أن يحدث، اخترتُ أن أصلِّيَ وأسألَ الله أن يتعهدَّها برعايته. لقد كان هذا صعبًا؛ كما كان قرارًا كنتُ أتَّخذه يوميًّا، ولحظةً بلحظة في بعض الأحيان. لقد كان ثمَّة مساعدٌ مرئيٌّ واحد مدَّ إليَّ يد العون.

صندوق قلقي

إنَّه صندوق قلقي المصنوع على شكل قلبٍ والمثبَّت بشريطٍ من القماش، والذي كان يجثم في خزانة الكتب الواقعة فوق مكتبي. لو هززتُه، لتمكَّنتُ من سماع صوت قصاصات الورق تتحرَّك في داخله. حين يستولي على ذهني القلق والاضطراب، آخذ قطعةً صغيرةً من الورق وأسجِّل عليها ما أثار قلقي. من ثَمَّ أكتبُ التاريخ على الورقة وأضعُها في صندوق قلقي ذاك. ولمَّا كنتُ أفكُّ الشريط وأفتح الغطاء، أصلِّي قائلة: "إلهي، أقدِّم إليك همِّي الذي يمزِّقني. إنَّني أقول لك وأنا أضع هذا الهمَّ في الصندوق إنَّه لك. إنَّني أقدِّمه إليك. وإنَّك مَن يمكنه التعامل معه أفضل بكثير ممَّا أستطيع أن أفعل". أُغلق الصندوق، وأعيد ربط الشريط، وأشكر الله لأنَّ الهمَّ أصبح الآن ملكه.

في كلِّ مرَّةٍ أرى فيها الصندوق وهمومي محشوَّة فيه، أتذكَّر أنَّ الله هو مَن يحملها لا أنا. أفتح صندوقي مرَّة أو مرَّتَين في السنة وأقرأ همومي كلَّها. وأشكر الله على تلك التي اهتمَّ هو بها. وأضعُ الأخرى في الصندوق المصنوع على شكل قلب، وأستودعها في توقيت الله الذي يراه مناسبًا.

وقدِ استخدمتْ جودي نوعًا مختلفًا من الصناديق لتشجيعها على تسليم ابنها المراهق إلى الله. كان هذا الصندوق الضخم جميلاً، مغلَّفًا بمحبَّةٍ ومربوطًا بشريطٍ مخمليّ. وقفتْ جودي عند أسفل الدَّرج حاملةً الصندوق بين ذراعَيها، وصعدَتِ الدرجات ببطء وهي تقول: "إلهي، إنَّ هذا الصندوق يمثِّل ولدي- ولدي الذي مزَّق قلبي. ومع أنَّني حاولتُ أن أسلِّم أمره إليك، فإنَّني لطالما تراجعتُ عن ذلك باستمرار. إنَّني صاعدة هذه الدرجات لأتركَ الصندوق في الأعلى. إنَّه ملكك، عطيَّةٌ قد عهدتَ بها إليَّ عند ولادته. وأنا الآن وللمرَّة الأخيرة أعيده إليك. في كلِّ مرَّة أصعد فيها هذه الدرجات سوف أتذكَّر أنَّه بين يدَيك وأقدِّم إليك الشكر على ذلك".

ربَّما لا تروق لكِ فكرة صندوق الهموم أو صعود درجات السلم وأنت تحملين صندوقًا ضخمًا بين ذراعَيك. مهما كان، أنا أتحدَّاكِ **أن تقومي** بشيءٍ ملموس يشجِّعك على أن تضعي ثقتك في الله.

ومع أنَّ الحياة مليئةٌ باحتمال مواجهة المشاكل والألم، فإنَّنا نحوز خِيارًا: إمَّا أن نقلق أو أن نثق بِمَن هو أهلٌ للثقة. لا يمكننا أن نفعل كلا الأمرَين. حين يساورني القلق بشأن ابنتي- أو بشأن أيِّ شيءٍ آخر في حياتي- فإنَّني أسأل نفسي: "ما الذي أحاول أن أسيطر عليه بدلاً من الوثوق بالله؟"

إنَّنا نستطيع أن نستفيد من أولئك الذين حاربوا القلق قبلنا وتعلَّموا الحقيقة الرائعة: أنَّ الله موجودٌ في كلِّ غَدٍ من أيَّام حياتنا. فلْنستمعْ إلى كلمات جورج ماكدونالد.

> صدق من قال إنَّه ما من إنسانٍ قطُّ سقط تحت عبء يومه. وحين يُضاف عبء الغد إلىَ عبء اليوم الحاضر، يصبح الحمل أثقل ممَّا يستطيع الإنسان أن يحمله. فيا أحبَّائي، لا تحمِّلوا أنفسكم أبدًا هذا الكمَّ من الأثقال. إذا وجدتم أنفسكم مثقلين بحملكم، فتذكَّروا، على الأقلّ، أنَّ هذا من صُنْع أيديكم لا من صُنْع الله. لقد ناشدكم الله أن تتركوا المستقبل له وتهتمَّوا بالحاضر فحسب.[٨]

وقد أوضح إف. بي. ماير هذه الحقيقة حين قال: "إنَّ هذه هي الحياة المباركة: ليس فيها همومٌ نراها بعيدًا أمامنا، ولا تلهُّفٌ إلى اختيار الطريق، بل السير وراء الراعي، خطوةً بخطوة. كان الراعي دائمًا يتقدَّم الخراف ويسير أمامها، لذا فإنَّ أيَّ هجوم على الخراف لا بدَّ أن يأخذ وجود الراعي في الحسبان. إنَّ الله يتقدَّمنا وهو في أيَّام الغد. ومع أنَّ الغد هو الذي يملأ

البشر بالتوجُّس والخشية، فإنَّ الله موجودٌ هناك قبلاً. إنَّه لا بدَّ من مرور كلِّ أيَّام الغد في حياتنا عليه قبل أن تتمكَّن من الوصول إلينا".[٩]

هل فهمتنَّ ما قاله ماير؟ **الله موجودٌ قبلاً في قادم أيَّامي، وفي غدِ روبن، وفي مستقبل أيَّامكنَّ أيضًا.** لهذا يمكننا أن نعهد بأيَّامنا إليه ونقدِّم إليه أحمالنا الثقيلة في كلِّ ما **يمكن** أن يحدث. يمكننا أن نلقيَ الحمل على كتفَيه القويَّتَين. إنَّ الله أكثر قدرة بكثير منَّا على حمله. إن لم نقلق بشأن الغد، فإنِّه يمكننا التركيز على وضع ثقتنا في الله من أجل يومنا الحاضر.

التحرُّر من القلق هو عمليَّة

يشجِّعني الرسول بطرس، الصيَّاد بطرس سابقًا، في رحلتي نحو القناعة. إنَّه الرجل الذي علَّمنا أن نضع أنفسنا ونستودع كلَّ شيء لدى ربِّنا الكليِّ القدرة، وعلَّمنا أن نُلقي بكلِّ همومنا بين ذراعَيه القوِّيتَين. غير أنَّ بطرس هذا نفسه كان شخصًا قلقًا.

إنَّني أقول في بطرس في السنوات السابقة إنَّه "بطرس المندفع، بطرس القَلِق". عندما اتَّجه نحو يسوع ماشيًا على المياه، اضطرب وخاف حتَّى إنَّه أخذ يغرق (متَّى ١٤:٣٠). وقلق بطرس بشأن هويَّة الشخص الذي سيخون يسوع، حتَّى إنَّه لام يسوع لأنَّه كان خائفًا من إمكانيَّة أن يكون على يسوع أن يتألَّم. ومع ذلك، قال بطرس، الخائف العظيم، في رسالته الأولى إلى الآخرين أن يلقوا همَّهم على الربِّ يسوع. إنْ كان باستطاعة بطرس أن ينموَ في الثقة وينقص في الخوف والقلق، فكذلك نستطيع نحن! لقد كانت تلك عمليَّةً بالنسبة إلى بطرس؛ وهي عمليَّة بالنسبة إلينا نحن أيضًا.

تبدأ العمليَّة عندما:

- تقرِّين بصحَّة أنَّ القلق خطيئة، وتعترفين لله بذلك.
- تسلِّمين أمرك إلى هيمنة الله، وتقدِّمين إليه الشكر؛ لأنَّه المسيطر المبارك على المشاكل التي تواجهينها.
- تقرِّرين أن تلقي بهمِّك على الله.
- تتَّخذين قرارًا بأن تعهدي بمستقبلك لله وتعيشين ليومك.

اجعَلِ اسمي "المتحرِّرة من الهموم"

من المرجَّح أنَّكِ ما سمعتِ قطُّ **بتيتيديوس أميريمنوس**، مع ذلك، فإنَّه رجلٌ أحبُّ أن أتشبَّه به. نقرأ عنه في مخطوطٍ يونانيٍّ يعود إلى أوائل عهود المسيحيَّة. إنَّ تيتيديوس هو اسمه الأصليّ، ولكن الجزء الآخر منه، **أميريمنوس** هو اسم مركَّبٌ من الكلمة اليونانيَّة المرادفة لكلمة "همٍّ أو قلق" بالإضافة إلى بادئة الكلمة والتي تعني "بلا". بكلماتٍ أخرى، اسمه الثاني هو لقبٌ وصفيٌّ كالجزء الثاني من اسم "الإسكندر الأكبر" أو "جيمس العادل". يُفترض أنَّ تيتيديوس كان رجلاً قلِقًا، تحوَّل إلى إنسانٍ واثقٍ متوكِّل حين التقى السيِّد المسيح وكفَّ عنِ الشعور بالخوف والقلق لِذا فقد دُعِي باسم "تيتيديوس، الرجل الذي لا يقلقُ أبدًا".[10]

إنَّني أتوق إلى أن يصبح اسمي "ليندا، المرأة التي لا تقلق أبدًا". إنَّ هويَّة المرأة ليست بأهمِّيَّة ما هي **عليه الآن**، بل بما **ستصبح عليه!** إنِ استطاع الله أن يأخذ امرأةً مثلي، تحبُّ التحكُّم بالأمور وتصبح قَلِقةً بسهولة؛ ويبدأ بتحويلها إلى امرأةٍ تتَّكل عليه وتقرِّر ألَّا تقلق أو تخاف، فإنَّه يستطيع أن يفعل لك الشيء عينه. فلْنُصلِّ كي يغيِّر الله أسماءنا!

داليا

كان بول بلا شكٍّ شخصًا يستحقُّ الفوز به. لقد كان بإمكانه، وهو الذي يتمتَّع بالمظهر الوسيم والذكاء والقوَّة الجسديَّة، أن يختار مَن يشاء من الفتيات الشابَّات، فاختار داليا لتكون عروسه. كان أملهما أن يقضيا حياتهما معًا في خدمة السيِّد المسيح. لم يكن بإمكان داليا مطلقًا أن تتصوَّر ما يدَّخره لها المستقبل.

كان بول، حتَّى في شبابه، متحدِّثًا يتمتَّع بالحيويَّة، وقائدًا مسيحيًّا محترمًا. غير أنَّ المشكلة أنَّ بول وداليا كانا رومانيَّين يعيشان تحت الحكم الشيوعيِّ آنذاك. وبينما كان المسيحيُّون يحترمون بول، كانَتِ الشرطة السرِّيَّة تدبِّر المكائد للقضاء عليه.

مرَّةً بعد أخرى، استُدعي بول إلى مركز الشرطة وخضع للتحقيق. أدَّى تفتيش البيت والمضايقات المستمرَّة إلى إرهاق الأسرة الصغيرة. وقد كانت داليا دائمة الخوف على بول، وأولادها، ونفسها أيضًا. وقد تحقَّقت مخاوفها ذات يوم.

فخلال عاصفة ماطرة، كان بول ينظر إلى الأعلى وهو يمشي في الطريق الضيِّق حول زاوية منزله. صدمة! عدم تصديق! وارتعاش من الخوف. كانَتِ الخطوط الكهربائيَّة مربوطةً بسلك إلى المزراب (أنبوب تصريف المياه) الموجود تحت سقف بيته- وكان الموت بالصعقة الكهربائيَّة على بعد ثوانٍ وبضع بوصات فقط منهم. إنَّ نعمة الله فقط هي التي أنقذته من موتٍ محتَّم. حين علمتْ داليا

بالخبر، نادت الله قائلة: ''لن يتوقّفوا عند أيِّ حدّ! أَفُرِض علينا أن نعيش كلَّ يومٍ في الخوف من الخطوة التالية للشرطة السرِّيَّة؟''

تذكَّرتُ ليلةً مميَّزة أمضيناها برفقة داليا وبول. قبل انتهائنا من تناول طعام العشاء، اندفع رجلٌ إلى داخل المنزل وقال: ''الشرطة السرِّيَّة موجودة الآن في الفندق تبحث عن جُدي ديلو! جُدي، أنت وليندا لن تتمكَّنا من العودة إلى الفندق. أعطياني مفاتيح الغرفة وسنحضر أمتعتكما ونلاقيكما، وبعد ذلك يجب أن تتَّجهوا بسيَّارتكما إلى الحدود- وبسرعة!''

عندما اندفعتُ أنا وجُدي نحو الباب، وضعت داليا يدها على ذراعي وابتسمت ابتسامةَ سكينةٍ وسلام وقالت: ''ليندا، إنَّني أفهم موقفكما. إنَّ التحرُّش والمضايقات والخوف والاستجواب أجزاءٌ من حياتنا. ثِقا بالله القادر على كلِّ شيء! إنَّه يستحقُّ الوثوق به ''.

الفصل ٩

الإيمانُ هو الأساس

قبل أن نَمضي أبعدَ من ذلك، قد يكون من المفيد أن نتوقَّف ونفكِّر مليًّا بالطريق الذي قطعناه حتَّى الآن. لقد بدأنا رحلتنا في الفصل الأوَّل بالقول إنَّ القناعة هي اكتفاء روحيٌّ في متناول كلِّ واحدةٍ منَّا، وهي شعورٌ بالسلام منفصلٌ عن ظروفنا. نظرنا في الفصل الثاني وحتَّى الفصل الخامس إلى مجالات الحياة حيث يتوق الله إلى أن نشعر بالقناعة والرضا: ظروفنا، وأنفسنا، وأدوارنا، وعلاقاتنا. وتفحَّصنا في الفصل السادس وحتَّى الفصل الثامن، ثلاثة حواجز تمنعنا من أن نكون قانعات: الجشع، التركيز الخاطئ، والقلق. نصل الآن إلى مفترق طرق- إلى جسرٍ ينحني كالقوس فوق مياهِ السَّخَط والاستياء الصاخبة، ويأخذنا إلى أرضٍ جديدة حيث تنمو القناعة وتزدهر. إنَّ هذا الجسر هو الإيمان.

إنَّ الإيمان يرفعنا فوق ظروفنا، وهو ما يجعلنا قادراتٍ على أن نكون قانعاتٍ حتَّى حين تبدو الحياة بلا معنى. إنَّ الإيمان هو الحصن الذي يحفظنا أقوياء حتَّى عندما تهاجمنا الأفكار المؤلمة حول ما يمكن أن يحدث أو ما قد حدث.

إنَّه عنصر حيويٌّ في علاقتنا بالله وفي قدرتنا على أن نكون قانعات.

والسؤال هنا: ما الإيمان في حقيقة الأمر؟ طرحتُ هذا السؤال على عدَّة نساء في أحد دروس الكتاب المقدَّس. وإليكِ ههنا كيف عرَّفنَ الإيمان:

- الإيمان هو الثقة بأنَّ الله يحفظ كلمته حين تصرخ مشاعري معلنةً أمرًا مختلفًا.
- الإيمان هو اعتقاد أكيدٌ بما أعرف أنَّه صحيح، إنَّما لا يمكنني في تلك اللحظة أن أشعر به أو أن ألمسه.
- الإيمان يكمِّل جزئي الصغير من الصورة في أُحجية تركيب القطع، دون أن أكون قادرةً على رؤية العمل المُنجَز.

كيف تعرِّفين الإيمان؟ إنَّني أشجِّعك على أن تتوقَّفي الآن على الفور وتكتبي تعريفك الخاصَّ بالإيمان. إنَّها ليست مهمَّةً سهلة، أليس كذلك؟ إنَّ الإيمان مفهوم ضخم يتحدَّى حدود الكلمات. غير أنَّ كاتب الرسالة إلى العبرانيِّين يقدِّم إلينا تعريفًا فذًّا: "وأمَّا الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى" (عبرانيِّين ١١:١).

إنَّها كلماتٌ ساميةٌ ونبيلةٌ وعميقة الغور، والسؤال المطروح هنا: ما الذي تقوله هذه الكلمات حقيقةً؟ ما معنى أن نكون واثقين بما نرجوه؟ أَيوجد شيءٌ خاصٌّ علينا أن نرجوَ الحصول عليه؟ أَوَيمكننا أن نرجوَ حيازة أيِّ أمرٍ نريده؟ كيف نستطيع أن نكون متيقِّنين من أمورٍ لا يمكننا رؤيتها؟ وما تلك الأمور التي لا يمكننا رؤيتها والتي يُفترض بنا أن نثق بها؟

للبدء في الإجابة عن هذه الأسئلة، يجب أوَّلاً أن نفهم معنى كلمة **ثقة** بصلتها بالإيمان. في وقتٍ مبكِّر من القرن العشرين، كشف العلماء النقاب عن آلاف الرسائل والوصولات ووثائق أخرى تعود إلى ألفَي عام، وُجدَت في إحدى المستوطنات اليونانيَّة. ظهرت كلمة "**ثقة**" عدَّة مرَّات فيها. إنَّ

ترجمتها الحرفيَّة تعني "سند الملكيَّة". إنَّ سند الملكيَّة هو شيءٌ نمتلكه. إنَّ في حوزتي أنا وزوجي جُدي سند ملكيَّةٍ بيتنا الجديد. يقول السند إنَّنا نملكه؛ وإنَّه لنا (طالما كنَّا نسدِّد أقساطنا الشهريَّة)! وبطريقةٍ مماثلة، الإيمان هو شيءٌ نملكه؛ إنَّه لنا. غير أنَّه يتوجَّب علينا أن نفعل أكثر من امتلاك الإيمان عقليًّا- إذ إنَّ علينا امتلاكه في قلوبنا. إنَّ الإيمان ليس شيئًا نميِّزه وندركه عن بُعد، إنَّما هو أمرٌ نُلقي بأنفسنا تُجاههُ قلبًا، وعقلاً، وروحًا.

ولنفهمَ بشكلٍ أوضح هذا الأمر، تصوَّري نفسك واقفةً مع مجموعة من الأشخاص عند قمَّة شلَّالات نياجارا، ويمتدُّ هناك حبلٌ مشدودٌ فوق الماء، وعلى الحبل المشدود رجلٌ مع عربة يد. ويجلس في عربة اليد كلبٌ من نوع سان برنار يَزِنُ مئتَي رطلٍ إنكليزيٍّ (نحو ٩١كغم). وإنتِ تراقبين الرجل بتعجُّبٍ كيف أنَّه يدفع الكلب والعربة بأمانٍ إلى الأمام والخلف فوق الشلَّالات.

وبعد رحلاته الخمس الناجحة، التفتَ الرجل إلى الحشد قائلاً: "يمكنني بسهولة أن آخذ رجلاً أوِ امرأة عبر الشلَّالات في هذه العربة. أتصدِّقون هذا؟" وتفكِّرين أنتِ أنْ **ليس ثمَّة مشكلة! في نهاية الأمر، سيكون وزن معظم الأشخاص أقلَّ من وزن الكلب الضخم، ولن يتقلَّبوا كثيراً.**

وبينما كنتِ تومئين برأسكِ بشدَّة وحماس دلالةَ الموافقة على أنَّ الرجل قادرٌ على القيام بهذا الأمر، التفتَ وأشار إليك قائلاً: "ادخلي".

أن تؤمن بقدرة الله على فعل أمرٍ ما هو شيء، وأن تضع نفسك في وضعٍ تكون فيه معتمدًا اعتمادًا واثقًا عليه هو شيء مختلفٌ تمامًا. إنَّ هذا هو وجه الاختلاف ما بين اليقين العقليِّ والإيمان القلبيّ.

ما الذي يتطلَّبه الأمر منك لتزحفي داخل عربة اليد؟ لو أنَّكِ وثقتِ بأنَّ العربة ستحتمل ثقلك؛ وأنَّ الحبل المشدود آمنٌ، لكان ذلك قد أفادك. ولو

أنَّكِ وثقتِ من أنَّ الرجل الذي يدفعكِ كان أهلاً للثقة؛ وأنَّه يمتلك المهارة التي تؤهِّله للعبور بك والرغبة في أن يحفظك من الأذى، لكان احتمال ركوبك العربة أكبر. ومع ذلك، فإنَّ الركوب في عربة اليد يتطلَّب الإيمان.

لا يطلب الله منَّا إيمانًا أعمى، بل إيمانًا دون قيودٍ أو حدود- إيمانًا يثق به ثقةً تامَّة. من خلال كلمته، يكشف الله لنا بإرادته الكثير عن ذاته وخططه، وما يطلبه منَّا. وما إن نراه ونعرفه حتَّى يحثُّنا بقوله: "ثقوا بي". ناشدنا الله مئات المرَّات في الكتاب المقدَّس أن نثق به. إنَّنا نميل إلى جَعْل الثقة منطقةً رماديَّة. غير أنَّ القضيَّة مع الله غالبًا ما تكون بالأسود أوِ الأبيض: فإمَّا أن نثقَ به أو لا نثق؛ وإمَّا أن نكون معه أو نكون ضدَّه؛ إمَّا أن نكون في العربة أو على الخطوط الجانبيَّة.

عندما أفكِّر في الإيمان الحقيقيِّ الصادر من القلب؛ والذي يسلِّم النفس كليًّا إلى الله، يخطر في بالي أمران:

- الإيمان متجذِّرٌ في طبيعة الله وفي صفاته.
- الإيمان مبنيٌّ على كلمة الله لا على مشاعرنا.

فلْنلقِ نظرةً عن كثب على كلِّ فكرةٍ من هاتَين الفكرتَين.

الإيمان متجذِّرٌ في طبيعة الله

يعتقد بعض الناس أنَّه ليس بالأمر المهمّ ما تؤمن به، فالمهمُّ أن تؤمن فقط. قبل ثلاثين عامًا دار بيني وبين طالبةٍ جامعيَّةٍ شابَّة حديثٌ على النحو التالي:

قالت جيني: "ليس مهمًّا ما أؤمن به، إنَّ الإيمان بشيءٍ معيَّن هو الذي يساعدني".

فأجبتها بقولي: "اشرحي لي بالضبط ما تعنينه. ما الذي تؤمنين به؟"

"حسنًا، أيَّ شيء. إنِّي أؤمن حاليًّا بصخرةٍ كبيرة في الفناء الخلفيِّ لبيتنا".

"عذرًا، صخرةٌ كبيرةٌ تُساعدك؟"

"أوه نعم، إذا آمنتُ بذلك بقوَّة كافية؛ وإنْ حزتُ ما يكفي من الإيمان بأنَّ الصخرة ستساعدني، فإنَّها ستساعدني. أقفُ أمام الصخرةِ الكبيرة، وأُغلق عينيَّ، وأؤمن فقط بأنَّها ستمنحني القوَّة".

شرحتُ لجيني أنَّ مفتاح الوصول إلى الإيمان هو موضِع الإيمان نفسه. إنَّ يسوع هو موضِع الإيمان الجدير بالثقة؛ ولكنَّ جيني أرادت أن تؤمن بصخرتها. من الملائم لراحة الشخص أن يؤمن بالصخور، فهي لا تتوقَّع شيئًا ولا توحي بشيء. ولا تُطلَب الطاعة من "المؤمن" بالصخور الكبيرة. خرجتُ من حديثي مع جيني وأنا أعلم بأنَّها قد ضُلِّلت، وأنَّه ليس بإمكان "صخرتها الكبيرة" أن تغفر لها خطيئتها؛ ولا أن تضمن لها الحياة الأبديَّة؛ ولا أن تريح قلبها المضطرب. إنَّ يسوع وحده قادرٌ على أن يفعل ذلك. فالكتاب المقدَّس يقول لنا:

> الربُّ **صخرتي** وحصني ومنقذي. **إلهي صخرتي** به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي. (مزمور ١٨:٢)

إنَّ الله جديرٌ بأن يكون موضِع إيماننا نظرًا إلى طبيعته وصفاته العجيبة. قالت إيمي كارمايكل، وهي مُرسَلةٌ إلى أطفال الهند، إنَّ قدرتها على الإيمان بالله بدأت مع ثقتها بطبيعته وصفاته. وإليكم ما آمنت به:

- إنَّ الله هو قبل كلِّ شيء وإلى الأبد أبٌ محبٌّ.
- إنَّ الله يسيطر على الأمور، وكلُّ ما سمح بحدوثه في حياتها كان من أجل مصلحتها في نهاية الأمر.

- وكطفل صغير، "ارتاحت إيمي في حضن" الله عبر الثقة به- بأنَّه كان قادرًا على أن يجتاز بها جميع الصعاب.

إنَّ الثقة بطبيعة الله قد مكَّنت إيمي من أن تستكين بين ذراعَيه وتثق به ثقةً تامَّة. إنَّ الثقة بطبيعة الله وصفاته تجعلنا قادرين على أن نلقي بأنفسنا باستسلام كامل إلى رعايته وحمايته. كيف نستطيع أن نصعد إلى عربة اليد إنْ لم نعرف شيئًا عمَّن يقودها؟

كم يسهل أن نركبها عندما نكون واثقين أنَّ من عَهدْنا بأنفسنا إليه مسيطرٌ على الأمور، وحكيم، ويهتمُّ بنا اهتمامًا كبيرًا.

الله مُسيطرٌ

تذكَّري أنَّ الله هو المبارك المسيطر على كلِّ الأشياء (١ تيموثاوس ٦:١٥). لقد عيَّن لنا قسمتنا وكأسنا (مزمور ١٦:٥). الله مسيطرٌ على كلِّ ما لا يمكن التحكُّم به في حياتنا: الأشياء غير المرئيَّة، الأمور التي ليس لها معنى بالنسبة إلينا، وما لا نستطيع أن نفهمه. يقول الله إنَّه يرى كلَّ عصفورٍ صغيرٍ من عصافير الدُّوري ويَعدُّ كلَّ شعرةٍ من شعور رؤوسنا: "أليس عُصفوران يباعان بفلسٍ. وواحدٌ منها لا يسقط على الأرض بدون أبيكم. وأمَّا أنتم فحتَّى شعور رؤوسكم جميعها محصاة" (متَّى ١٠:٢٩-٣٠). إنْ كان الله قد أحصى بدقَّةٍ كلَّ شعرةٍ في جدائل شعرنا، فهو يعرف بالتأكيد جميع المشاكل التي نواجهها في حياتنا.

إنَّ ما يقرِّره الله لنا هو من أجل مصلحتنا (أفسس ١:١١؛ رومية ٨:٢٨). في وسط المعاناة والشكِّ الكبيرَين، قال أيُّوب جازمًا بإصرار: "قد علمتُ أنَّك تستطيع كلَّ شيءٍ ولا يعسرُ عليك أمرٌ" (أيُّوب ٤٢:٢).

إن كانت هذه الآيات صحيحة (وهي كذلك بالطبع!) فما من مشقَّةٍ أو معاناةٍ أو محنةٍ نمرُّ فيها حينئذٍ تُعدُّ مجرَّد صدفةٍ. ليس ثمَّة حوادث تقع صدفةً، ولا أخطاء، ولا حسابات خاطئة. إنَّ الأشياء كلَّها تحت سيطرته المهيمنة، ولا يسمح بحدوث شيءٍ إلَّا بأمره. وما قد قرَّره قد قُصِد به مصلحتنا وإعلاء مجده. إنَّ هيمنته المطلقة تعني أنَّني أستطيع أن أعهد إليه بأصغر شكوكي أو أكثر المخاوف التي ينخلع لها قلبي.

إنَّ معرفة أنَّ الله يسيطر على الأمور، تجعل الثقة به أسهل. وهي تساعد أيضًا على معرفة أنَّه حكيم.

الله كلِّيُّ الحكمة

إنَّ كلمة **حكمة** في الكتاب المقدَّس هي ترجمة لكلمةٍ عبريَّة تعني "مهارة". عندما تُستخدَم كإحدى صفات الله، فإنَّها تعني أنَّه يمتلك المهارة اللازمة لإرشادنا في كلِّ الظروف والحالات. إن كنتِ مريضةً، أستطلبين طبيبًا أم ميكانيكيَّ سيارات؟ بالطبع طبيبًا؛ لأنَّه يحوز الخبرة والبراعة اللازمتَين لتقديم المساعدة. كما أنَّه يحوز الأدواتِ، والعلاجَ، والتجهيزاتِ التي يحتاجها ليجعلكِ بحالٍ جيِّدة. إنَّ الله هو الطبيب العظيم، إنَّه يهوه الشافي، وهو الخالق البارع الذي حاككِ في رحم أمِّكِ، والذي شكَّل أعضاءكِ الداخليَّة (مزمور ١٣:١٣٩). إنَّه مَن يعرف كلَّ شيءٍ عنكِ ولديه الخبرة الكافية ليكوِّنَ فكرةً عن أفضل خُطَّةٍ ممكنة، لا لأجل العالم كلِّه فحسب، بل لأجل **حياتكِ** أيضًا.

يقول لنا سليمان: "الـربُّ بالحكمة أسَّس الأرض. أثبت السموات بالفهم"(أمثال ١٩:٣). ما دام الأمر كذلك، يمكننا أن نثق بالله لأنَّنا نعرف

أنَّ كلَّ شيءٍ يحدث لنا هو من فِكرِ كائنٍ لا نهاية لحكمته، وما يحدث كلُّه سيكون في نهاية الأمر لخيرنا ولأجل مجده.

اللّه محبَّة

مع أنَّنا نقرُّ بأنَّ الله محبَّة، فإنَّ تلك المحبَّة ليست لنا حتَّى نجسِّدها في مسيرنا معه. لقد قدَّم الله حياتَه كبرهانٍ على محبَّته لنا. إنَّكِ ابنته، وهو سيفعل أيَّ أمرٍ من أجلك. إنَّ الإيمان بالله هو أسهل بكثير حين تكون لديكِ الضمانة الأكيدة بأنَّه يحبُّكِ!

> أصلِّي... وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبَّة حتَّى تستطيعوا أن تدركوا... ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبَّة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كلِّ مِلءِ الله. (أفسس ٣:١٨-١٩)

يقول إرميا ٣:٣١ إنَّ الله يحبُّكِ محبَّة أبديَّة. وقد وعد أن يسير أمامكِ، وأن يكون دائمًا معك، كما وعد بأنَّه لن يتركِكِ ولن يتخلَّى عنكِ أبدًا (عبرانيِّين ٥:١٣). ويقول في رومية ٨:٣٨-٣٩ إنَّه لا شيء، لا الموت ولا الحياة، لا الملائكة ولا الشياطين، لا الحاضر ولا الماضي- **ما من شيءٍ** في الخليقة كلِّها قادرٌ على أن يبعدكِ عن محبَّة الله التي هي في المسيح يسوع.

أَتؤمنين بأنَّ الله يحبُّكِ؟ إنَّك تقولين: "أريد أن أؤمن بذلك، لكنَّني لا أستطيع أن أرى الله. كيف أعرف أنَّ محبَّته لي هي محبَّة حقيقيَّة؟" هنا يأتي دور الإيمان. ثقي بطبيعته وصفاته، واصعدي إلى العربة وأنتِ متأكِّدة ممَّا تأمَّلين فيه، ومقتنعةٌ بما لا تراه عيناك، ثُمَّ دَعيه يقودكِ إلى الأمام، وذلك بأن تضعي إيمانك في حقيقة كلمته ووعوده لا في مشاعرك.

الإيمان بكلمة الله

فلْنحوِّل في الوقت الحاضر وسيلةَ نقلنا من عربة اليد إلى القطار. تصوَّري جسرًا فوق شلَّالات نياجارا؛ ذلك الجسر هو الإيمان ذاته. ثَمَّة فوق الجسر قطارٌ بمحرِّك، وعربة فحم، وعربة صغيرة في نهايته. يمثِّل المحرِّك **حقيقة** كلمة الله، وتمثِّل عربة الفحم **إيماننا**، فيما تمثِّل العربة الصغيرة في المؤخِّرة **مشاعرنا**.

سيكون من العبث أن نحاول تحريك القطار بواسطة العربة الخلفيَّة. بالطريقة ذاتها، لا يمكننا أن نعتمد على المشاعر؛ إذ إنَّنا نضع إيماننا في موثوقيَّة طبيعة وصفات الله ووعود كلمته.

عندما أقرأ الآيتَين"السماء والأرض تزولان ولكنَّ كلامي لا يزول"(متَّى ٣٥:٢٤) و"وأمَّا كلمة الربِّ فتثبت إلى الأبد"(١ بطرس ٢٥:١)، فإنَّني أدركُ أنَّ كلَّ شيءٍ في الحياة قد يتغيَّر، ولكنَّ ما يبقى على الدوام فهو كلمة الله. يمكنني أن أعيش حياتي بالإيمان وذلك بأن أصدِّق كلمته. إنَّ مشاعري قويَّة، ولكنَّ:

- كلمة الله أصْدَقُ من أيِّ أمرٍ أشعر به.
- كلمة الله أصْدَقُ من أيِّ أمرٍ أختبره.
- كلمة الله أصْدَقُ من أيِّ ظرفٍ سأواجهه في يومٍ من الأيَّام.[٢]

إذن، كيف أضع إيماني في حقيقة كلمة الله وأسلك بالإيمان؟ تقول كلمة الله إنَّ: "كلَّ الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبُّون الله الذين هم مدعوُّون حسب قصده... ليكونوا مشابِهين صورة ابنه" (رومية ٢٨:٨-٢٩). أعلن الله هذا، ولكن قد لا تبدو"كلُّ أشيائي" حسنةً- وهي لا تُشعرني حقيقةً بالراحة. مهما يكن ما يمكنني أن أراه أو كيف هو شعوري، فإنَّني اخترتُ **بالإيمان** أن أضع الفحم في المحرِّك وليس في العربة الخلفيَّة.

إلهي، أنت تعرف أنَّ مشاعري أصبحت مشوَّشة؛ إنَّها تصرخ وتنادي بأعلى صوتها أنَّ هذا الوضع رهيب وأنْ ليس ثمَّة أمل. إلهي، إنَّ رجائي هو فيك. ليس بإمكاني أن أرى ما تفعله، ولكنِّي واثقة بأنَّك تعمل لتؤول هذه الحال لما فيه خيري ومصلحتي. إنَّني أشكرك لأنَّك وعدْتَ أن تستخدمها لتجعلني أكثر شبهًا بالسيِّد المسيح. وهذا هو ما أريده، مع أنَّني لست بحال جيِّدة اليوم. هبني القوَّة كي أركِّز عينيَّ عليك لا على ما يمكنني أن أراه.

لقد صدَّق كلُّ الأبطال في قاعة مشاهير الإيمان في الرسالة إلى العبرانيِّين كلمة الله وانطلقوا "بالإيمان". فلْنلقِ نظرةً على واحدٍ منهم. لم يختلف نوحُ في الحقيقة كثيرًا عنكِ وعنِّي. أعتقد أنَّ أيَّامًا كثيرةً قد مرَّت عليه أراد هو فيها أن يرجع بقطاره إلى الوراء.

> بالإيمان نوحُ لمَّا أُوحِي إليه عن أمورٍ لم تُرَ بعدُ خاف فبنى فلكًا لخلاص بيته فبهِ دان العالم وصار وارثًا للبرِّ الذي حسب الإيمان (عبرانيِّين ١١:٧).

يعتقد العديد من علماء اللاهوت أنَّ السماء لم تمطر قطُّ على الأرض قبل الطوفان. ومع أنَّ نوحَ عاش في وسط صحراء جرداء، فإنَّه قرَّر أن يُمضيَ مدَّة ١١٠ سنوات لبناء فُلكٍ كبيرٍ؛ ذلك لأنَّ الله قال له إنَّ ثَمَّة طوفانٌ قادم. حدِّثي بشأن الثقة بالله في الأمور التي لا يمكن أن ترَينَها! ماذا كانت نتيجة العيش بالإيمان بالنسبة إلى نوح؟

- العمل والكدح مدَّةٍ تجاوزت المئة عام دون رؤية أيِّ مؤشِّرٍ على حدوث طوفان.
- سماع سخرية سكَّان البلدة: "يا نوح، أما زلت تعمل في بناء فُلكك يا أيُّها المجنون؟"

- معاناة الوَحدة؛ لأنَّه كان الإنسان البارَّ الوحيد خلال مدَّةً تجاوزَتِ القرن.

لم يستطع نوحُ أن يرى نتيجة عمله طِوال هذه المدَّة.

إنَّني واثقة بأنَّ مشاعره قد تسبَّبت له بمشاكل تمامًا كتلك في حالتنا. لقدِ اعتاد كثيرٌ منَّا على العيش وفقًا لمشاعرهم، والاستسلام لكلِّ إغراءٍ وانفعال. نرفض نحن المسيحيِّين فلسفةَ مجتمعنا التي تقول: "إنْ كان ثَمَّة أمرٌ يُشعركِ بالراحة فافعليه". غير أنَّ بعضًا من هذه الفلسفة قد تسرَّب ببطءٍ إلى أرواحنا. لقد هيَّأنا مجتمعُنا البراغماتيُّ (العمليُّ والمنفعيُّ والمعتمد على الوقائع)، كي نصدِّق فقط ما يمكننا أن نراه.

المشكلة: العيش بالمشـاعر
نعيش وفقًا لِما تمليه علينا مشاعرنا وما يمكننا أن نراه.
ما **نتيجة** العيش وفقًا للمشاعر؟ قلبٌ مضطرب.

الحلّ: الحياة بالإيمان
يجب أن نعيش ونحن واثقون بالله في كلِّ ما لا يمكننا أن نراه.
ما **نتيجة** الحياة بالإيمان؟ قلبٌ مستريح.

أَعينايَ موجَّهتان نحو يسوع أم نحو مشكلتي؟ أَتتركَّز أفكاري على حقيقة كلمة الله أم على ظروفي؟ هذه هي الأسئلة التي يجب أن نطرحها على أنفسنا إنْ أردنا أن نصبح نسوةً قانعات.

يتطلَّع الإيمان إلى الله؛ لكنَّ المشاعر تتطلَّع إلى ما يحدث من حوالَينا. إنَّ الإيمان يضع رجاءه في **ماهيَّة الله وفي ما قد وعد به.**

هكذا عاش نوح. لقد صدَّق كلام الله بالرُّغم من أنَّ بناء فُلكٍ في الصحراء كان بلا معنى؛ وبالرُّغم من مرور قرنٍ قبل أن يكون بإمكانه رؤية

حقيقة إيمانه وواقعيَّته. لقد أثنى الله على إيمان نوح وسمَّاه "وارث البرِّ". كما اختاره الله من بين أبطال الكتاب المقدَّس جميعِهم ليكون مثالاً للرجل الذي أطاع الله وعاش **بالإيمان**.

لم يقبل نوح حقيقة كلمة الله بالعقل فحسب؛ بل إنَّه وضع "إيمانه حيِّز التنفيذ" وبدأ بدقِّ مسامير الفلك. كان يؤكِّد لنفسه مع كلِّ مسمار يدقُّه: "إنَّني أؤمن بك يا الله". إنَّ الإيمان الحقيقيَّ هو دائمًا إيمانٌ فعَّال. وقد وصف أوزوالد تشامبرز الإيمان بأنَّه "ثقةٌ بالله دون قيودٍ أو حدود".[٣] من المؤكَّد أنَّه هكذا كانت ثقة نوح، إذ قد تمكَّن من الاستمرار في دقِّ المسامير مدَّةَ مئة عام.

إنَّ من الصعب أن نسلك بالإيمان؛ لأنَّه مطلوبٌ منَّا أن نؤمن بما لا نستطيع أن نراه. وهذا يعني أنَّ علينا في غالب الأحيان أن نسير في دربٍ مظلم.

مسـيرة الإيمان

سألتُ ضيوفنا كيف يعرِّفون الإيمان. وكانت إجابتهم: "خطوة فخطوة في طريقٍ مظلم". ومع أنَّ هذا **صحيح حقًّا، فإنَّه يصعبُ أيضًا السير في الظلمة!**

> الذي يسلك في الظلمات ولا نور له. فلْيتَّكلْ على الربِّ
> ويستند إلى إلههِ. (إشعياء ٥٠:١٠)

مشكلتي هي أنَّني أفضِّل النور على الظلمة. غير أنَّني إنْ كنتُ أستطيع أن أعاين ما يفعله الله– وكيف يجعل الأشياء كلَّها تعمل معًا للخير– فلا حاجة بي حينها إلى الإيمان. وأنا مع ذلك أريد أن أعاين. أعتقد أنَّ لدينا جميعًا هذه المشكلة. نقول إنَّنا نرغب بمزيد من الإيمان، ولكنَّ ما نريده في الحقيقة هو العِيان. وبينما يقول العِيان: "إنِّي أرى أنَّ هذا يناسبني، لذا لا بدَّ أنَّ الله أرسله إليَّ"، فإنَّ الإيمان يقول: "إنَّ الله هو مَن أرسله، فلا بدَّ إذن

أن يكون مناسبًا لي". لقد طلب الله منَّا أن نسلك بالإيمان لا بالعِيان. الإيمان هو السير مع الله في الظلمة ونحن ممسكين بيده.

إنَّ الله لا يعطينا حصانةً ضدَّ المتاعب. إنَّه يقول: "أكون معك في الضيق". في سفر الخروج، نجد بني إسرائيل مخيِّمين على حافَة البحر الأحمر. كان الوقت ليلاً، والظلام الدامس يخيِّم على أرجاء المكان لولا عمود النار الذي أقامه الله بين شعبه والمصريِّين. أَيمكنكم أن تتصوَّروا مقدار خوفهم؟ صرخاتُ العدوِّ المهدِّدة والمتوعِّدة تتسرَّب خلال الظلمة. ما الذي سيفعلونه حين يبزغ الفجر؟ ضمَّت كلُّ أمٍّ ولدها إلى صدرها خوفًا من أن تكون هذه ليلتهم الأخيرة.

مَن كان ليتصوَّر المعجزة التي كانت بانتظارهم؟ تختبئ بين سطور النصِّ العبارة التالية: "فأجرى الربُّ البحر بريحٍ شرقيَّة كلَّ الليل وجعل البحر يابسة" (خروج ١٤:٢١). بينما كان الإسرائيليُّون يرتعدون خوفًا، حدثت المعجزة "كلَّ الليل". ولأنَّ الوقت كان ليلاً، لم يتمكَّنوا من رؤية ما الذي كانت تنجزه "ريح الله" لمصلحتهم. شقَّ الله البحر الأحمر، فساروا على اليابسة نحو الحرِّيَّة.

ربَّما قد خيَّم الظلام على حياتكِ فلا تستطيعين الرؤية. غير أنَّ الله يعمل، تمامًا كما عمل "كلَّ الليل" خلال تلك الليلة لأجل الإسرائيليِّين. وأظهَرَ اليوم التالي ما أتمَّه الله خلال الليل.[٤] لا تنسَيْ يا صديقتي أنَّ الله يعمل أيضًا في ليل حياتكِ.

اشتهرت مدينة بروكسل بأنسجتها المخرَّمة الأنيقة والجميلة. توجد في مخزن المخرَّمات الشهيرة غرفٌ مخصَّصة لغزل خيوط أدقِّ النماذج والتصاميم وأرقِّها نعومةً. يسود الظلام في هذه الحجرات، باستثناء ضوءٍ

يدخل من نافذةٍ صغيرة جدًّا ويسقط مباشرةً على النموذج. ويجثم في ظلمة الغرفة مِغزلٌ واحدٌ في المكان نفسه حيث يسقط شعاع دقيق من النور على خيوط نسيجه. تكون المخرَّمات دائمًا أدقَّ وأجمل حياكةً عندما يكون الحِرْفيُّ نفسُه في العتمة بينما يكون النموذج في النور.[٥]

عندما يحيك الله تصميمه داخل نسيج حياتنا، نجلس أحيانًا في "غرفة مُعتِمة". تبدو الظلمة خانقة. لا يمكننا أن ندرك ما هو بصدد صنعه؛ ولا يمكننا أن نجد في الظلمة أيَّ احتمال لوجود شيءٍ جيِّد. ومع ذلك، إن ثبَّتنا تركيزنا على حائكنا الأمين، فسندرك يومًا ما أنَّ أجمل الأعمال وأدقَّها في حياتنا قد أُنجِز في تلك الأيَّام المظلمة. حين أنظر إلى الوراء إلى حياتي، أجد أنَّ أكثر الأوقات خصوصيَّة وأعمقها هي تلك التي أمضيتُها مع الله في الأوقات المظلمة. إنَّ الدروس التي أشعلها في قلبي حين حامَتِ السحابة السوداء من حولي، هي التي جلبَتِ الراحة إلى قلبي المضطرب.

مع أنَّ الإيمان صعبٌ، فإنَّ إيماننا يُرضي إلهنا القدُّوس (عبرانيِّين ١١:٦)، ونحن لا نسلك الطريق وحدَنا. إنَّ ربَّنا الحكيم والمسيطر والمحبَّ يسير معنا. أين طلب الله منكِ أن تسلكي "بالإيمان"؟ أَسَألكِ الله أن تأتمنيه على مرضٍ، أو طفلٍ، أو أزمةٍ ماليَّة، أو زوجٍ، أو حياة دون زوج؟ أَتثقين بحقيقة كلمة الله أم بما تتمكَّنين من معاينته فقط؟ أين تركِّز عيناك؟ إنَّ إجاباتك عن هذه الأسئلة ستحدِّد ما إذا كان قلبكِ مضطربًا أم مطمئنًّا.

أبتِ القدُّوس، إنَّني ضعيفةٌ جدًّا. أريد أن أثق بك، لكنَّ السلوك "بالإيمان" صعبٌ جدًّا عندما لا أستطيع أن أرى ما تقوم به. أنت صخرتي الراسخة. أرغب في النظر إليك وحدك. أريد أن أؤمن بك في ما يخصُّ

ما لا أفهمه؛ وما لا أستطيع أن أراه، وما هو ليس بذي معنى بالنسبة إليَّ. هبْنِي القوَّة بروحك القدُّوس كي ما أبدأ بدقِّ المسامير في "فُلكي". أريد أن أكون شخصًا يُسرُّك إذ إنَّني أسير بالإيمان.

إلديكو

كنتُ أشعر بالتوتُّر وأنا أستعدّ لرحلتي الأولى إلى أوروبا الشرقيَّة. هل سأكون قادرةً على إيجاد رابطٍ بيني وبين النسوة؟ ولحظةَ مقابلتي مترجمتي إلديكو، شعرتُ على الفور بالراحة. وعندما تكلَّمتُ، أصبح واضحًا أنَّ النساء هنَّ نساءٌ في كلِّ مكان. ضحكت أولئك النساء الهنغاريَّات العزيزات للنكات نفسها، وأبكتهنَّ القصص ذاتها التي قصصتُها على حضوري من النساء الأمريكيَّات. يا له من فرحٍ أن أُعلِّم وإلديكو إلى جانبي!

بمرور السنوات، صرنا أنا وإلديكو صديقتَين، وسنحت لي الفرص للتعرُّف بأسرتها. كانت إلديكو وزوجها جيزا في صراعٍ يوميٍّ مع ارتباطهما بنظامٍ استبداديٍّ ينكر الحرِّيَّات بِيَدٍ، ويبرمج الحياة باليد الأخرى. كان إيمانهما المسيحيُّ أكثر الأشياء أهمِّيَّة في حياتهما. لقد عاشا إيمانهما، وشاركا أخبار المسيح السارَّة مع آخرين. حتَّى صغيرتهما جوليا ذات الأعوام الأربعة، أخبرت أصدقاءها بشأن يسوع.

في أحد فصول الصيف حيث كانوا يقضون عطلتهم في جبال ماترا، سألتْ جوليا سيِّدة أكبر سنًّا: "أتعرفين يسوع؟ هل ستذهبين إلى السماء؟" شهقت المرأة وقالت: "مَن علَّمكِ هذه الأشياء؟" كأستاذةٍ للماركسيَّة واللينينيَّة في الجامعة، صُدِمت المرأة لرؤية طفلةٍ تتعلَّم "أمورًا خرافيَّةً سخيفة". استولى الخوف على قلب إلديكو حين سمعت بشأن حوار جوليا. ماذا لو أبلغَتِ الأستاذةُ السلطاتِ بالأمر؟

واستمرَّ الخوف يملأ عقلها عندما أعلن زوجها جيزا إيمانه في مكتبه في الجامعة. وقد تحقَّق أكبر "ماذا لو...". إذ فَقَد جيزا عمله كمهندسٍ وصار بوّابًا.

أصبحت "ماذا لو..." تملأ قلب إلديكو الآن. ماذا لو خسرتْ هي أيضًا عملها؟ ماذا لو لم يتوفَّر هناك ما يكفي من النقود لسدِّ احتياجات أُسرتها؟ فقرَّرت أن تلزم الصمت بشأن إيمانها.

بعد بضعة أسابيع، شعرتْ إلديكو بالخجل لأنَّها خافت الإنسان أكثر من الله؛ ولأنَّها لم تثق بالله بخصوص وضع أُسرتها الماليّ. وقد تضرَّعت إلى الربِّ كي يغفر لها: "إلهيَ العزيز، أتوسَّل إليك أن تتيح ليَ الفرصة لأتحدَّث بشأن الإيمان بك إلى رئيسي في العمل". وقد منحها الله الفرصة بعد بضعة أيَّام.

بالرُّغم من أنَّ مركزها قد تغيَّر نتيجة لذلك، فإنَّ إلديكو شعرت بالفرح. إذ قد وثقت بالله وانتصرت على "ماذا لو... ".



الفصل ١٠

الاتِّكال على اللّه بخصوص "ماذا لو..."

أَتعلمون أنَّه توجد آفاتٌ روحيَّة؟ واثنتان من أكثر الآفات فتكًا، هما آفتا "لو": "**ماذا لو...**" و"**لو أنَّ...**". إنَّ هذين المرضَين توأمان متلازمان، شبيهان ولكنَّهما غير متماثلَين. ويفتقد كلاهما إلى عينَيِ الإيمان. ينظر "**ماذا لو...**" إلى المستقبل ويقلق بشأن ما قد يسمح به الله. بينما ينظر "**لو أنَّ...**" إلى الماضي ويتذمَّر بشأن ما قد أعطاه الله. يؤدِّي الأوَّل إلى القلق، فيما يؤدِّي الثاني إلى الغضب.

تاقت دارلين إلى أن يكون لديها طفل. وبعد سنوات من الانتظار، وُلِدت آمبر ذات الشعر الأشقر والعينَين الزرقاوين. كانت آمبر الطفلة المثاليَّة. فقد كانت تنام، وترضع، وتبتسم. لم تعاني من مرضٍ قطُّ، وكانت دائمًا تبعث على السرور. وصار لقبها الطفلة الملاك.

عندما كبرت الصغيرة، لاحظت دارلين كأنَّ آمبر لا تنتبه إلى وجود الآخرين. كما لو أنَّ الطفلة الملاك كانت تعيش في جنَّتها الخاصَّة. خضعت آمبر لفحوصات طويلة مؤلمة كشفت عن إصابتها بمرض التوحُّد. مرَّت دارلين وزوجها بعمليَّة مؤلمة من الفهم، والقبول، ثُمَّ تقديم الشكر إلى الله. وبحثا بعد ذلك عن برامجَ خاصَّةٍ بالأولاد المتوحِّدين.

بعد ثلاث سنوات على ولادة آمبر، انضمَّ صبيٌّ ذو عينَين بُنِّيَّتَين إلى الأسرة. كان شيث طفلاً ساحرًا حقًّا، ولكن هل كان طبيعيًّا؟ عصفَتِ الأسئلة في قلب دارلين. إنَّني أتذكَّر اليوم الذي نظرتْ فيه هذه المرأة العزيزة إليَّ وقالت: "ليندا، أَمن الخطإ أن يرغب الشخص في طفلٍ طبيعيّ؟"

جرى تقييم حالة شيث وقال الطبيب المعالج: "نعم، هناك احتمال كبيرٌ جدًّا أن يكون شيث غير طبيعيّ، إنَّما علينا أن ننتظر ونرى".

كيف يمكن أن يعيش شخصٌ ما هذا النوع من عدم اليقين، ومع مثل هذا الألم؟ "يا إلهي، **ماذا لو** كان شيثُ غير طبيعيٍّ- أَيمكنني تحمُّل ذلك؟ كيف أنتظر أشهرًا وأنا لا أعلم؟ كيف أثق بكَ في وسط هذا النفق المظلم؟" لقد كانت هذه صيحات قلب دارلين.

قرأتُ قبل عدَّة سنوات كتابًا بعنوان "**رحلة في قلب إعصار**" (*Journey into the Whirlwind*)، تدور وقائعه حول امرأةٍ روسيَّةٍ أمضت في السجن ثلاثة عشر عامًا (ستَّة منها في الحبس الانفراديِّ) تحت حكم ستالين. جريمتها؟ لقد كانت مدرِّسة. أذهلتني عبارةٌ وردت في كتابها حتَّى إنَّني نسختُها ووضعتُها في ملفِّي. قالت إنَّ أكثر الأوقات التي مرَّت بها صعوبة **ليس** ذلك العذاب الرهيب الذي قاسته خلال سنوات سجنها؛ بل كانَتِ الأسابيع الثلاثة التي قضتها في الانتظار قبل اعتقالها. لقد كان القلق وعدم اليقين اللذين شعرتْ بهما وهي تنتظر "المجهول" مع أُسرتها، كعذابٍ مبرِّحٍ. لماذا؟ "ربَّما لأنَّ انتظار وقوع كارثةٍ من الصعب تجنُّبها هو أسوأ من الكارثة ذاتِها"[١].

إنَّ ترقُّب "**ماذا لو...**" في الحياة؛ وما يمكن أن يحدث، يجعل أقوى القلوب تصاب بالقلق. كيف عاشت دارلين مع حالة "**ماذا لو...**" الهائلة بشأن ابنها؟ كيف نعيش أنا وأنتِ مع حالة "**ماذا لو...**" التي يسمح بها

الله في حياتنا؟ لقدِ اختارت دارلين أن تنظر إلى الحالة من خلال عَينَيِ الإيمان. وعملت أيضًا من خلال برنامجٍ عمليٍّ ليساعدها على مواجهة أسوإ **"ماذا لو..."** الخاصّة بها.

اجعَلي الربَّ متَّكلكِ

كان الله يعطي دارلين دروسًا جديدةً أعمق بشأن الثقة به. وكان يعلِّمني أنا أيضًا. خلال فترة صراعي مع القلق بخصوص مرض روبن، جعل الله الآيات في إرميا ١٧: ٥-٨ تتوقّد في قلبي.

> هكذا قال الـربُّ: ملعونٌ الرجل الذي يتَّكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعنِ الربِّ يحيد قلبه. ويكون مثل العرعر في البادية ولا يَرى إذا جاء الخير بل يسكن الحرَّة في البرِّيَّة أرضًا سبحة وغير مسكونة. مباركٌ الرجل الذي يتَّكل على الربِّ وكان الربُّ مُتَّكله. فإنَّه يكون كشجرةٍ مغروسةٍ على مياه وعلى نهرٍ تمدُّ أصولها ولا ترى إذا جاء الحرُّ ويكون ورقها أخضر وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكفُّ عنِ الإثمار.
>
> (إرميا ١٧:٥-٨)

إنَّ هذه الآيات تقدِّم إلينا الفرق بين إنسانٍ يتَّكل على نفسه وآخر لا يثق بالربِّ فحسب، بل يتَّكل عليه اتِّكالاً كاملاً أيضًا.

فلْنلقِ أوَّلاً نظرة على المرأة التي جعلت من الجسد قوَّتها. من المؤكَّد أنَّ هذه الصورة لا تشبهني ولا تشبهكِ! إنَّنا نثق بالله! أَوَنثق بالله حقًّا؟ حين نلتفت إلى السيطرة، والاستراتيجيَّات، والذكاء، والتلاعب، فإنَّ اتَّكالنا يكون

على أنفسنا. فبدلاً من تقديم قلوبنا المضطربة إلى الله، فإنَّنا نعالج حالة الشكّ المتمثِّلة بـ "**ماذا لو...**" باستخدام واحدةٍ من تكتيكات السيطرة التي ورد ذكرها أعلاه، كما أنَنا "نقدِّم المعونة إلى الله". إنَّ الانتظار أمرٌ صعبٌ جدًّا ومؤلمٌ جدًّا؛ لكنَّ **طريقة** عمل الله بطيئة جدًّا.

ماذا تكون النتيجة؟ كارثة بالطبع. إنَّنا نصير كشُجَيرة رفيعة الأغصان، قزمةٍ روحيًّا، وذاتِ مظهر جافٍّ وكامد لا حياة فيه. وتصير قلوبنا صحراء قاحلة، فلا نتمتَّع بازدهار قلبٍ في شركةٍ مع الله. ويكون تركيزنا على ما يمكننا أن نفعله للحصول على ما نريد، وليس بالأحرى على الطريقة التي تمكِّننا من الاتِّكال على الله.

في مقابل ذلك، لنتأمَّلِ المرأة التي تجعل من الربِّ متَّكلها. إنَّ هذه المرأة نابضةٌ بالحياة وغنيَّةٌ بصفاء النفس وهدوء البال. إنَّ عينَيها مركَّزتان على ربِّها المهيمن حتَّى إنَّها ظلَّت غضَّةً تحمل الثمار حتَّى في السنة التي أمضتها في متاعب مستمرَّة. يا لها من صورةٍ بهيَّة! أوراقٌ خضراء خلال سنةٍ من القحط؟ دون قلقٍ أوِ اضطراب؟ إنَّ هذا هو ما نحن بحاجةٍ إليه!

خلال ثلاث سنواتٍ من القحط التي سمح الله بها في حياتي، أصبحت هذه الفِقرة من إرميا هي صلاتي.

> يا إلهي، أنت تعرف ميلي إلى محاولة السيطرة على الأمور وتقديم العون إليك. إنِّي أدرك أنَّ "تقديم المساعدة إليك" هو ما يؤدِّي إلى قلبٍ مضطرب. إنِّي أسألكَ المغفرة. لا أريد أن أتَّكل على قوَّتي الذاتيَّة، ولا على استراتيجيَّاتي. إنِّي لا أريد أن أسيطر أو أن أتلاعب. إنَّني أرجوك يا إلهي، أن تعلِّمني لا معنى أن أثق بك

> فحسب، بل أن أجعل اتِّكالي عليك كاملاً. إنِّي أتوق إلى أن أصبح تلك المرأة المباركة على ضفاف نهركَ والتي انغرست جذورها عميقًا. حين تصبح المحن أشدَّ، فإنَّني أتوق إلى الثقة بدلاً من الخوف، وإلى الرضا بدلاً من القلق. أرجوك أن تبقي عينيَّ مركَّزتَين عليك حتَّى أحتفظ بخضرة أوراقي وأعطي ثمرًا وسط حالة **"ماذا لو..."**.

هل أجاب الله التماس فؤادي؟ نعم. هل بقيت أوراقي خضراء؟ نعم. إنَّني أتذكَّر ذهابي كي ما أعطي درسًا لمجموعة درس الكتاب المقدَّس وأنا أشعر بضعفٍ في نفسي، إذ بالكاد استطعتُ الكلام، وأتذكَّر حينها عودتي إلى البيت وقد غمرني شعور أنَّ الله قدِ استخدمني. انحنيتُ قدَّامه برهبةٍ حين تذكَّرت سنوات القحط الثلاث. خلال تلك المدَّة، توسَّعت صورة الله في قلبي بسرعةٍ فائقة.

مستوى ثقتنا

عندما تظهر حالة **"ماذا لو..."** في حياتنا، يجب أن نسأل أنفسنا إن كنَّا سنحكُم على الله بناءً على الظروف التي لا نفهمها، أو نحكم على الظروف في ضوء طبيعة الله.

يقول إشعياء ٤١:١٠ "لا تخف لأنِّي معك. لا تتلفَّت لأنِّي إلهك. قد أيَّدتُك وأعنتُك وعضدتُك بيمين برِّي". لا يمكننا أن نتَّكل على الله إلاَّ عندما يكون تركيزنا عليه لا على ظروفنا.

يحثُّنا مزمور ١٤١:٨ على تثبيت أنظارنا على ربِّنا المهيمن، وعلى أن نلتجئ

إليه. يقول مزمور ١١٢:٧ "لا يخشى من خبر سوءٍ. قلبه ثابتٌ متَّكلاً على الربّ". فقط عندما تكون قلوبنا مثبَّتةً على ربِّنا المهيمن والمحبِّ، يمكننا أن نشعر بالسلام والطمأنينة في وسط "**ماذا لو...**". كم هو رائعٌ شعور الثقة من أنَّنا حين نقرِّر أن نثبِّت قلوبنا على الله، فإنَّه في الوقت نفسه يدعمنا ويساندنا!

قد تكونين قرأت هذه الآيات أو حتَّى حفظتيها عن ظهر قلب. ولكن فلأطرحْ عليك سؤالاً، أتتَّكلين حقًّا على الله؟ إنَّ لهذا السؤال معنيان محتملان: الأوَّل هو"أيمكنكِ أن **تثقي بالله**؟" أَهو جدير بالثقة في أوقات الشدَّة؟ أمَّا المعنى الثاني فهو أيضًا دقيق وحرج: "أَيمكنكِ **أنت** أن تثقي بالله؟" أَلديكِ هذه العلاقة بالله والثقة به، اللتَين تجعلانكِ تؤمنين بأنَّه معك في أوقات قلقكِ، رغم أنَّك لا ترَين أيَّ دليلٍ ملموسٍ على وجوده وعلى قوَّته؟

تذكَّري: أنَّ القناعة تأتي من علاقةٍ صحيحة بالله، لا نتيجةَ استجابةٍ للظروف. إنَّ حالة "**ماذا لو...**" الخاصَّة بنا إمَّا ستقودنا إلى الله والإيمان، وإمَّا إلى القلق والاتِّكال على النفس. إنَّ الله يمنح الطمأنينة والسلام؛ فيما يتسبَّب القلق بالمرض والبؤس.

اللعب بالكرة مع الله

لن أقدِّم شيئًا أقدِّر قيمته حقَّ قدرها إلى شخصٍ لا أثق به. قبل أن أقدِّم إلى الله الأمور التي أقلق بشأنها، يجب أن أؤمن بأنَّه يفهم مشكلتي وأنَّه سيعالجها. **يجب** أن أؤمن بأنَّه يسيطر على كلِّ الأمور وأنَّه المبارك المسيطر على كلِّ الأشياء. إذا كانت بعض الأمور تحت سيطرته؛ وبضعة أمورٍ أخرى معلَّقة، وكنتُ أنا واحدةً من هذه الأمور المعلَّقة، فلن يساعد حينها هذا على إزالة قلقي.[٢]

أَيمكنكِ شُكْر الله لأنَّه يسيطر على كلِّ الأمور؛ ولأنَّه يرتِّب كلَّ الأمور لتتلاءمَ فيما بينها؟ إنَّ إجابتك تحدِّد مستوى ثقتك.

إنَّ معظم المسيحيِّين قادرون في البداية على أن يعهدوا بهمومهم إلى الله. ثُمَّ تبدأ الشكوك: أَيعرفُ الله أنَّ شيثَ قد لا يكون طبيعيًّا؟ أيعرفُ الله أنَّ ابنتي مريضةٌ وتعيش في وَضْع البقاء على قيد الحياة؟ أَيعرفُ الله أنَّني قد أُصاب بالسرطان؟ أيعرفُ الله أنَّ ابنيَ المراهق يتعرَّض لإغراء المخدِّرات؟

نجد أنفسنا ونحن نلعب مع الله لعبة التقاط الكرة نقول: "**يا إلهي، إنَّك قد تُفلِت الكرة، فلأسترجعْها وأنا مَن سيقلق بشأنها. من المؤكِّد أنَّ ذلك سيساعد على حلِّ المشكلة**". يجب أن يكون مستوى اتِّكالنا على الله أعلى، إن أردنا أن نتعلَّم سرَّ القناعة. يجب أن نعطيَ الكرة لله وندعها هناك. لا مزيد من ألعاب التقاط الكرة.

هل ستحكمين على الله بناءً على الظروف التي لا تفهمينها، أم تحكمين على الظروف في ضوء طبيعة الله؟

معضلة دارلين

فلنعُدْ إلى دارلين وأسئلتها التي لا تُعدُّ ولا تُحصى. **ماذا لو** أنَّ شيث مصاب بمرض التوحُّد؟ **ماذا لو** أنَّ شيئًا آخر غير طبيعيٍّ كان لديه؟ **ماذا لو...**؟

عندما كانت دارلين في صراعٍ مع تَرْك شيث في عهدة الله، قرَّرت أن تختار. وقد قالت لي: "ليندا، إنَّ هدفي هنا على الأرض هو تمجيد الله. إن كان يرى أنَّ الطريقة الفُضلى لتمجيده بالنسبة إليَّ هي أن يكون لديَّ طفلان من ذوي الحاجات الخاصَّة، فإنَّني أقبل مشيئته لي".

خرجتُ من حديثي مع دارلين وقد جعلني استعدادها لوضع أعظم "**ماذا لو...**" لديها وديعة لدى الله أشعر بالتواضع. فكَّرتُ بقولٍ مُقتَبَسٍ يناسب وصفها تمامًا: "لا يجعلكِ خوف الماضي وهاجسه، ولا القلق بشأن المستقبل والتكهُّن بما سيحصل فيه تتراجعين إلى الوراء، بلِ استكيني بهدوء تحت يده، ولا تكُن لديك مشيئة إلاَّ مشيئته".[٣]

لقدِ اختارت دارلين الاتِّكال على الله حتَّى عندما لم تفهم معنى ما يحصل، ولا عندما أرادت عدم فِعْل ذلك، ولا عندما لم يمكنها أن ترى ما يفعله الله. إنَّ تطبيق دارلين لخُطَّةٍ عمليَّة قد ساعدها على مواجهة أسوإ حالات "**ماذا لو...**" في حياتها. وهذا ما قالته: "سألتُ نفسي أوَّلاً، ما أسوأ "**ماذا لو...**" بالنسبة إليَّ؟ وكان الجواب أن يكون شيث أيضًا مصابًا بالتوحُّد. ثُمَّ سألتُ نفسي، أَيمكنني الاتِّكال على الله بخصوص أسوإ "**ماذا لو...**" بالنسبة إليَّ؟ هل سيظلُّ الله إلهًا؟ هل سيظلُّ هو المهيمن؟ هل سيظلُّ محبَّةً وصلاحًا؟ وقد كان جوابي نعم. بعد مواجهتي لأسوإ "**ماذا لو...**" بالنسبة إليَّ، اتَّخذتُ قرارًا بإلقاء هذا القلق الهائل على الربّ. إنَّني أعرف أنَّه يهتمُّ بي ويرعاني. بعد ذلك سألتُ الله أن يمنحني القوَّة لأعيش اليوم، اليوم فقط، وأن أدعَ مخاوف الغد وهمومه معه".

إنَّ هذه الخطوات هي الخطوات ذاتها التي حرَّرت ويليس كاريير، المهندس اللامع الذي أطلق صناعة مكيِّفات الهواء. عندما كان كاريير شابًّا يافعًا، كُلِّف بعملٍ شَعَر أنَّ إنجازه كان أمرًا مستحيلاً. أصابه القلق والاضطراب إلى درجةٍ منعاه فيها من النوم. "لن يوصلني قلقي ولا همومي إلى أيِّ مكان، وهكذا وجدتُ طريقةً للتعامل مع مشكلتي دون اضطرابٍ أو قلق". تتألَّفُ هذه الطريقة من ثلاث خطوات:

١. اسأل نفسك عن أسوإ ما يمكن أن يحدث.
٢. كن مستعدًّا لقبوله إن كان عليك أن تفعل ذلك.
٣. ثُمَّ تابِعِ العمل بهدوء لتحسين ذلك الأمر الأسوإ.

قال ويليس كاريير إنَّه بعد أنِ اكتشفَ أسوأ ما كان يمكن أن يحدث (ستخسر الشركة مالاً وسوف يُطرد من عمله)، وموافقة نفسه على قبول هذا الأمر، حدث أمرٌ مهمٌّ إلى أبعد الحدود. لقد زال التوتُّر عنه، وأحسَّ بشعورٍ من السلام والطمأنينة لم يختبره منذ أيَّام. ومن ذلك اليوم، كرَّس كاريير وقته ونشاطه لمحاولة تحسين أسوإ **"ماذا لو..."**.[٤]

النتيجة؟ لقد حلَّ المشكلة، وبدلاً من أن تخسر الشركة مالاً، فقد ربحَتِ المال!

عندما قرأتُ خُطَّة الخطوات الثلاث هذه؛ والتي تتناول كيفية مواجهة أسوإ **"ماذا لو..."** لدينا، فكَّرت قائلة: **"إنَّها تبدو مفيدة، ولكن، هل تتوافق مع تعاليم الكتاب المقدَّس؟"** عندما بحثتُ في الأسفار المقدَّسة، أصبحتُ على قناعةٍ بأنَّ أشخاصًا عديدين في الكتاب المقدَّس قد فعلوا تمامًا ما اقترحه كاريير. قال الرسول بولس إنَّه كان يواجه الموت كلَّ يوم. لقد واجه أسوأ ما يمكن أن يفعله أعداؤه به، وكان قادرًا على القول: "لأنَّ لي الحياة هي المسيح والموت هو ربحٌ" (فيلبِّي١:٢١). وبسبب موقفه هذا، كان حرًّا في الكرازة بكلِّ جرأةٍ بالإنجيل. لقد واجه الأسوأ وقال إنَّه "ربحٌ"، وهكذا تابع كرازته.

وتُعدُّ الملكة أستير مثالاً من العهد القديم. لقد كانت تعرف أنَّها إذا وقفت أمام الملك مناشدةً إيَّاه أن يلغيَ الأمر الذي أصدره، والقاضي بقتل جميع اليهود، فإنَّها قد تموت. قالت: "فإذا هلكتُ، هلكت" (أستير ٤:١٦).

واجهَتِ احتمال الموت، وسلَّمت الأمر لله، ومن ثَمَّ كانت حرَّةً في وَضْع خُطَّةٍ على أمل أن تمنع الأسوأ من الحدوث.

أسوأ حالة "ماذا لو..." بالنسبة إلى شارلوت

اكتشفت صديقتي شارلوت ورمًا في ثديها. سألت نفسها قائلةً: "ما أسوأ شيءٍ قد يحدث لي؟" فكَّرت أوَّلاً بأنَّه الاستئصال. ثُمَّ قالت لنفسها: "كلاَّ، إنَّ الأسوأ هو الموت". وهكذا أعدَّت شارلوت نفسها لقبول الموت إن كان هذا هو ما سمح به الله. وقد سألت نفسها أيضًا: "أيمكنني قبول فقدان ثديي؟" وكانت الإجابة نعم. "أَيمكنني قبول الموت؟ أَيمكنني الاتِّكال على الله والثقة بأنَّه المبارك المسيطر المحبُّ في هذه الحالة؟" وكانَتِ الإجابة أيضًا نعم.

خضعت شارلوت لعمليَّة الاستئصال. عرفت أنَّ السرطان يمكن أن يعاود الظهور، وعرفت أنَّ احتمال الموت قائمٌ في أيِّ وقت، غير أنَّها كانت تشعر بالطمأنينة والسلام. إنَّ العيش بالنسبة إليها يعني أن ترى أحفادها وتتقدَّم في السنِّ مع زوجها الحبيب. ويعني الموت أن تكون مع المسيح. ولأنَّها كانت تشعر بالطمأنينة والسلام، فقد كانت قادرةً على أن تقوم من جانبها بكلِّ شيءٍ بروحٍ هادئةٍ ومجتهدة: الخضوع للعمليَّة الجراحيَّة، والمحافظة على نظامِ حميةٍ صارم، وإجراءِ تمارين روتينيَّة، بالإضافة إلى الراحة. لقد أثارت شارلوت دهشتي بانضباطها. لو كنَّا نتسوَّق في هونغ كونغ ونكتشف صفقاتٍ ممتعة، لكانت ستنظر إلى ساعتها وتقول: "لقد حان وقت قيلولتي يا ليندا، إنَّ عليَّ أن أذهب". كانت تأخذ يوميًّا غفوةً قصيرة. لقد صمَّمتْ على القيام بدورها وتَرْك **"ماذا لو..."** بحوزة الله.

"ماذا لو..." السخيفة الخاصَّة بي

كانت **"ماذا لو..."** الخاصَّة بدارلين وشارلوت جدِّيَّة: طفلٌ ثانٍ مصاب بالتوحُّد، وابتلاء بالسرطان. إن كنتِ مثلي، فإنَّك ستضبطين نفسكِ بين حينٍ وآخر وأنتِ تمعنين في التفكير بإحدى **"ماذا لو..."** السخيفات. إنَّني أشعر بالحرج وأنا أخبركنَّ عن بثرةِ **"ماذا لو..."**، ولكنَّني سعيتُ حتَّى الآن في هذا الكتاب أن ألتزم الأمانة والشفافيَّة.

كان عليَّ الذهاب إلى فيرجينيا في غضون خمسة أيَّام للتحدُّث في مؤتمرٍ للنساء. وتلقَّيتُ اتِّصالاً هاتفيًّا بلغني فيه أنَّ تلفزيون (Anchor Woman) سيُجري مقابلةً معي يدور موضوعها حول القناعة لبرنامجٍ متسلسل من جزأَين. وكان موعد اللقاء قبل ذهابي إلى المؤتمر. إنَّها فرصةٌ رائعة. ولكن كان ثمَّة مشكلة: كانت لديَّ بثرةٌ ضخمةٌ ملتصقةٌ بأنفي. **"ماذا لو..."** كانت ما تزال هناك يوم تسجيل البرنامج؟ كيف سيبدو شكلها على شاشة التلفاز؟ لقد أُصِبتُ بالقُشَعْريرة وأنا أفكِّر في هذا!

كنتُ أُمعِن في النظر في المرآة عدَّة مرَّاتٍ في اليوم لأرى تطوُّر بثرة الحمَّى. إن كنتِ قد تعرَّضت يومًا لظهور بثرة الحمَّى، فإنَّك تعرفين أنَّه لا يمكن زوالها بسرعة. أخيرًا، ألقيتُ على نفسي محاضرة قائلةً: "ليندا، إنَّ هذا سخيف! إنَّك تُمضين وقتًا ثمينًا في الاهتمام بمظهرك وكيف تبدين".

وهكذا سألت نفسي: **ما أسوأ "ماذا لو..."**؟ وكان الجواب، أن تبقى البثرة المغطَّاة بالقشور متدلية من أنفي خلال المقابلة التلفزيونيَّة. أَبِإمكاني قبول هذا الأمر إن كان عليَّ ذلك؟ بالطبع. ضحكتُ من نفسي وقلتُ للربِّ: لا مزيدَ من "أوقات التحديق في المرآة" بالنسبة إليَّ.

إنَّ ما كنتُ أقوله حول التعامل بطريقة عمليَّة مع أسئلة **"ماذا لو..."**، تلخِّصه بأسلوبٍ جميل صلاة السكينة.

امنحني يا الله الصفاء والسكينة لقبول ما لا يمكنني تغييره، والشجاعة لتغيير الأشياء التي يمكنني تغييرها، والحكمة لكي أميِّز بينهما، والعيش يومًا بيوم، والاستمتاع في اللحظة الراهنة، وقبول الشدائد والضيقات كسبيل للطمأنينة والسلام، وكما فعل يسوع، قبول هذا العالم الخاطئ كما هو وليس كما كنتُ أودُّ أن يكون؛ والثقة بأنَّكَ ستدبِّر كلَّ شيءٍ وتجعله قويمًا إنِ استسلمتُ لمشيئتك، بحيث أحصل ربَّما على بعض السعادة في هذه الحياة، وعلى سعادةٍ فائقةٍ معك إلى الأبد في الحياة الآتية.[٥]

ما الحالات الجدِّيَّة التي تستدعي قولكِ **"ماذا لو..."**؟ وما الأسباب التافهة التي تجعلك تقولين **"ماذا لو..."**؟ هل أنتِ مستعدَّةٌ للتوقُّف عن لعب الكرة وتقديمها إلى الله وتركها هناك؟

أيُّها الآب القدُّوس، إنَّني أتسبَّب بالإعاقة لنفسي روحيًّا بتفكيري بأمور "ماذا لو...". إنِّي أعترف بأنِّي غالباً ما كنتُ أستمدُّ قوَّتي من السيطرة ووضع الخُطط. لقد قلتَ طوبى للذين أنت قوَّتهم وسندهم. إنِّي أتوق إلى أن أكون "المرأة المباركة" التي يكون اتِّكالها التامُّ عليك أيُّها الربُّ الإله.

كورنيليا

خلال سنوات الحكم الاستبداديِّ في رومانيا، عاينًّا معاناةَ صديقَيْنا تولوش وكورنيليا. ما الذي اقتضته معاناتهما؟ لقد تعرَّض تولوش للاضطهاد لأنَّه رجلٌ يؤمن بالله. وحين انتُخِب لمنصبٍ رفيع في الطائفة المعمدانيَّة، رفض الشيوعيُّون انتخابه. فأعاد المعمدانيُّون الشجعان ببساطةٍ انتخابه مرَّة ثانية.

وممَّا قد أدهشَ تولوش وكورنيليا كثيراً، أنَّه وبعد إعادة انتخابه، تلقَّى تولوش من الشرطة السرِّيَّة الرومانيَّة دعوةً إلى غداءٍ فاخر لتبادل"حديث ودِّيّ". لم يسبق لهما قطُّ أن سمعا باجتماعٍ كهذا. ماذا كان الغرض من ورائه؟

بعد مرور عدَّة أيَّامٍ على دعوة الغداء، أُصيبَ تولوش بمرضٍ رافقه سعالٌ خفيف واحتقانٌ في الرئة. ولكن مع تدهور حالته، بدأ القلق يساور أفراد أُسرته. وعندما لزم تولوش الفراش، أدركوا أنَّه كان على شفير الموت. وقد عجز أطبَّاؤه عن تشخيص مرضه ولم يقدِّموا إجابات شافية. لهذا، أرسلَتِ الطائفة طبيبًا أميركيًّا إلى رومانيا لمعاينة تولوش. وكان التشخيص: خمائر ملوَّثة في رئتَيه، زرعتها الشرطة السرِّيَّة هناك خلال "الغداء الودِّيّ". لقد لوَّثوا تولوش بسمٍّ بطيء!

دقَّت صلوات كورنيليا أبواب السماء. "لو أنَّه قد رفض الذهاب إلى الغداء. لو أنَّ الطبيب الأميركيَّ قد وصل مبكِّرًا أكثر. إنَّني عاجزة

عنِ الفهم يا إلهي. إنَّ زوجي يحبُّك- وهو يخدمك. إنَّه لأمرٌ بالغ الصعوبة أن أنظر إليه وهو يتألَّم؛ تستمرُّ عيناي في الهرب منك إلى الظروف. علِّمني كيف أتَّكل عليك".

يحبُّ الله إجابة صلواتٍ كتلك، وبمرور الوقت، قويَتْ ثقة كورنيليا بالله عندما ازداد اتِّكالها على خالقها أكثر فأكثر. ولله الحمد، تمكَّن الطبيب من تأمين علاجٍ يُبطل مفعول السمِّ، واستعاد تولوش عافيته تدريجيًّا. ولكنَّ مرضه كان أحد أشكال الاضطهاد الكثيرة التي كان عليه أن يعاني منها. إنَّ كلَّ مَن عرف كورنيليا خلال سنوات الحزن، كان يتعجَّب من الصفاء الذي يعكسه وجهها- صفاء ناتجٌ عن إيمانها بالله واتِّكالها عليه.

الفصل ١١

الاتِّكال على اللّه بخصوص "لو أنَّ..."

فلأقصَّ عليكم قصَّةً برتغاليَّةً قديمة.

عاش رجلٌ مسنٌّ في قريةٍ صغيرة جدًّا. بالرُّغم من فقره، كان الجميع يحسدونه على الحصان الأبيض الجميل الذي يملكه. حتَّى إنَّ الملك طمع في كنزه ذاك. عرض الناس أثمانًا باهظةً لقاءَ هذا الجواد الأصيل؛ ولكنَّ الرجل العجوز كان يقابل عروضهم دائمًا بالرفض. كان يقول لهم: "إنَّ هذا الحصان ليس حصانًا بالنسبة إليَّ؛ إنَّه شخص. كيف يمكنني أن أبيع شخصًا؟ إنَّه صديق، وليس متاعًا أمتلكه. كيف يمكنكم أن تبيعوا صديقًا؟" كان الرجل فقيرًا وكان الإغراء كبيرًا، ولكنَّه لم يبعِ الحصان قطُّ.

في صباح أحد الأيَّام اختفى الحصان من الاسطبل. أتى جميع أهالي القرية لرؤية الرجل العجوز. وسخروا منه قائلين: "أيُّها العجوز الأحمق، لقد قلنا لك إنَّ شخصًا ما سيسرق حصانك. أنت فقيرٌ جدًّا، كيف أمكنك أن تأمل يومًا أن تتمكَّن من حماية مثل هذا الحيوان الرائع؟ كان أفضل لك لو أنَّك بعته. لقد كان بإمكانك الحصول على الثمن الذي تريده. ذهب الحصان الآن، ولقد كُتِبت عليك لعنة الحظ السيِّئ".

أجابهم الرجل العجوز قائلاً: "لا تتسرَّعوا في الكلام. قولوا فقط إنَّ الحصان ليس في الاسطبل. إنَّ هذا هو كلُّ ما نعرفه، وما تبقَّى فهو افتراض. كيف يمكنكم أن تعرفوا إن كنتُ ملعونًا أم لا؟ كيف يمكنكم أن تَبِتُّوا في ذلك الأمر؟"

اعترض الناس قائلين: "لا تجعلنا نبدو كحمقى! مع أنَّنا قد لا نكون فلاسفة، فإنَّ الأمر ليس بحاجةٍ إلى فلسفةٍ عظيمة لمعرفة ما حدث هنا. إنَّ واقع ذهاب حصانك هو لعنة".

تكلَّم الرجل العجوز مرَّة أخرى: "كلُّ ما أعرفه هو أنَّ الاسطبل فارغ وأنَّ الحصان قد ذهب. أمَّا الباقي، فلا أعرفه. لا أستطيع القول إنْ كانت لعنةً هي أم بركة، كلُّ ما يمكننا أن نراه هو أجزاءٌ متناثرة من حقيقة ما حدث. مَن يستطيع أن يقول ما الذي سيحصل لاحقًا؟"

ضحك أهل القرية. لطالما اعتقدوا أنَّ الرجل أحمق؛ فلو لم يكن كذلك، لكان قد باع الحصان وعاش من ثمنه. بدلاً من ذلك، بقي حطَّابًا فقيرًا، يعيش كلَّ يومٍ بيومه في بؤسِ الفقر. وقد أثبت الآن أنَّه أحمق فعلاً.

بعد خمسة عشر يومًا عاد الحصان. لم يسرقه أحدٌ، بل كان قد هرب إلى الغابة. وهو لم يَعُد فحسب؛ بل أحضر معه "دزِّينة" من الأحصنة البرِّيَّة. مرَّةً أخرى تجمَّع أهل القرية حول الحطَّاب وقالوا له: "أيُّها الرجل العجوز، لقد كنتَ مُحقًّا وكُنَّا مخطئين. إنَّ ما حسبناه لعنةً كان بركة. إنَّنا نرجو أن تغفر لنا".

فأجاب الرجل قائلاً: "لقد ذهبتم بعيدًا في افتراضاتكم مرَّةً أخرى. قولوا فقط إنَّ الحصان عاد. وقولوا فقط إنَّه أحضر دزِّينةً من الأحصنة معه، ولكن لا تطلقوا الأحكام. ما أدراكم إن كانت هذه بركةً أم لا؟ إنَّكم لا ترون إلَّا جزءًا من القصَّة. كيف يمكنكم أن تحكموا ما لم تعرفوا القصَّة كلَّها؟

كيف تستطيعون الحكم على الكتاب كلِّه إذا قرأتم صفحةً واحدة؟ إنَّ كلَّ ما لديكم هو أجزاء متفرِّقة! لا تقولوا إنَّ هذا بركة. ما من أحدٍ يعلم ذلك، **إنِّي قانعٌ بما أعرفه. ولا يُقلقني ما لا أعرفه**".

فقالوا: "ربَّما كان الرجل العجوز على حقّ". غير أنَّهم في قرارة أنفسهم كانوا يعتقدون أنَّهم مخطئون. لقد عرفوا أنَّ ما حدث هو بركة. اثنا عشر حصانًا عاد بها حصانٌ واحد. مع القليل من الجهد، يمكن ترويض الأحصنة وتدريبها ومن ثَمَّ بيعها مقابل الكثير من النقود.

كان للرجل العجوز ابن- ابنٌ وحيد. بدأ الشابُّ في ترويض الأحصنة البرِّيَّة. وبعد بضعة أيَّام، وقع عن أحَد الأحصنة وكُسِرت ساقاه. احتشد القرويُّون مرَّةً أخرى حول الرجل العجوز وطرحوا افتراضاتهم.

قالوا له: "لقد كنتَ مصيبًا". إنَّ الاثنَي عشر حصانًا ما كانوا بركةً، بل كانوا لعنة. إنَّ ولدك الوحيد قد كُسِرت ساقاه، وما من أحدٍ لديك يساعدك الآن وأنت في هذه السنِّ الطاعنة. إنَّك الآن أفقر من أيِّ وقتٍ مضى".

تكلَّم الرجل العجوز ثانية: "لا تذهبوا بعيدًا في إطلاق أحكامكم. قولوا فقط إنَّ ابني قد كُسِرت ساقاه. مَن يعلم إن كانت هذه بركةً أم لعنة؟ لا أحد يعلم. ليس لدينا إلَّا بعضٌ من الكلّ".

بعد بضعة أسابيع دخلَتِ البلاد في حربٍ ضدَّ دولةٍ جارة. طُلب من جميع شبَّان القرية الالتحاق بالجيش. ولم يُستثنى من ذلك إلَّا ابن الحطَّاب؛ لأنَّه كان مصابًا. كان العدوُّ قويًّا وخشي الناس ألَّا يرَوا أبناءهم ثانيةً. مرَّةً أخرى اجتمعوا حول الرجل العجوز وهم يبكون ويصرخون لأنَّ أبناءهم قد أُخذوا منهم. قالوا له وهم يبكون: "لقد كنتَ على حقٍّ أيُّها الرجل العجوز". إنَّ الله يعلم أنَّكَ كنتَ محقًّا. وما حدث هو برهانٌ على هذا. إنَّ

حادث ابنك كان بركة. قد تكون ساقاه قد كُسرتا، ولكنَّه على الأقلِّ معك، أمَّا أبناؤنا فقد رحلوا إلى الأبد".

تحدَّث الرجل العجوز مرَّة أخرى: "لماذا تطلعون دائمًا باستنتاجات وتصدرون أحكامًا قاطعة؟ لا أحد يعلم. فقط قولوا هذا: أبناؤكم ذهبوا إلى الحرب، وابني لم يذهب. ما من أحدٍ يتمتَّع بالحكمة بما يكفي كي يعرف إن كان ما حدث بركة أم لعنة. إنَّ الله وحده يعلم".[1]

لقد كان الحطَّاب قانعًا بما يعرفه، ولم يُقلقه قطُّ ما لم يتمكَّن من فهمه.

قال إيبكتيتوس: "إنَّني أرضى دائمًا بما يحدث، لاعتقادي بأنَّ ما يقرِّره الله هو أفضل ممَّا أختاره أنا".

إنْ أردنا العثور على الرضا والقناعة في وسط المحن وعدم اليقين، يجب أن نقبل بالوضع الذي نحن فيه كشيءٍ سمح به إلهٌ محبٌّ في حياتنا لهدفٍ معيَّن. يبدأ هذا بالنسبة إلى معظمنا، برفض الإصابة بمرض **"لو أنَّ..."**.

تجنُّب مرض "لو أنَّ..."

لقد رفض جيم الإصابة بمرض **"لو أنَّ..."**، بالرُّغم من أنَّه كان معرَّضًا للإصابة به بشكلٍ مستمرّ. إذ ترك جيم وأُسرته كلَّ شيء للذهاب إلى أفريقيا كمرسَلين. أثناء وجودهم هناك، أُصيبَ جيم بفيروسٍ شبيهٍ بمتلازمة التعب المزمن. وقد لازمه المرض اثنَي عشر عامًا. وظلَّ طريح الفراش مدَّة ستِّ سنوات. استشار خمسةً وثلاثين طبيبًا في قارَّاتٍ ثلاث دون جدوى، وكان قادرًا على العمل لساعاتٍ محدودة فقط.

قامت هذه الأسرة العزيزة بزيارتنا في الصيف الماضي. بينما كانت لويس والفتيات يتجوَّلنَ في كولورادو سبرنغ، بقي جيم يقرأ في الطابَق الأرضيِّ في

بيتنا. وكان ينضمُّ إلى أفراد أسرته بين الفَينة والأخرى، إذ إنَّه كان قادرًا على صعود درجات السلَّم مرَّةً في اليوم فقط، وكان عليه أن يقتصد في استخدام طاقته. وهذا كلُّه بعد **اثنتَي عشرةَ** سنةً من الألم والمعاناة. قد يعتقد البعض أنَّ المرارة، والشفقة على الذات، ونفاد الصبر، والغضب هي الصفات التي تميِّز هذا الرجل. ولكن ليس هذا ما رأيته. لم يدفعه مرضه الجسديُّ إلى أن يقول لنفسه: "**لو أنَّنا لم نذهب إلى أفريقيا**". لقد كان يعيش في سلامٍ مع ما سمح به الله. قالت لي لويس إنَّها سألت جيم في إحدى المرَّات أثناء السنوات الستِّ التي أمضاها طريح الفراش قائلةً: "ألا تشعر بالأسف على نفسك؟" فأجابها قائلاً: "إنَّ التأسُّف على النفس يستهلك طاقةً كبيرة. وأنا ليست لديَّ أيَّة طاقةٍ لأستغنيَ عنها".

كم من الوقت نمضيه في التأسِّي على النفس ونحن نقول لأنفسنا: "**لو أنَّ ظروفي كانت مختلفة فقط؟**". لم يسمح جيم لنفسه برفاهية قول: "**لو أنَّ...**". لقد كان قانعًا بما سمح به الله في حياته.

يحوي الكتيِّب الرائع بعنوان "**ورقة خضراء في أوقات الجفاف**" (*Green Leaf in Drought*)، سجلًّا لسيرة "**لو أنَّ...**". إذ عندما أمر الشيوعيُّون جميع المرسَلين بمغادرة الصين في سنة ١٩٤٧، كان آرثر وويلما ماثيوز قد سافرا لتوِّهما إلى جزءٍ ناءٍ من الصين ومُنعوا من المغادرة. ولأنَّ جميع زملائهما قد هربوا، صارت فكرة "**لو أنَّ...**" تُلحُّ على قلبهما وعقلهما بشكلٍ مزعج. "**لو أنَّ**" الرسالة التي دعتنا إلى هنا لم تصل. "**لو أنَّ**" آرثر لم يوقِّع تلك العريضة من أجل السِّلْم العالميِّ ممَّا أغضب السلطات. "**ولو أنَّ...**".

أصبحت ويلما قلقةً ومضطربةً بشأن وضعهما، وقد أشلَّها التفكير في "**لو أنَّ...**" حتَّى إنَّها لم تتمكَّن معها من إنشاد ترنيمة "إنَّه حيٌّ" يوم

عيد القيامة. لقد شعرت بأنَّ الله قد تخلَّى عنهما. بينما كانت وحيدةً في مطبخها الخالي من البهجة، التفتت إلى نشرةٍ بقلم **أ. بي. سيمبسون (A. B. Simpson)** بعنوان "**لو في حياتك**" (*The If in Your Life*). قرأتْ قصَّة موت لعازر وكيف قالت مرثا ليسوع: "يا سيِّد، **لو** كنتَ ههنا لم يمت أخي". وكان يمكن أن يكون يسوع هناك؛ إذ كان ليس ببعيدٍ عنهم. لقد كان يعرف ما الذي يحصل وترك لعازر يموت.

أدركتْ ويلما الحقيقة العظيمة: هناك **لو** في حياة كلِّ شخص- شيءٌ ما كان يمكن لله أن يفعله بطريقةٍ مختلفة **لو** قرَّر أن يفعل ذلك. فهو قادرٌ على كلِّ شيء، ومع ذلك، فهو غالبًا ما يسمح لتلك الـ "**لو**" بأن توجد هناك. أراد الله أن تتوافق "**لو**" ويلما مع الـ "**لو**" الخاصَّة به، تمامًا كما كانَتِ الحال مع مرثا. إذ قال يسوع لمرثا: "ألم أقل لكِ إن آمنتِ ترَينَ مجد الله؟" (يوحنَّا ١١:٤٠). لقد أرادت مرثا أن يُخلِّص لعازر **من** الموت؛ أمَّا يسوع فقد أراد أن ينتصر لعازر **على** الموت.[٢]

بعد مرور عامَين، سُمح لآرثر وويلما ماثيوز بمغادرة الصين. على الرُّغم من الاختبار القاسي والظروف الرهيبة، فإنَّهما قدِ اختارا طوعًا ألَّا يفكِّرا بـ "**لو أنَّ...**"، والتركيز، بدلاً من ذلك، على هيمنة الله المُحِبَّة. وكنتيجة لهذا، حصلا على السلام الداخليِّ، وقد تمجَّد الله.

إنَّنا نتسبَّب لأنفسنا بوهنِ العزيمة الروحيَّة بتفكيرنا المستمرِّ بـ "لو أنَّ...". وإنَّنا "نلتقط" عدوى مرض "**لو أنَّ...**" عندما نمعن في التفكير بما ليس لدينا، بدلاً من التفكير بما لدينا، فنصبح غير راضين عمَّا منحنا إيَّاه الله. حين نصاب بهذا المرض، فإنَّنا نفقد القدرة على الرؤية الصحيحة. فلْنفكِّرْ مليًّا بما حصل لشعب العهد القديم.

> وأتى بنو إسرائيل الجماعة كلُّها إلى برِّيَّة صين في الشهر الأوَّل وأقام الشعب في قادش وماتت هناك مريم ودُفِنت هناك. ولم يكن ماءٌ للجماعة فاجتمعوا على موسى وهرون وخاصم الشعب موسى وكلَّموه قائلين: **ليتنا** [لو أنَّنا] فنينا فناءَ إخوتنا أمام الربّ. لماذا أتيتما بجماعة الربِّ إلى هذه البرِّيَّة لكي نموت فيها نحن ومواشينا؟ ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا إلى هذا المكان الرديء؟ ليس هو مكانَ زرعٍ وتينٍ وكرمٍ ورمان ولا فيه ماءٌ للشرب (عدد ٢٠:١-٥).

لقد واجه الشعب القديم مشكلة عدم توفُّر الماء. (يأتي مرض "**لو أنَّ...**" عادةً كنتيجةٍ لوجود مشكلةٍ حقيقيَّة). فبدلاً من التركيز على الله، فقد ركَّزوا على المشكلة. ممَّا أدَّى إلى تفكير لا عقلانيّ. فقد فقدوا كلَّ قدرةٍ على الرؤية الصحيحة وبدأوا في التطلُّع بحنين إلى الوراء- إلى مصر. إنَّ هذا لا يُصدَّق! لقد كرهوا مصر عندما كانوا يعيشون فيها. إذ كانوا مجبَرين كعبيدٍ على القيام بأشياءٍ مستحيلة، وقد عانوا الأمرَّين من اضطهاداتٍ كثيرة.

عندما فكَّر الشعب بما لم يمتلكوه، فإنَّ مشكلتهم الرئيسة نمت سريعًا ثُمَّ ما لبثت أن زالت بعد أن جمعوا قائمةً بالشكاوى والمظالم. "**لو أنَّنا** عدنا إلى مصر. **لو أنَّ** لدينا كرمةً وتينًا وأشياءً لذيذة نأكلها. لقد مَللنا أكْلَ هذا المنّ". في نهاية قائمتهم أضافوا أخيرًا المشكلة الحقيقية: "ولا يوجد ماءٌ للشرب".

أستطيع أن أتفهَّم عمليَّة الشكاوى المتعدِّدة هذه. إنَّ عقلي خبيرٌ في تناول أمرٍ سلبيٍّ واحد وتحويله إلى عدَّة سلبيَّات، إلى أن يصير لديَّ ما يكفي

منها لتنظيم حفلةِ أسفٍ وحزن. وذلك ما فعله الشعب القديم بالضبط. فقد سقطت شكواهم كنثار الورق الملوَّن (المستخدَم في الاحتفالات).

كان هذا هو الشعب نفسُه الذي رأى الضرباتِ العشرَ التي نزلت على فرعون، وهو ذات الشعب الذي شهد معجزةَ شقِّ البحر الأحمر. وعندما لم يعد لديهم ما يأكلونه، أطعمهم الله المنّ. يومًا بعد يوم، ولمدَّة **أربعين** سنة، كانت ربَّات البيوت اليهوديَّات يجمعنَ مؤونة الله. قد تعتقدين أنهنَّ كنَّ ليحتفينَ بعدم اضطرارهنَّ إلى التسوُّق أوِ الطبخ، أوِ التنظيف، غير أنهنَّ كنَّ يدمدمنَ بعدم تصديق بشأن "عدم وجود الماء". لقد غابت عن بالِهنَّ تمامًا أمانة الله.

ومع أنَّ حاجتهم إلى الماء كانت سببًا مشروعًا للقلق، فإنَّ عيون الشعب كانت متَّجهةً نحو المشكلة لا نحو **القادر على حلِّ المشكلة**. إنْ كان بإمكان الله أن يشقَّ البحر الأحمر، فمن المؤكَّد أنَّه قادرٌ على تزويدهم بقليلٍ من مياه الشرب. لكنَّ أعينهم كانت مركَّزة على المشكلة لا على إله المعجزات.

يروي سفر العدد ٢٠:١٢ كيف كان ردُّ الله على تذمُّرهم المتواصل: لن يقود موسى وهرون الشعب إلى الأرض الموعودة. لماذا؟ "فقال الربُّ لموسى وهرون من أجل أنَّكما لم تؤمنا بي حتَّى تقدِّساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تُدخِلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إيَّاها".

إنَّ إيماننا هو بالنسبة إلى الله قضيَّةٌ جدِّيَّةٌ وخطيرة. فهو يريدنا أن نؤمن به مهما كانَتِ الظروف، ومهما كانت قسمتنا. كان هذا صعبًا إلى أقصى حدٍّ بالنسبة إلى صديقتي دارلا.

القبول بما قسمه اللّه لك

منذ عدَّة سنوات، تسلَّمتُ الرسالة التالية من دارلا.

كانت قصَّتنا تشبه قصَّة حبٍّ في كتاب. وكان روب هو الرجل الذي اختاره الله لي، وقد عرفتُ أنَّ زواجنا سيدوم إلى الأبـد. كُنَّا نعرف بعضنا منذ الطفولة وتطوَّرت صداقتنا الرائعة إلى علاقة حبٍّ مميَّزة.

بعد أربعة عشر عامًا، اصطدمت عبارة "وعاشا بسعادة إلى الأبد" بالحقيقة الرهيبة. إذ قد وجدتُ روب في سريرنا مع صديقتنا الشابَّة. ما من كلماتٍ في اللغة يمكنها التعبير عنِ الحزن والألم والدمار. شعرتُ بأنَّ حياتي قد جفَّت عندما رأيتُ مشهد **زوجي وصديقتي في سريري**. لقد بدا أنَّ زوجي الذي كان يؤمن بالمسيح، يؤمن أيضًا بالزنا.

حين طلب روب المغفرة وقد وعد بأنَّ هذا لن يتكرَّر أبدًا مرَّة أخرى، سامحتُه واعتقدتُ أنَّ زواجنا قادرٌ على استعادة عافيته، بل وسيصير أقوى من ذي قبل. كنتُ أدرك أنَّ ولدَينا الصغيرَين بحاجةٍ إلى والدهما، وأنا لا أزال أحبُّ روب وأحتاج إليه.

كانت السنة التالية سنة تغيُّراتٍ مفرطة بالنسبة إليَّ. إنَّ اسم روب الأوسط هو "الفتَّان" (Charming). إنَّه الكاذب المتمرِّس في كلِّ الأوقات، وقد صدَّقتُه.

منذ سنة خلت، اكتشفتُ ثانية أنَّه متورِّطٌ في علاقةٍ معِ امرأةٍ أخرى، فطلبتُ إليه مغادرة البيت.

لقدِ اجتاحني شعورٌ بالإحراج والخجل. سيعرف الجميع الآن، بِمَن فيهم ولدَينا. لقد كنَّا عضوَين ناشطَين في كنيستنا: نعلِّم دروس الكتاب المقدَّس، ونـدرِّب الأشخاص على النموِّ في التلمذة. ما الذي سيقوله الناس في ما يتعلَّق بشهادتنا المسيحيَّة؟

لقد تجرَّدتُ من نظام المساندة الإنسانيَّة الخاصَّة بي، ووجدتُ نفسي وحيدةً مع صبيَّين مراهقَين متألِّمَين وغاضبَين، وقد كنتُ مسؤولةً عن توجيههما نحو مرحلة الرجولة. لقد شعرتُ بأنَّني وحيدة تمامًا؛ وقد فقدتُ السيطرة على حياتي. كنتُ أشعر أحيانًا بأنَّ عقلي ضبابيٌّ وفاقدٌ القدرة على الإحساس حتَّى إنَّني ما كنتُ قادرةً على القيام بأبسط المهام. تشبَّثتُ بالله بكلِّ قوَّتي، سائلةً إيَّاه في كلِّ لحظةٍ أسئلةً عديدة: "**لو أنّ** فوضى هذا الزواج تختفي! كيف يمكن أن يكون الطلاق هو ما تريده لنا، في حين أنَّك تكره الطلاق؟ أنت القادر على كلِّ شيء؛ لماذا لا تجعل روب يتغيَّر؟"

ما زالت نهاية قصَّة كتابي الرومانسيَّة مجهولة. ليست لديَّ إجابات شافيةٌ عن أسئلةٍ مثل: "لماذا سمح الله بهذا في زواجي؟"، ولكنَّ الله علَّمني الكثير. إذ قد تعلَّمتُ أنَّني يمكن أن أكون مسؤولةً عن نفسي فقط. ليس باستطاعتي أن أقوم بالخِيارات عن زوجي؛ هو وحده مَن يستطيع ذلك لنفسه. أنا على استعدادٍ لقبول ما لدى الله لأجلي مهما كان، إمَّا البقاء وحيدةً، أوِ التسوية والصلح.

كما تسلّمتُ مؤخّرًا رسالةً أخرى من دارلا وتعجّبت من نموّها المتواصل. قالت لي: "إنّني أحاول أن أتعلّم الطاعة وقبول مشيئة الله في أدقّ تفاصيل حياتي. لا أريد من الآن فصاعدًا أن أهدر حياتي في الحزن وعدم الفاعليّة بسبب الوضع الذي أنا فيه مع زوجي". لقدِ اختارتْ دارلا أن تتّكل على الله بشأن قسمتها.

في حين أنّني لم أمرَّ بِما مرّت فيه دارلا، فإنّني قد ناضلتُ لكي أقبل بقسمتي. إنّ جزءًا من قسمة الله لي الآن هي زيارة أسبوعيّة لطبيب المعالجة بواسطة تحريك المفاصل والعمود الفقريّ، وزيارة لاختصاصيّ التدليك العصبيّ العضليّ. ونظرًا إلى أنّنا نقيم في الضاحية، فقد كانت كلُّ زيارةٍ تستغرق من ساعتَين إلى ثلاث ساعات. لم أخطّط أن تصطدم بي مركبةٌ من الخلف على الطريق السريع، وأن أكون المتضرِّرة من إصابة في العمود الفقريّ ناتجةٍ عن هزِّ الرأس بصورةٍ مفاجئة، ولكنَّ تلك كانت قسمتي. لقد سمح الله بوقوع الحادث، وبالتالي، فإنّني أستطيع اختيار أن أكون قانعةً وراضية بعدم الارتياح وببرنامجٍ قد عُدِّل، أو أن أتذمَّر وأزيد التوتّر في جسدي. إنّ ما حدث معي أمرٌ بسيط. فما أهمّيّة إصابة فقرات الرقبة مقارنة بمعاناة جيم، أو بموت طفلٍ، أو بوجود زوجٍ خائن، أو بالعذاب الذي لا يوصف الذي يختبره العديدون كلّ يوم؟ إنّه أمرٌ تافهٌ عديم الأهمّيّة- أمرٌ بسيط كلا شيء. ومع ذلك، فإنّ ذاك "اللاشيء" قد أوقع الفوضى في حياتي. غالبًا ما يكون الـ "لا شيء" هو السبب في تذمُّرنا واستيائنا.

إنّ السلام يأتي من خلال القبول.

تَذَكُّر صنيـع الربّ

إنَّنا نستمرُّ بالرُّغم من الآلام التي سمح الله بها في حياتنا، بتذكُّرنا مَن هو الله وما الذي فعله في الماضي. عندما تغزو خاطرة "**لو أنَّ...**" فكري؛ وعندما يملأ الحزن العميق قلبي، فإنَّني أعود إلى أحد المزامير المفضَّلة عندي. إنَّه مكانٌ قدِ التقيتُ الله فيه مرارًا وتكرارًا. اقرإي مزمور ٧٧ وأصغي إلى كلمات كاتب المزامير المُشبعة بالألم: "أبتْ نفسي التعزية. أذكر الله فأئنُّ... انزعجتُ فلم أتكلَّم... هلِ انتهت إلى الأبد رحمتهُ. انقطعت كلمتهُ إلى دورٍ فدور. هل نسي الله رأفةً؟" (مزمور ٧٧:٢-٤، ٨-٩).

تبدو هذه الأسئلة كأسئلتي. ولكنِ اسمعي كيف يتحوَّل يأس كاتب المزامير من الأسى إلى التسبيح.

> أذكر أعمال الربِّ إذ أتذكَّر عجائبك منذ القدم. وألهج بجميع أفعالك وبصنائعك أناجي. اللهمَّ في القدس طريقك. أيُّ إلهٍ عظيمٍ مثل الله. أنت الإله الصانع العجائب. عرَّفتَ بين الشعوب قوَّتك.
>
> (مزمور ٧٧:١١-١٤).

سوف أتذكَّر، إذ إنَّ هذا هو مفتاح الثقة بالله. في ليالٍ عديدة، كنتُ أنهض من السرير، وأمسك ورقةً وقلمًا في يدي، وأُجبر نفسي على تذكُّر ما فعله الله في الماضي، لكي أتذكَّر أمانته معي. إنَّ قيامي بوضع قائمة بكلِّ ما قد فعله الله في الماضي، يساعدني على أن أثق به في الحاضر. وفي إحدى الليالي الحالكةِ الظلام كتبتُ في دفتر يوميَّاتي ما يلي:

> الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل. إنَّ جسدي وروحـي يتململان ويتقلَّبان، وكـأنَّ عقلي على نار

> وهاجسه فكرة "**لو أنّ...**"، و"**ماذا لو...**"، وأسئلة **لماذا** كثيرة. أشعرُ وكأنّني سأنفجر. فتحتُ الكتاب المقدَّس وقرأت الآيات التالية: "لماذا أنتِ منحنيةٌ يا نفسي ولماذا تئنّين فيَّ؟" إنَّ هذا وصفٌ لما أنا فيه- نفسٌ منكسرة. وقرأتُ أيضًا: "ترجَّي الله لأنّني بعد أحمده خلاص وجهي وإلهي". إنَّني أدرك حاجتي إلى التركيز على الله والثقة بصدق كلامه، وأعرف أنَّه لا ينبغي أن أصغي إلى مشاعري.
>
> غير أنَّ نفسي تنكسر مرَّةً أخرى، ويتركَّز تفكيري على المشكلة بدلاً من التركيز على الإله الحيّ. إنَّني أشعر برغبةٍ في الصراخ. مهما كان ما أركِّز فكري عليه، فإنَّه يستدير ويعود إلى الألم. "إنَّ نفسي منكسرةٌ يا إلهي، أدِر عينَيَّ لتنظرا إليك وإلى أمانتك".
>
> لسوف أتذكَّر عملكَ في الماضي وأمانتكَ أيضًا. إنَّني أعرف أنَّ الطريقة الوحيدة للتذكُّر هي في استرجاع تفاصيل أمانتك. سأكتب قائمةً تساعدني على التذكُّر.

لقد أعدَّ أندرو موراي لائحةً "للتذكُّر". وقد وضعتْ كلماتُه الأيَام والليالِيَ المظلمةَ في منظورٍ طبيعيّ. عام ١٨٩٥، كان موراي في إنكلترا يعاني من ألمٍ رهيبٍ في ظهره نتيجة جرحٍ قديمٍ أُصيب به منذ سنوات. في صباح أحد الأيَّام؛ وبينما كان يتناول طعام الفطور في غرفته، حدَّثته مضيفته بشأن امرأةٍ في الطابَق السفليِّ كانت متورِّطةً في مشكلةٍ كبيرة وتريد أن تعرف إن كانت لديه نصيحةٌ ما يسديها إليها. مدَّ أندرو موراي إليها يده بورقةٍ كان

يكتب عليها وقال: "أعطيها هذه النصيحة التي كنتُ أكتبها لنفسي. فقد تجدها مفيدة". وهذا ما كتبه:

> في أوقات الشدَّة قولي: "أوَّلاً، هو مَن أتى بي إلى هنا. إنَّني في هذا المكان الضيِّق بحسب مشيئته؛ ولا بدَّ سأستريح في هذا المكان". قولي: "ثانيًا، إنَّه سيُبقيني هنا في محبَّته، ويهبني النعمة في هذه المحنة لكي أسلك كابنةٍ له". ثُمَّ قولي بعد ذلك: "إنَّه سيجعل من المحنة بركة، وسيعلِّمني دروسًا قصد أن أتعلَّمها، وسيُعمِل فيَّ النعمة التي قصد أن يهبها". وأخيرًا، قولي: "إنه قادرٌ على أن يُخرجني ممَّا أنا فيه مرَّةً أخرى في الوقت الذي يراه مناسبًا. كيف ومتى، إنَّه العليم بذلك". لذلك قولي: "إنَّني هنا (١) بناءً على موعدٍ حدَّده الله، (٢) في حفظه، (٣) خاضعة لتدريبه (٤) وحسب توقيته".[٣]

لقدِ اختار أندرو موراي ألَّا يركِّز على المشكلة ويقول: "**لو أنَّني** لم أعانِ من هذا الألم"، بل كان تركيزه على الله ومقاصده. لقد حفظتُ غيبًا هذا القول المقتبس حتَّى يجعلني أتذكَّر أن أتوجَّه بموضوع قلقي إلى الذي يحلُّ المشاكل عندما أتعرَّض لتجرِبة الانزلاق في مستنقع أفكار "**لو أنَّ...**". وبدلاً من أن أصاب بالقلق والاضطراب، فإنَّني أصلِّي من أجل مشكلتي.

ما حالات "**لو أنَّ...**" الخاصَّة بكِ؟ هل ستصلِّين هذه الصلاة وتسلِّمين "لو أنَّ..." الخاصَّة بكِ إلى مَن يمسك في راحة يده بيدكِ وبكلِّ "**لو أنَّ...**" خاصَّةٍ بك؟

أيُّها الآب القدُّوس، اغفر لي سَخَطي وتبرُّمي. أعلم أنّني بدوتُ تمامًا كشعب العهد القديم أيّام موسى. إنّني أتوق إلى أن أستغرق في التفكير بكَ أنت وليس بـ "لو أنّ...". اجعلني حكيمةً كالحطّاب العجوز- قانعةً بما أعرفه، وغير قلقةٍ بشأن ما أجهله.

مونيك

كانت عينا مونيك متورِّمتَين. كما لم تكن قادرة على الكفِّ عنِ البكاء والشهيق. "كلَّا يا إلهي، لا يمكنك أن تقصد هذا! لماذا يا الله؟ أشعر بقلبي وكأنه انشقَّ إلى نصفَين. أَتسألني حقًّا أن أترك ابني هنا في الصين؟ لماذا يا إلهي؟ لقد أعطيتني إيَّاه- فلماذا تستردَّه؟"

لقد تبنَّت مونيكا وزوجها كريستوف طفلاً صينيًّا في سنِّ الثانية، وأطلقوا عليه اسم جون بول قبل خمسة عشر عامًا. كان الطفل يتيمًا، وقد كانا عائلته الوحيدة، وهو كان بحاجةٍ إليهما! لم يكن إيمانه قويًّا كفاية. ما الذي سيحدث له؟ في حين كان قلب أمِّه يتقطَّع، جثتْ مونيك قدَّام الربِّ وصلَّت قائلة: "يا إلهي، إنَّني لا أفهم ما الذي يحدث، ولكنَّني أقدِّم ابني إليك. كن أمًّا له وأبًا، كن كلَّ شيءٍ بالنسبة إليه". ولأنَّ ابنها كان صينيًّا، كان على مونيك أن تترك جان بول وراءها في الصين حين عادت الأسرة إلى فرنسا.

حدث هذا سنة ١٩٤٩ حين أجبر الشيوعيُّون جميع المرسَلين على مغادرة الصين. وفي عام ١٩٨٨، كنتُ أنا وجُدي في الصين وقابلنا جون بول وسمعنا قصَّته. بعد أن أُجبِر أهله بالتبنِّي على المغادرة، وقع في حبِّ يسوع المسيح. تزوَّج، وأنجب أولادًا، وأصبح الناطق المدافع عن قضيَّة المسيح. وبسبب إيمانه أُودِع السجن لمدَّة واحدٍ وعشرين عامًا. وفي أثناء وجوده في السجن، أقنع الشيوعيُّون زوجتَه بأنَّه كان خائنًا فطلَّقته. ولم يرَ زوجتَه أو أبناءه أبدًا بعد ذلك.

ومع أنَّه قد فُرِّق عن كلِّ مَن أحبَّهم، فقدِ اختار جون بول أن يثق بالله. وقد أصبح معلِّمًا متنقِّلاً، يخدم الآلاف في حركة كنائس البيوت في الصين. وفي الوقت الذي تحدَّثنا فيه معه، كان مختبئًا من الشرطة السرِّيَّة.

كان بإمكان جون بول أن يُمضي وقته وهو يتساءل لماذا. غير أنَّه كان يبدو مشرقًا. لا توجد كلمة أخرى قادرةٌ على وصْف سيماء وجهه.

لم ترَ مونيك ابنها ثانية. وقد ماتت وهي لا تعرف كيف استجاب الله لصلواتها. إنَّني واثقةٌ بأنَّها مبتهجةٌ اليومَ في السماء.

الفصل ١٢

الاتِّكالُ على اللّه بخصوص "لماذا"

ابتسمَتِ السيِّدة براون وهي تسلِّمني العَقْد- بضعة صفحات مطبوعة يفصل ما بين سطورها فراغٌ مُفرد. بينما كنتُ أشقُّ طريقي بمشقَّةٍ خلال الكلمات الألمانيَّة، قلتُ لنفسي: "**إنَّ هذا لا يُصَدَّق**". لقد قيل لنا عندما استأجرنا الشقَّة إنَّه ليس علينا توقيع عقدٍ ما، وإنَّ السيِّد والسيِّدة براون **كانا يُحبَّان** الأولاد في سنِّ المراهقة. والآن، وبعدما اجتثثنا أسرتَنا من جذورها في فيينا، واتَّجهنا نحو هذه البلدة الصغيرة في ألمانيا، التي تبعد مسافة اثنتي عشرة ساعة، وجدنا أنَّه سيكون علينا أن نوقِّع عقدًا.

كانت بعض شروط هذا العقد التالية:

- أثناء ترديد أغنية "عيد ميلاد سعيد" خلال الاحتفال بعيد مولد شخصٍ ما، لا ترفعوا أصواتكم ولا تطيلوا وقت الغناء.
- إن كنتم تستخدمون آلة الخياطة، اجعلوا صوتها منخفضًا إلى أدنى درجة. (بما أنَّ الحياكة هي في أسفل قائمة الأشياء التي أقوم بها، فإنَّني لم أكن على علمٍ بأنَّ لآلة الحياكة درجات صوت).
- لا تُكثِروا من استقبال الضيوف.

وتتابعتْ بنود العقد حتّى وصلت إلى أربع صفحات. أَكان هذا جدِّيًّا؟ أتأجيرُ شقَّةٍ ما يخوِّل المالك سنَّ قوانين تتحكَّم بأسلوب حياتك؟

من الواضح أنَّ المراهقين كانوا يثيرون استياء عائلة براون، فقد كانا يتوقَّعان أن يلتزموا الهدوء بشكلٍ دائم (وهذا مستحيل بالنسبة إلى ولديَّ القادرَين على الابتكار والضحك والصخب). لقد قدِمنا إلى ألمانيا للراحة. كان الارتحال لمدَّة ثماني سنوات والخدمة في أوروبا الشرقيَّة وروسيا قد أنهكا قِوانا أنا وجُدي. وكان ولدانا المراهقان يشعران بالتشويق والإثارة بخصوص الالتحاق بالمدرسة المسيحيَّة في هذه البلدة الصغيرة. وبدا أنَّ عائلة براون التي أثَّثَتِ الشقة التي تحتوي على ثلاث غرف نومٍ تأثيثًا كاملاً، هي استجابة لصلاتنا.

كان العقد إشارةً بسيطةً إلى ما ينتظرنا من أوقاتٍ صعبة. لقدِ اعتقدنا أنَّ هذه السنة ستكون كنزهةٍ في سيَّارة في عطلة نهاية أسبوعٍ خاليةٍ من الهموم. لكنَّنا بدلاً من ذلك، بدأنا بالشعور وكأنَّنا نقود عربةً بذراع مكسورة في عجلة القيادة- على طريقٍ معوجٍّ.

المعوَجُّ والمستقيم

إنَّني شخصيًّا أفضِّل الأوقات"المستقيمة"! وأحبُّ أن أكون قادرةً على رؤية كيف تتلاءم الأشياء مع بعضها البعض. إنَّ الأوقات المعوَجَّة صعبة، ليس بسبب اعوجاجها فحسب، بل لأنَّنا لا نستطيع أن نرى كيف يعمل الله. إلَّا أنَّ تلك الأوقات هي التي تتطلَّب الإيمان. تذكَّري أنَّ الله يجعل الأشياء تتلاءم فيما بينها حتَّى عندما لا نستطيع أن نرى ذلك. كلُّ ما في الأمر أنَّ ذلك لا يجعلنا نشعر بالراحة أوِ الأمان كما في الحال عندما نستطيع أن نرى. يحثُّنا سفر الجامعة على الفرح والابتهاج حين تكون الحياة سهلة، وعلى الثقة بالله حين لا تكون كذلك.

> انظر عمل الله لأنّه مَن يقدر على تقويم ما قد عوَّجه. في يوم الخير كُنْ بخيرٍ وفي يوم الشرِّ اعتبِرْ. إنَّ الله جعل هذا مع ذاك لكيلا يجد الإنسان شيئًا بعده. (جامعة ٧:١٣-١٤)

في دراسة للكتاب المقدَّس بعنوان "**تعرَّف إلى إلهك**" (*Behold Your God*)، تلقي ميرنا ألكسندر (Myrna Alexander) بعض الضوء على المعنى الذي تتضمَّنه هاتان الآيتان.

> هناك الاعوجاج الذي يوجده الله، وهناك الاعوجاج الذي نخلقه نحن لأنفسنا ويسمح الله به. إنّنا نقع في أمورٍ خاطئة، ونرتكب الأخطاء الفادحة، ونتسبَّب بالفوضى. يمكننا أن نخلق حالةً من الفوضى والاختلال والحزن والمعاناة، وذلك بمخالفتنا لتعليمات الله المتعلِّقة بكيفيَّة سلوكنا في الحياة. ومع ذلك، يقول المسيطر على كلِّ الأشياء في ما يتعلَّق بالاعوجاج الذي يبدو أنَّه هو مَن صنعه؛ أوِ الاعوجاج الذي تسبَّبنا نحن فيه، إنَّ "كلَّ الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبُّون الله الذين هم مدعوُّون حسب قصده".[١]

وضعتْنا السيِّدة براون وعقدُها غير المنطقيِّ في مواجهة موقفٍ معوَجٍّ. بعد أربعة أيَّامٍ من الصلاة الخاصَّة بما ينبغي أن أقوله (قال زوجي العزيز إنَّني أنا مَن ينبغي أن يتحدَّث إليها؛ لأنَّ لغتي الألمانيَّة كانت أفضل من لغته)، غامرتُ بالنزول إلى الطابَق الأرضيِّ بقصد التفاوض. أكَّدتْ لي السيِّدة براون أنَّ العقد كان مجرَّد إجراءٍ شكليّ.

عبَّرتُ عن أملي في أن يسود التفاهم فيما بيننا، ورجوتُها أن تُعلِمني في حال صدر عنّا ما يزعجهم.

بمرور الأسابيع، بات جليًا أن السيِّد براون كان إنسانًا مريضًا، مليئًا بالغضب والحقد. في أحد الأيَّام، كانَتِ السيِّدة براون مريضةً وكنت أُحضِر إليها العشاء. وبينما كنتُ في طريقي إلى مغادرتها، سمعتُ السيِّد براون يصيح بصوت كالرعد. كلَّا، إنَّ كلمة يصيح ليست قويَّة بما يكفي- لقد كان يصرخ بعنف. شكرتُ الله لأنَّني لم أفهم كلَّ ما قاله لنا، ولكنَّني فهمتُ أنَّه كان غاضبًا لأنَّ ابننا نيكي ترك الباب الأماميَّ مفتوحًا. لم يسبق لي قطُّ أن عومِلتُ معاملةً كهذه. كنتُ أنتفض وأنا أصعد وحدي درجات السلَّم. تلخَّصتْ أفكاري "الروحيَّة" في تمنِّياتي بأن يختنق بالعشاء اللذيذ الذي أمضيتُ وقت الصباح وأنا أعدُّه لأجلهم.

لقد صار السيِّئ أسوأ عندما دقَّ السيِّد براون بابَ بيتنا بشدَّة في الساعة العاشرة ليلاً وهو يثور غضبًا لأنَّني كنتُ أستحمّ. لقد أزعجهم صوت جريان الماء النازلة في الأنابيب. في هذه المرَّة كان صياحه موجَّها إلى جُدي (بقيت أنا في حوض الاستحمام!) صرخ قائلاً إنَّ علينا أن نغادر البيت، وإنَّ العقد قد فُسِخ لمخالفتنا إيَّاه. كان علينا أن نغادر بأسرع وقتٍ ممكن. ولكن إلى أين نذهب؟ كانت هناك بيوتٌ شاغرةٌ محدودةٌ للإيجار في تلك القرية التي يقطنها خمسة آلاف نسمة، ولكنَّنا خرجنا نَهيمُ على وجوهنا في الثلج بحثًا عن تلك البيوت.

لقد كُنَّا بحاجةٍ إلى بيتٍ مؤثَّثٍ يتَّسع لخمسة أشخاص. وكان المكان الوحيد المتاح هو بيتٌ للعطلات (Ferien Wohungen). كان علينا تسديد تكلفة الإقامة باليوم، وكان الإيجار يعادل تقريبًا ثلاثة أضعاف ما قد دفعناه

إلى أسرة براون. بالرُّغم من أنَّه كان لا بأس من الإقامة فيه مدَّة أسبوع، فإنَّ الشقَّة يمكن تصنيفها كحفرةٍ في حال استئجارها مدَّة طويلة.

كانت تفوح من المكان رائحةٌ شبيهةٌ برائحة مصنع الجعَّة، ولمَّا ركَّب جُدي غسَّالةَ ثيابٍ (دون مجفِّفة) في الطابَق السفليِّ للمبنى، اكتشفنا سبب تلك الرائحة. لقد كان مالك بيتنا الجديد (الذي كان رجلاً محبَّبًا إلى النفس) يصنع نوعًا من المُسكِرات الشبيهة بمشروب "الجِن" (Schnapps) في ذلك الطابَق. وعلى مدى سنةٍ كاملة، كنتُ أراقب (وأشمُّ) عمليَّة التخمير أثناء قيامي بنقْلِ خمس عشرة إلى عشرين دفعةً من الغسيل كلَّ أسبوع. لقد كانَتِ الروائح قويَّةً جدًّا حتَّى إنِّي تعجَّبتُ كيف أنَّ الملابس لم تتأثَّر بها. كان المشروب المُسكِر يقدَّم باستمرار لجُدي (في ساعةٍ مبكِّرة كالعاشرة صباحًا)، وأخيرًا قال له المالك: "سيد ديلو، ألا تعرف أنَّ الكتاب المقدَّس يقول إنَّه من المفيد شُرب هذا النوع من المُسكِر مرَّتَين في اليوم؟" بحثتُ أنا وجُدي في الأسفار المقدَّسة، ولكنَّنا تصوَّرنا أنَّه لا بدَّ كان يتحدَّث بشأن كتابٍ مقدَّسٍ مختلف.

قال لنا الأصدقاء: "يبدو هذا المكان وكأنَّه ينتمي إلى بلدان العالم الثالث. إن كنتم تدفعون إيجارًا شهريًّا يزيد عن على ٣٥٠ دولارًا، فهذا يُعدُّ سَرِقة". (وهو قطعًا كان كذلك)! إلَّا أنَّنا تعلَّمنا أن نعيش بالقرب من بعضنا البعض بشكلٍ حميم، وقرَّرنا أنَّ الوضع لم يكن سيِّئًا جدًّا. ثُمَّ في أحد الأيَّام، بينما كنتُ جالسةً في مطبخي، نظرت إلى الأعلى، وهناك رأيتُ فطرًا ناميًا خارج شقٍّ في سقفي! أيُّ إله مبدعٍ هو إلهنا! نعم، إنَّ لدينا بيتًا لقضاء العطلات هو عبارة عن "عليَّة قديمة" بإيجارٍ فاحش، ولكنَّه كان يزوِّدنا بخضر مجَّانيَّة!

تعدَّدتِ الجوانب الإيجابيَّة من وجودُ أصدقاءٍ رائعين، ومدرسةٍ مسيحيَّةٍ مميَّزةٍ جدًّا، ومالكِ بيتٍ لطيفٍ يصنع مشروبًا مُسكِرًا. من جهة أخرى، تواصلَتِ المضايقاتُ من قِبَل السيِّد براون. كانت رسائله الغاضبة والمليئة بالازدراء أمرًا مألوفًا في صندوق بريدنا، يتَّهمنا فيها بتحطيم أشياء، وترْكِ الشقَّة دون تنظيف. لقد أثار لا سيَّما الاتِّهام الأخير غضبي لأنِّي قد أمضيت يومًا كاملاً في تنظيف كلِّ زاويةٍ من زوايا البيت. كان علينا في نهاية المطاف أن نلجأ إلى محامٍ لتسوية القضايا الماليَّة.

لقد أتينا إلى هذه البلدة طلبًا للراحة، ولكنَّ الوضع لم يكن مريحًا. سألتُ قائلة: "لماذا يا إلهي؟"

حبقوق: رجلٌ واجه ظروفًا معوَجَّة

عندما تسألني النساء عنِ السِّفْر المفضَّل لديَّ في الكتاب المقدَّس أجيب قائلة: "إنَّه سِفر حبقوق"، فأُلاقي حينها بعض النظرات الغريبة. لقدِ استخدم الله شهادة هذا الرجل العزيز لكي يشجِّعني ويحثَّني، ويريَني ما معنى ائتمان الله على أسئلة "لماذا" الخاصَّة بي. إنَّ سفر حبقوق سفرٌ قصير- ثلاثة أصحاحاتٍ فقط- وهو مجرَّد سجلٍّ لحديثٍ متبادل ما بين النبيِّ والله.

كان حبقوق مختلفًا عنِ الأنبياء الآخرين في العهد القديم الذين كانوا يتوجَّهون في خطابهم إمَّا إلى أبناء بلدهم أو إلى أناسٍ غرباء. لقد خاطب حبقوق الله فقط. لقد واجه ذاك الرجل ظروفًا معوَجَّة بالفعل. فبعد موت يوشيا، آخر الملوك الأتقياء، عبد الشعب آلهة كاذبة، ولم يقدِّم إلَّا القليل جدًّا من الإكرام للإله الحقيقيّ. انتشر الفساد على نطاقٍ واسعٍ في مملكة

يهوذا، ومع ذلك فقد كان الله صامتًا. وشبَّ العنف واستُبيح القانون؛ وبدا أنَّ الربَّ غير معنيٍّ بما يحصل، وبأنَّه لم يكن يعمل. أتى حبقوق قدَّام الله وسأله الأسئلة القديمة قِدَم الدهر والتي تمزِّق قلوبنا: "حتَّى متى يا ربّ؟" "**لماذا يا الله؟**" "**لماذا** تسمح باستمرار الشرِّ والإثم في يهوذا؟" وصلَّى قائلاً:

> حتَّى متى ياربُّ أدعو وأنت لا تسمع؟
> أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلِّص؟
> لِمَ تريني إثمًا وتبصر جورًا؟
> وقدَّامي اغتصاب وظلم
> ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها.
> لذلك جمدَتِ الشريعة ولا يخرج الحكم بتَّةً لأنَّ الشرِّير يحيط بالصدِّيق فلذلك يخرج الحكم معوَجًّا.
>
> (حبقوق ١:٢-٤)

أجاب الله وقال إنَّه سيفعل شيئًا لن يصدِّقه حبقوق. فبدأ حبقوق في الصياح: "ياللروعـة!" ولكنَّه توقَّف فجأةً عنِ الكلام. ما الذي يقوله الله؟

> "فهأنذا مقيمٌ الكَلدانيِّين الأمَّة المرَّة القاحمة السالكة في رحاب الأرض لتملك مساكن ليست لها. هي هائلة ومخوفة. من قِبَل نفسها يخرج حكمها وجلالها".
>
> (حبقوق ١:٦-٧)

أُصيب حبقوق بصدمة. إذ خلق جواب الله مشكلةً أكبر حتَّى. إنَّ يهوذا شعبٌ يستحقُّ العقاب، ولكن لماذا سيعاقب الله يهوذا بإرسال الكَلدانيِّين الذين كانوا أشرَّ وأقسى قلبًا بكثير من أبناء يهوذا؟ إنَّهم سيجعلون الأمور

أسوأ لا أفضل بحسب رأي حبقوق. إنَّ هذا لا معنى له. أيُّ نوعٍ من الخُطط هي هذه؟ إنَّ بإمكان أيَّ ولدٍ أن يفكِّر في خُطَّةٍ أفضل منها.

لكي نفهم ألم حبقوق، سنضع حالته في سياقٍ معاصر. يساور القلق الكثيرين اليوم بسبب العنف المتصاعد في الولايات المتَّحدة. فنقرأ كلَّ يومٍ عنِ الجريمة والمخدِّرات والإدمان على الكحول، وقتل الأطفال بالإجهاض. وتخشى النساء الخروج ليلاً، ويلتزم الأهل جانب الحيطة والحذر في ما يتعلَّق بهويَّة الأشخاص الذين يعتنون بأبنائهم. هذا وقد تصاعدت جرائم الاغتصاب والإساءة الجنسيَّة، والشذوذ حتَّى بلغت قدرًا هائلاً. إنَّنا نتساءل مثل حبقوق إن كانَتِ العدالة مصابةً بالشلل، كما يبدو أنَّ أحكامها غالبًا ما تصدر معوَجَّة. إنَّ القلوب تشعر بالأسى على ما يحدث، ولهذا نجتمع معًا لنصلِّيَ كما صلَّى حبقوق: "يا ربّ، لماذا تسمح يا إلهي لهذا الفجور الشرِّير أن يتفشَّى في بلدنا؟ افعل شيئًا يا الله!"

تصوَّري ردَّ فعلنا لو أجاب الله بقوله: "انظروا، فلتتعجَّبوا ولتندهشوا! إنِّي سأفعل أمرًا في أيَّامكم لن تصدِّقوه إن قيل لكم. فهأنذا مقيمٌ عصابةً من الأشرار المريعين الجشعين، لكي يستولوا على العالم".

لو حصل هذا، لكُنَّا صحنا قائلين: "عذرًا يالله، لا شكَّ أنَّنا أسأنا الفهم. لا يمكن أن تعني أنَّك سترسل بعضًا من الشياطين المتجسِّدين ليحكمونا. إنَّنا سيِّئون، إنَّما **ليس إلى هذا الحدّ**".

إنَّ الفكرة نفسها ستجعلنا نشعر بالرعب. حسنًا، هكذا كان شعور حبقوق.

كانت سمعة الكَلدانيِّين سيِّئةً حتَّى إنَّها تتسبَّب في أن يشعر أيُّ شخصٍ بكربٍ عظيم. إنَّنا نقرأ في حبقوق ١:٦-١١ أنَّهم كانوا أناسًا يتَّصفون بالشراسة والعنف؛ إذ يستولون على ما ليس لهم، وقد كانوا مخيفين. كما خرج

حكمهم وعدالتهم من قِبَل نفسهم. كانوا فرسانًا بارعين يطيرون كالنسور وينقضُّون للافتراس. يتركَّز هدفهم كلُّه على العنف، وهم يجمعون الأسرى كالرمل. يسخرون من الملوك، ويضحكون على كلِّ حصن. إنَّ قوَّتهم هي إلههم. لا عجب ألَّا يفهم حبقوق خُطَّة الله. ولكن بدلاً من الصياح بصوتٍ عالٍ قائلاً: "هذا ليس بعدل!" التجأ إلى صفات الله- قداسته وطهارته- وسأل الله، **لماذا**.

> ألستَ أنت منذ الأزل ياربُّ إلهي قدُّوسي؟ لا نموت...
> فلِمَ... تصمت حين يبلع الشرِّير مَنْ هو أبرُّ منه؟
> (حبقوق ١:١٢-١٣)

بعد أن طرح هذه الأسئلة، قال حبقوق: "على مرصدي أقف وعلى الحصن أنتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لي وماذا أُجيبَ عن شكواي" (حبقوق ٢:١). بكلمات أخرى، سينتظر إلى أن يسمع جوابًا من الله عن شكواه.

يعتقد بعض الأشخاص أنَّ الله لا يكلِّمنا اليوم كما كان يفعل منذ زمن بعيد. إنِّي لا أوافقهم الرأي. إنَّ القول الأصحَّ هو إنَّنا لا نصغي ولا ننتظر كما فعل حبقوق. ومع أنَّنا لا نعلم كمِ استغرقت مدَّةُ انتظاره، فإنَّنا نعلم أنَّ الله قد أجابه.

> فأجابني الربُّ وقال: اكتُبِ الرؤيا وانقشها على الألواح
> لكي يركض قارئها. لأنَّ الرؤيا بعدُ إلى الميعاد وفي النهاية
> تتكلَّم ولا تكذب. إنْ توانت فانتظرها لأنَّها ستأتي إتيانًا
> ولا تتأخَّر. هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه.
> والبارُّ بإيمانه يحيا (حبقوق ٢:٢-٤).

أكَّد الله مرَّةً أخرى أنَّ ما قد سمعه حبقوق كان صحيحًا: الكَلدانيُّون قادمون، **غير أنَّ** حبقوق كان بإيمانه يحيا. تكرَّر هذا القول ثلاث مرَّات في العهد الجديد: "أمَّا البارُّ فبالإيمان يحيا" (رومية ١:١٧؛ غلاطية ٣:١١؛ عبرانيِّين ١٠:٣٨). بكلماتٍ أخرى، لم يشرح الله **لماذا** (أيِ السبب)؛ وبدلاً من ذلك، طلب من حبقوق أن يتَّكل عليه بخصوص جميع أسئلة **لماذا** التي لديه. كان على حبقوق أن يتَّكل على الله في ما يتعلَّق بكلِّ ما لم يفهمه، وما لم يتمكَّن من رؤيته. كان عليه أن يسير في الظلمة مع الله.

من وجهة نظرٍ بشريَّة، فإنَّ هذه الإجابة تدعو إلى الشعور بالإحباط. إنَّنا نريد أن نعرف **لماذا**. من المؤكَّد أنَّه ينبغي أن يفسِّر الله لنا ما يهدف إليه. إنَّه يفعل هذا أحيانًا، ولكنَّه في غالب الأحيان لا يفعل. الله هو الله، وهو ليس بحاجةٍ إلى تبرير أفعاله. إن كنَّا نستطيع أن نفهم الله فهمًا كاملاً، فإنَّه لن يكون الله في هذه الحال، بل سيكون مثلنا. إنَّ علينا انتظار وصولنا إلى السماء للحصول على إجابات في تلك الحالات التي لا يجيب فيها الله عن أسئلة **لماذا** الخاصَّة بنا.

لقد أدرك حبقوق هذا الأمر. بالرُّغم من أنَّه لم يحصل على الجواب الذي أراده، فإنَّه أقرَّ أنَّ الله هو الله، إذ إنَّه يفتقر كإنسان إلى الفهم والإدراك الكاملَين. سبَّح حبقوق الله في روحه، مع أنَّه بالجسد كان يرتعد خوفًا! "سمعتُ فارتعدتْ أحشائي. من الصوت رجفتْ شفتاي. دخل النخر في عظامي وارتعدتُ في مكاني لأستريح في يوم الضيق عند صعود الشعب الذي يزحمنا" (حبقوق ٣:١٦).

إنِّي أحبُّ وَصْف هذا القدِّيس الحبيب: إنَّه يرتجف، وتتعذَّب روحه، ويعاني ألمًا مبرِّحًا حتَّى إنَّه قال إنَّ النخر دخل في عظامه! كم يبثُّ هذا

الشجاعة فيَّ، حين يتمرَّد جسدي في كثير من الأحيان أثناء محاولتي الاتِّكال على روحي. وبالرُّغم من أنَّ جسده وروحه كانا يرتعدان، فإنَّ حبقوق أعلن ما أعتقدُ أنَّه أجمل إعلانِ إيمانٍ في الكتاب المقدَّس.

> فمع أنَّه لا يزهر التين ولا يكون حملٌ في الكروم
> يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعامًا ينقطع
> الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذاود فإنِّي أبتهج بالربِّ
> وأفرح بإله خلاصي. الربُّ السيِّد قوَّتي ويجعل قدميَّ
> كالأيائل ويمشِّيني على مرتفعاتي (حبقوق ٣:١٧-١٩).

ياله من تصريحٍ لا يكاد يُصدَّق بشأن الاتِّكال على الله! بالرُّغم من أنَّ حبقوق سيُنقَل إلى مرحلة عوزٍ تامٍّ، فإنَّه مع ذلك يبتهج. وبالرُّغم من أنَّ كلَّ شيءٍ سيؤخذ منه- بما في ذلك المحصول والماشية اللذان يزوِّدانه بالطعام والشراب- فإنه سيتَّكل على الربِّ قوَّته. إنَّ كلماته تعني حرفيًّا: "سأقفز فرحًا بالربِّ. وسأدور ملتفًّا ابتهاجًا بالله".[٢] إنَّ هذا هو الفرح في أبهى صوره في أحلك الظروف.

إذن، ماذا كانت عمليَّة التغيير التي مرَّ بها حبقوق وهو ينتقل من نحيب الشكِّ إلى ترنيم الثقة؟

- أخبر الله بشكوكه المُخلِصة.
- قرَّر أن ينتظر إجابة الله.
- اختار الاتِّكال على الله في الظلمة.

لقد شاركتكِ قصَّتي عنِ السنة التي قضيناها مع المالك الغريب الأطوار. لقد كانت سنةً صعبة، ولكنَّها لم تقارب صعوبة السنة التي سبقتها والتي

كانَتِ السبب في سَفَرنا إلى ألمانيا وإرسال ولدَيْنا إلى مدرسةٍ مسيحيَّة. كان محور أعباء حبقوق هو أعباء الآخرين- القلق على مصير بلده، وعلى العافية الروحيَّة لشعبه. لقد كان عبئي ذو طابعٍ شخصيٍّ أكثر.

حالتي المعوجَّة

لم تكن مدينة فيينا خياري لبيئة صالحة يترعرع فيها ولداي. عندما انتقلنا إلى هناك، كان الأولاد في المرحلة الابتدائيَّة. وفي إحدى أوَّل زياراتنا إلى مخزن البقالة، أشار ابني تومي إلى غلاف مجلة يُظهر عريًا أماميًّا كاملاً، وقال: "ماما، **انظري**!" لم تكن الماما تريد أن تنظر أو أن ينظر ابنها!

إنَّ الدعارة أمرٌ مُصرَّح به في النمسا. أتذكَّر أنِّي كنتُ أقود سيَّارتي في شارع رئيسيٍّ مع الولدَين لاستقبال ضيوفٍ في محطَّة القطار واصطحابهم معنا.

كانَتِ المومسات واقفاتٍ في زوايا الشارع وهنَّ يرتدينَ ألبسةً غير مألوفة (هذا وصفٌ لطيف). ونحن في طريقنا في السيَّارة، كانَتِ ابنتي تحصي عدد المومسات: "تسعة عشر، عشرون، إحدى وعشرون... أوه، ماما انظري، لقد حصلتْ هذه المومس على أحد الأشخاص". شعرتُ لحظتئذٍ بالغثيان. إنَّ التعرُّض لرؤية العُري والدعارة لم يكونا ضمن الخُطَّة التي وضعتُها لولديَّ. لقد شعرتُ حتَّى مع وجود هذه المشاكل أنِّي قادرة على حماية ولديَّ إلى حدٍّ ما.

عندما بلغا مرحلة المراهقة، أصبحت حمايتهما أصعب أكثر بالنسبة إليَّ. كانت هناك أربع فتياتٍ مراهقاتٍ من عائلات مرسَلين في المدرسة الثانويَّة الأمريكيَّة. كُنَّا نحن الأمَّهاتِ نشعر بامتنانٍ كبيرٍ لأنَّه كان بإمكانهنَّ أن

يشجِّعن ويدعمنَ بعضهنَّ البعض. لقد بدا هذا جيِّدًا؛ ولكنَّه لم يكن كذلك فيما بعد. لقد كان الضغط كبيراً جدًّا. إنَّ السنَّ القانونيَّة لشرب الكحول في النمسا هو خمسة عشر عامًا؛ وتُقَدَّم البيرة (الجعَّة) في مطاعم ماكدونالد مع الهمبرغر والبطاطا المقليَّة. كما كان ثوب السباحة يترك الصدر عاريًا في جميع برك السباحة وضفاف نهر الدانوب، ولهذا لم نسمح لولدَينا المراهقَين بالذهاب ليسبحا. في حين أنَّني لم أكن أسمح لهما برؤية الأفلام التي تحتوي على مشاهد عري، فكيف كان بإمكاني أن أدعهما يشاهدان التعرِّي عن كثب وبصورة شخصيَّة؟

كنتُ أصلِّي مع إحدى الأمَّهات كلَّ أسبوع لأجل الفتيات المراهقات وهنَّ يحاولنَ الحفاظ على قيمهنَّ. كنَّا ونحن نصلِّي، نراقب صراع ابنتها وإصابتها بالشره المَرَضيِّ نتيجةً للضغوط. عادَتِ الأسرة إلى الولايات المتَّحدة مع عددٍ من أُسَرِ مرسَلين آخرين لديهم أولاد في سنِّ المراهقة. لم نعرف أنا وجُدي ما علينا فعله. لم يكن بإمكاننا قبول فكرة أن نتخلَّى عن حقل إرساليَّتنا فقط لأنَّ لدينا ولدَين مراهقَين. غير أنَّنا لم نكن أيضًا مستعدَّين للتضحية بولدَينا على مذبح خدمتنا في أوروبا الشرقيَّة. ذهبنا خلال الصيف وحدنا إلى مخيَّم لمدَّة أسبوع التماسًا لحكمة الله وإرشاده. "أَنترك ولدَينا في هذا المحيط؟ أَنعود إلى الولايات المتَّحدة؟ ساعدنا يا الله!"

بعد صلاةٍ مدَّة أسبوع، كنَّا لا نزال غير متأكِّدَين ممَّا سنفعله. لو أنَّ الله قد قال لنا ما علينا القيام به بكتابة ذلك على جدار المخيَّم، لكان ذلك جميلاً، ولكن لم يكن هناك وجود لكتابةٍ ولا لأيِّ "شعورٍ بالراحة". قلتُ لجُدي إنَّ عليه أن يتَّخذ القرار. كنتُ منفعلةً إلى درجةٍ لا أستطيع معها أن أثق بقراراتي. قرَّر جُدي أنَّ علينا أن نستودع ولدَينا بين يدي الله ونبقى في أوروبا الشرقيَّة ونخدم فيها. كنتُ خائفة، وكذلك كان زوجي.

بعد ساعةٍ من عودتنا إلى المنـزل، رنَّ جرس الهاتف. كانَتِ المتكلِّمة إحدى الأمَّهات اللاتي ذهبنَ إلى الولايات المتَّحدة. لقدِ اتَّصلت لكي تقول لي إنَّهم لن يعودوا إلى النمسا. "ليندا، عندما سمع شيوخ كنيستنا عن الأجواء السائدة في فيينا وتأثير ذلك في ابنتنا، حثُّونا على عدم العودة بها إلى هناك. سيعود زوجي ليحزم أمتعتنا ويشحن كلَّ شيءٍ إلى الولايات المتَّحدة".

وضعتُ سمَّاعة الهاتف وقلت: "سامحني يا الله، لقد صلَّينا واعتقدنا أنَّك تريد منَّا أن نُبقي ابنتنا في مثل هذه الأجواء. لقد صلُّوا، وقالت لهم مجموعةٌ كاملةٌ أن يغادروا! إنَّني أشعر بالرعب. ولكن يا ربّ، سأبقى هنا وسأكون مرسَلةً لأجلك. إنِّي أسألك أمرًا واحدًا فقط: أرجوك أن تحميَ ابنتي".

خلال الشهور التي تلت، كنتُ أراقب ابنتي وهي تنهار وتتحطَّم تحت وطأة الضغوط. كانت تلميذةً متفوِّقة، لكنَّ علاماتها في مادَّة الرياضيَّات تدنَّت إلى مستوى الرسوب بعدما كانت تحصل على أعلى الدرجات. من المؤكَّد أنَّ أمرًا ما كان غير صحيح. إنَّ طفلتي السعيدة المبتسمة دائمًا، قد تخلَّت عنِ الابتسام. وبينما كانت تتهاوى كنتُ أهوي وإيَّاها كذلك.

بحلول الربيع، كانت حالتي النفسيَّة في أدنى درجاتها في أكثر مراحل حياتي إحباطًا: جسديًّا وعاطفيًّا وروحيًّا. لقدِ استودعتُ أثمن الكنوز لديَّ بين يديِ الله، وبدا أنَّه قد تخلَّى عنِّي. قال لنا رجل أعمالٍ زائرٌ من تكساس: "إنَّ هذه الخدمة هي أكثر الخدمات التي عرفتها إثارة للحماس والتشويق من الخدمات التي عرفتها يومًا في أيِّ مكان". أردتُ أن أصرِّح وأقول: "ولكن بأيِّ ثمن؟" لو أنَّ طائرةً قد حطَّت في فِناء منزلي الخلفيّ، لكنتُ أخذتُ ولديَّ وطرتُ بعيدًا. لم يسبق لي يومًا أن شككتُ بالله في الواقع. والآن كنتُ

محاصرةً بالأسئلة. لقد شككتُ في صلاح الله وهيمنته. ولم أتمكَّن من فتح كتابي المقدَّس. بالرُّغم من أنَّه كان مليئًا بالوعود، فإنَّها لم تكن تبدو قابلة للتطبيق على حالتي أنا وابنتي.

قال لي جُدي ذات يوم: "إلى أيِّ مكانٍ غير هذا يمكننا الذهاب؟ إنَّ لدى الله كلمات الحياة الأبديَّة". عرفتُ في صميمي أنَّه كان مُحقًّا. بدأتُ أطرح على نفسي سؤالاً: "هل سأحكم على الله بناءً على الظروف التي لا أستطيع أن أفهمها، أم أن أحكم على الظروف في ضوء صفات الله؟" فتحتُ كتابي المقدَّس وبدأتُ بدراسة سفر حبقوق. كم ذكَّرتني أسئلته بما لديَّ من أسئلة! قرأتُ قصَّته وأعدتُ قراءتها. وقد أدركتُ أنَّني يجب أن أوجِّه إلى الله أسئلتي كلَّها، ومن ثَمَّ أتَّخذ موقعًا خلف المتاريس بانتظار إجابته.

لم يُجبِ الله عن سؤالي **لماذا** حصل ما حصل. قد لا أعرف أبدًا لماذا تجري الأحداث كما جرت في هذا الجانب من الحياة. كان جوابُ الله عن أسئلتي كردِّه على حبقوق: "والبارُّ بإيمانه يحيا". أدركتُ أنَّه كان عليَّ أن أصدِّق، حتَّى عندما لم يكن بمقدوري أن أرى، وما عدا ذلك فهو ليس إيمانًا. كان عليَّ أن أتَّكل على الله بخصوص ما لم أتمكَّن من فهمه، وما لم يكن له معنى بالنسبة إليَّ. كان عليَّ أن أمشي مع الله في الظلام، مُتشبِّثةً بيده.

أخذتُ بسرعة كتابي المقدَّس وتوجَّهتُ إلى الشرفة ومعي ورقة وقلم. كانت شجرة التفَّاح مزهرةً، وكان شذاها العطر يفوح في المكان. كُنَّا في عام ١٩٨٤، ولكنَّني أستطيع تذكُّر الأشياء وكأنَّها حصلَتِ البارحة. إنِّي أعرف التاريخ لأنَّه مكتوبٌ في كتابي المقدَّس إلى جانب حبقوق ٣:١٧-١٩. أخذتُ إعلان الإيمان الجميل هذا وجعلته إعلاني. كنتُ مثل حبقوق، أرتعد خوفًا. شعرت بالغثيان وأنا أكتب:

- **بالرُّغم** من أنِّي لا أفهم **لماذا**،
- **بالرُّغم** من أنِّي لم أرَ ابنتي تبتسم ثانيةً أبدًا،
- **بالرُّغم** من أنَّها تقوم باختياراتٍ خاطئة،
- **بالرُّغم** من أنَّ هذا الألم في قلبي لن يزول أبدًا.

فإنِّي سأبتهج بالربّ. وسأفرح بإله خلاصي. الربُّ السيِّد قوَّتي، وهو قد جعل قدميَّ كالأيائل، وجعلني أمشي على مرتفعاتي.

إنَّ اتِّخاذ قرارِ اختيارِ الثقة بالظلام كان بدايةَ شفائي. لقدِ انتقلتْ عيناي من النظر إلى الظروف، إلى النظر إلى الربِّ المهيمن الذي كان لا يزال المبارك المسيطر على كلِّ شيء.

والآن، هل ستتَّكلين عليه؟

إنَّ الحياة تشتمل على أوقات ازدهارٍ وأوقات شدائد، المستقيم والمعوَجّ. عندما يحطِّم قلبكِ عبءٌ ما، أتتَّكلين على الله؟ أرأيتِه في كلِّ جلاله؟ أوَتستطيعين أن تقولي مع حبقوق إنَّ البارَّ بالإيمان يحيا؟ إنَّنا جميعًا بحاجةٍ إلى إيمانٍ يدوم عبر الزمن حين لا يمكننا أن نرى ما يفعله الله، ولكنَّنا نستطيع أن نرى **الله ذاته**، وهكذا نقول: "الآن سأتَّكل عليك".

إنَّني لا أعرف حالات "**بالرُّغم من**" أو "**مع أنَّ**" الخاصَّة بكِ: **بالرُّغم من** أنَّ أهلي لا يفهمونني ولا يدعمونني... **بالرُّغم من** أنَّه لم يكن لي زوجٌ قطُّ... **بالرُّغم من** أنَّ زوجي يخيِّب أملي... **بالرُّغم من** أنِّي مرهَقة... **بالرُّغم من** ألمي... **بالرُّغم من** أنَّ ابنتي تبتعد عنِ المسيح.

بالرُّغم من، بالرُّغم من، بالرُّغم من... فإنِّي سأتَّكل على الربِّ الإله. فهو قوَّتي.

رسالة شخصيَّة

صديقتي العزيزة،

أشعر وكأنَّكِ قد أصبحتِ صديقتي. لقد قمنا بهذه الرحلة معًا فيما أطلعتُك على ما أتعلَّمه، وعلى الطريق الذي يقودني الله فيه. إنِّي أصلِّي لكي تكون لديك الشجاعة للتقدُّم إلى الأمام في رحلتك الخاصَّة نحو القناعة.

قرأتُ مزمور ٨٤ ثانيةً هذا الصباح، وهو أحد المزامير المفضَّلة لديَّ. بينما كنتُ أقرأه، تذكَّرتُ الرحلة نحو راحة القلب. إنَّ المزمور يتحدَّث بشأن امرأةٍ مثلكِ ومثلي صمَّمتْ على المُضيِّ في رحلةٍ خاصَّة. إنَّ **السائح** الدينيَّ هو شخصٌ يسافر إلى مكانٍ مقدَّس والقناعة مكانٌ مقدَّس. بحسب ما جاء في هذا المزمور، فإنَّ هذه المرأة مبارَكةٌ لأنَّ قوَّتها بالله. وبينما هي تعبُر وادي البكاء، فإنَّها تُصيِّره ينبوعًا حيًّا (الآيتان ٥ و٦). صلاتي لأجلك هي أن تَصِلي إلى ينبوع القناعة الحيّ.

كانت رحلتي الشخصيَّة عبارةً عن سياحةٍ دينيَّةٍ سلَّمتُ فيها السيطرة على ظروفي إلى الله. ولكي يبيِّن لي الله أنَّه المسيطر المبارك في حياتي، كان عليه أن يحطِّم طرق سيطرتي المستبدَّة. كان الأمر يبدو وكأنَّني كنتُ جالسة على كرسيٍّ صغير في المقعد الخلفيِّ لسيَّارة لاندروفر وأنا ممسكةٌ بمقود

القيادة الخاصِّ بالكرسيِّ الصغير. كنتُ أُدير المقود يمينًا ويسارًا، لكنَّني لم أدرك البتَّة أنَّ مقود القيادة لم يكن متَّصلاً بأيِّ شيء. ثُمَّ نظرتُ ذات يومٍ وأدركتُ أنِّي لم أكن أنا مَن يقود السيَّارة.

أدركتُ أخيرًا أنُّه بالرُّغم من وجود مقودِ السيارة لديَّ، فإنِّي أستطيع أن أتخلَّى عنِ التحكُّم بها. إنَّ سائقي-أيِ الله- يسيطر سيطرةً كاملة. إنَّه معتادٌ أن يقودها، وهو يعرف الطريق حقَّ المعرفة. كما أنَّه يرى نهاية الطريق وإلى أين يؤدِّي، كما يرى جميع أيَّام الغد التي أمامي. أستطيع أن أجلس وأسترخيَ وأتحدَّث إلى السائق وأتمتَّع بالرحلة. وهكذا يصبح **هو** مركز اهتمامي وتركيزي بدلاً من المكان الذي سأذهب إليه.

ولكي أكون صادقةً معكِ، فإنَّني اعتقدتُ في بداية سياحتي أنَّ خِياراتي السرِّيَّة بإطاعة الله ستوصلني إلى المكان الذي يمكنني أن أقول فيه مع بولس: "فإنِّي قد تعلَّمتُ أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه" (فيلبِّي ٤:١١). أنا أعرف الآن أنَّ القراراتِ التي اتَّخذتُها في أعماق قلبي هي قرارات سرِّيَّة بيني وبين الله، **وهي** جزءٌ مهمٌّ جدًّا من القناعة. غير أنَّه بعد عشرين عامًا على قيامي بهذه الرحلة إلى القلب المطمئن، أصبح واضحًا بالنسبة إليَّ أنَّ بولس تكلَّم بالحقِّ عندما قال إنَّ سرَّ القناعة هو أن "أستطيع كلَّ شيءٍ في المسيح الذي يقوِّيني- أنا مستعدٌّ لأيِّ شيءٍ ولديَّ قوَّةٌ لأيِّ شيءٍ من خلال المسيح الذي يبثُّ قوَّة داخليَّة فيَّ" (فيلبِّي ٤:١٣، ترجمةٌ حديثة).

إنَّ ما كنت أخبركِ به في جميع أجزاء هذا الكتاب هو- أوَّلًا، وقبل كلِّ شيء، وفي النهاية- **أنَّ القناعة هي التسليم لملكنا القدُّوس العظيم القادر على كلِّ شيء.** الله...هو المبارَك العزيز الوحيد [المسيطر على كلِّ الأشياء] ملك الملوك وربُّ الأرباب (١ تيموثاوس ٦:١٥). إنَّه المسيطر المبارك على

ظروفنا ومواهبنا وقدراتنا وممتلكاتنا وأدوارنا وعلاقاتنا. إنَّنا نقرُّ بسيطرته المهيمنة بالاتِّكال عليه في كلِّ شيء: ما لا نستطيع أن ندركه، وما لا نستطيع أن نراه، وما ليس له معنى بالنسبة إلينا. عندما يصبح الله موضع ثقتنا التامَّة، فإنَّنا نقبل بتواضعٍ قسمتنا ونصيبنا (مزمور ١٦:٥). نقبل ما سمح بحصوله في الماضي. ونقبل ما سمح به في هذا اليوم. وسنسلِّم كلَّ أيَّام الغد إليه. وهكذا ينمو التواضع في داخلنا بتسليمنا أنَّه هو المسيطر المحبُّ على **كلِّ** مجالات الحياة.

عندما ننمو في الاتِّكال على الله في كلِّ الأشياء، تصبح قناعتنا عملَ عبادة. أليست هذه فكرة جميلة؟ قال أحد الكُتَّاب المفضَّلين لديَّ إنَّنا نعبد الله بالقناعة أكثر ممَّا نعبده حين نصغي إلى إحدى العظات، أو حين نصرف نصف يومٍ في الصلاة. إنَّ هذه أعمال عبادةٍ وسجود نقدِّمها إلى الله، لكنَّها خارجيَّة فقط.[١] إنَّ السجود لله بأرواحنا يعني أن نكون قانعين بما يعطيه وشاكرين لأجل كلِّ الأشياء. عندما نخضع لخُطَّة الله ومقاصده لحياتنا بتواضع، فإنَّ هذا عمل عبادة وسجود. إنَّني أحبُّ أن أفكِّر بأنَّ من الممكن أن تكون حياتي حرفيًّا حياة عبادةٍ وسجودٍ له.

عندما نكون قد سلَّمنا كلَّ أسئلتنا إلى الله؛ وعندما نكون قد كففنا عنِ التذمُّر بسبب الماضي أو عنِ الاهتمام بالمستقبل؛ وعندما نكون قد وضعنا أيَّام الغد في عهدته، فإنَّنا نصبح أحرارًا في الاستيقاظ كلَّ صباحٍ قائلين: "يا الله، لقد منحتني هذا اليوم كعطيَّة. أَظهِرْ لي كيف أمجِّدك فيه".

يغلِّف السلام قلبكِ عندما تقدرين أن تتَّكلي على الله لأجل يومك فقط دون أن تشعري بعبء **"لو أنَّ..."**، **"ماذا لو..."**، أو **"لماذا"**. إنَّ الأسئلة هي في عهدته، وأيَّام الغد مُلكٌ له، وأنتِ قد تحرَّرتِ! إنَّكِ حرَّةٌ؛ لأنَّ الله نفسه

صار كفايتك. إنَّه قناعتك. ما الذي ينتج عن تحرُّرك؟ قدرةٌ على التركيز على الآخرين وعلى احتياجاتهم، وعلى تشجيع الآخرين، وعلى محبَّة الناس الذين يسمح الله بدخولهم حياتَكِ لتخدميهم. إنَّ بإمكانكِ التأثير في الآخرين لأنَّ الله قد أثَّر في داخلك.

تخيَّلي صورةَ امرأةٍ قانعة. ربَّما تعرفين امرأةً كهذه. ما الذي تملكه هذه المرأة؟ قد تذكرين ثمر الروح: محبَّة، فرح، سلام، طول أناة..إلخ (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣). ما الأمر الذي لا تملكه هذه المرأة؟ لا تملك قلبًا مضطربًا. إنَّ التاج الذي يُدعى القناعة ليس على رأسها بل في قلبها. إنَّ قناعتها لا تعتمد على الناس أوِ الأمكنة أوِ الممتلكات. إنَّ هذا ما نتوق أنا وأنتِ أن نصير عليه. إنَّنا نعرف أنَّ امرأةً كهذه هي جوهرةٌ نادرة.

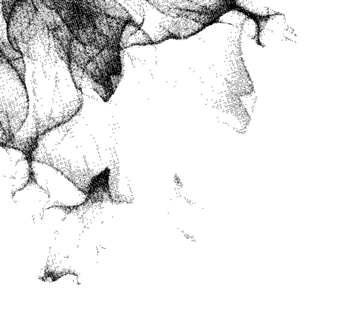
إنِّي أحبُّ هذه القصَّة التي هي أشبه بصورةٍ إيضاحيَّةٍ لمثل هذه القناعة.

> كان أحد الملوك يعاني من مرضٍ مؤلم، وقيل له إنَّ العلاج الوحيد هو في أن يجد شخصًا قانعًا فيلبس الملك قميصه نهارًا وليلاً. فأرسل رُسُلاً إلى أنحاء المملكة ليبحثوا عن رجلٍ كهذا وقد أُمِروا بجلْب قميصه. مرَّت الشهور، وبعد بحثٍ مستفيض في أرجاء البلاد، عاد الرسل بدون القميص.
>
> سأل الملك: "أَوجدتُم رجلاً قنوعًا في أنحاء مملكتي؟"
>
> "نعم أيُّها الملك، قد وجدنا شخصًا واحدًا- شخصًا واحدًا فقط في المملكة كلِّها". فسأل الملك بإلحاح:

"لماذا لم تجلبوا قميصه معكم ما دمتُم وجدتموه؟"
"يا سيِّدي، لم يكن لدى ذلك الشخص قميص".[٢]

كُنَّا نقوم بهذه الرحلة معًا قاصدين أن نصبح تلك المرأة النادرة القانعة بأيِّ شيء (بقميصٍ أو دون قميص). إنَّ صلاتي لأجلك يا صديقتي ولأجلي هي أن نصبح نساءً يتمتَّعنَ بقلوبٍ عامرةٍ بالطمأنينة والراحة والثقة بالله، قادراتٍ على أن نقول:

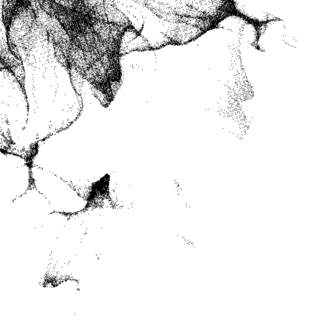
الربُّ سلامي. لن أعيش في قلقٍ وهموم. إنَّه يُخبِّئني تحت جناح الراحة ويُريح روحي داخلي. إنَّه يحمل كلَّ همومي ويساعدني على أن أركِّز عليه. نعم، مع أنِّي أسير في وقتٍ من الشكِّ الخطير والهموم الشرسة، فإنِّي لن أقلق؛ لأنَّك أنت سلامي. كلمتك وحضورك يعزيانني. إنَّك ممسكٌ بعدم يقيني في راحة يدك. كما أنَّك تجلب إلى عقلي الراحة والهدوء- إنَّك تجعل جفني المجعَّد أملسًا. إنَّ اطمئناني إليك وثقتي بك يتبعانني كلَّ أيَّام حياتي. وسأُبقي أفكاري مركَّزة عليك إلى الأبد.[٣]



دروس من الكتاب المقدَّس
لاثنَي عشر أسبوعًا لكتاب

أَرِحْ قلبيَ المضطرب





صديقتي العزيزة،

إنِّي أشعر بالإثارة والحماس بشأن ما سيفعله الله في حياتكِ نتيجةَ تصميمك على القيام بهذه الدراسة. كما أصلِّي أن يُريح الله قلبكِ المضطرب ويعلن المزيد عن ذاته لكِ أثناء دراستكِ لكلمته.

إنَّ **دراسة الكتاب المقدَّس** هي أمرٌ جيِّد ومفيد، ولكنَّ **حفْظَ كلمة الله وتأمُّلها** هما أفضل الوسائل لجعْل كلمة الله تسكن في قلبكِ وعقلكِ. قالت سينثيا هيلد إنَّ حفْظَ آيات من الكتاب المقدَّس يزيد عدد المفردات التي يستخدمها الروح القدس في حياتك. ولهذا السبب، يحتوي كلُّ درسٍ من هذه الدروس الاثنَي عشر على آياتٍ للحفظ. لا يمكننا أن نتغيَّر إلاَّ إذا خبَّأنا كلمة الله وحكمته في قلوبنا.

إن كنتِ مثلي، فلا شكَّ أنَّ لديكِ نوايا حسنةً تدفعكِ إلى حفْظِ كلمة الله، ولكنَّ نواياكِ الحسنة ستتلاشى بسرعة إن لم يكن هناك مساءلة. ليس الحفْظُ سهلاً أبدًا، لكنَّكِ ستشعرين بالامتنان عندما ترَين تأثيره في حياتك اليوميَّة. وإذا بدا واجبُ الحفظ طويلاً، اختاري آيةً واحدة واحفظيها بشكلٍ جيِّد. من ثَمَّ استخدمي آيتك في حمد الله وفي صلواتك المرفوعة إليه. إليك مَثَلاً عن كيفيَّة القيام بذلك باستخدام الآيات من دراسة الأسبوع الأول.

الآيات: فيلبّي ٤:١١-١٣
فإنِّي قد تعلَّمتُ أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه. أعرف أن أتَّضِع وأعرف أيضًا أن أستفضل. في كلِّ شيءٍ وفي جميع الأشياء قد تدرَّبت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كلَّ شيءٍ في المسيح الذي يقوِّيني.

تقديم الحمد: أشكركَ يا الله من أجل مثال بولس. إنَّ كلماته تستحوذ عليَّ. أحمدك لأنَّ بولس يقول إنَّه تعلَّم أن يكون مكتفيًا. إنَّ هذا يعني أنِّي أنا أيضًا أستطيع أن أتعلَّم! أحمدك لأنَّ سرَّ اكتفاءِ بولس واضح: اتِّكاله واعتماده على الذي منحه القوَّة ليكون مكتفيًا في كلِّ الظروف.

صلاتي: يا الله، لا أستطيع أن أقارن نفسي بكلمات بولس. لكنَّ رغبتي يا ربّ، هي أن أكون مكتفيةً وقانعة. أتوق إلى أنْ تُريح أنتَ قلبي المضطرب، وتمنحني القوَّة لأقول مع بولس "تعلَّمت أن أكون مكتفيًا في كلِّ الظروف". أنا أعلم أنَّ السرَّ يكمن في نموِّي في الاتِّكال عليك. علِّمني كيف أفعل هذا.

في المثل الذي سبق، كتبت "صلاتي" و"تقديم الحمد" كلًّا على حدة، لكن عندما أحفظ آيات الكتاب المقدَّس وأستخدمها في صلاتي إلى الله على شكل طلبةٍ أو حمد، فإنَّني عادةً ما أجمع الأمرَين معًا.

إنَّه لفرحٌ عظيم أن تخزِّني كلمة الله في قلبكِ ثمَّ تتحدَّثين إليه بشأنها. إنِّي أشجِّعك على القيام بهذا أسبوعيًّا بينما أنت تحفظين آيات الكتاب

المقدَّس. إنَّ الحفْظَ سيوفِّر لك طريقةً عمليَّة لتأمُّل كلمة الله الرائعة.

إنَّ استظهار آياتٍ من الكتاب المقدَّس جزءٌ مهمٌّ من هذه الدراسة. وكتابة يوميَّاتكِ تحت موضوع "**رحلتي نحو القناعة**"، هي جزءٌ مهمٌّ آخر. إنَّها سجلٌّ لما يعلِّمكِ إيَّاه الله لكي تتذكَّري ما فعله من أجلكِ في الماضي عندما تكون ظروفكِ الحاضرة صعبةً.

عندما عبَر شعب العهد القديم البحر الأحمر إلى اليابسة، أمرهم الله بأنِ "احملو من هنا من وسط الأردن اثني عشر حجرًا... لكي تكون هذه علامةً في وسطكم... تذكارًا" (يشوع ٤:٣، ٦، ٧). يمكننا بسهولة أن ننسى صلاح الله وكرمه عندما تكون الأوقات صعبة. لهذا نحن بحاجةٍ إلى تذكارٍ لكي يحفِّز عقولنا وأرواحنا على التذكُّر. إنَّ دفتر يوميَّاتكِ هو مثل هذه "الأحجار الاثنَي عشر".

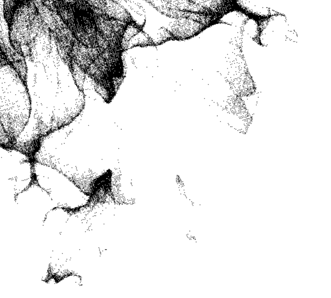
اكتبي أسبوعيًّا إجاباتك عنِ الأسئلة التالية في دفتر يوميَّاتك، ثمَّ اكتبي صلاةً كاستجابةٍ لما سبق: (١) ما الذي تعلَّمتُهُ عنِ الله هذا الأسبوع؟ (٢) ما الذي تعلَّمتُهُ عن نفسي هذا الأسبوع؟ (٣) اكتبي صلاةً "لتتذكَّري" ما قد علَّمك إيَّاه الله.

إنَّ صلاتي لكِ هي أن تعودي إلى دفتر يوميَّاتك بعد ستَّة أشهرٍ أو خمس سنواتٍ من الآن وتقرإي ما قد علَّمك إيَّاه الله وتبتهجي به. إنَّ الله هو معلِّمك. وقد يسمح لك بأن ترَيِ الكثير من رأفته ومحبَّته، وما يعنيه حقًّا أن تكوني قانعةً في كلِّ الظروف.

سأصلِّي لأجلكِ بينما أنت تتعلَّمين منه.

ليندا ديلو





الأسبوع الأوَّل

اقرإي الفصل ١، **رحلتي نحو القناعة**.

١. احفظي الآيات ٤:١١-١٣ من رسالة فيلبِّي. اكتبي الآيات على بطاقة وراجعيها كلَّ يوم. وصلِّي إلى الله ما جاء في هذه الآيات، واسأليه أن يجعل حقَّه يتأجَّج في قلبكِ.

٢. اكتبي فيلبِّي ٤:١١-١٣ في صياغةٍ جديدة.

٣. تأمَّلي رسالة فيلبِّي ٤:١١-١٣؛ وما قد قرأتهِ في الفصل الأوَّل في كتاب "**أرِح قلبيَ المضطرب**". (التأمل يعني "التفكير مليًّا في الشيء، أوِ النظر إلى الشيء بتمعُّنٍ وتفكيرٍ وأخذه بالحسبان"). ثُمَّ اكتبي تعريفًا للقناعة.

٤. اكتبي عباراتِ إيللا الخمس التي شكّلت وصفة القناعة الخاصّة بها (الواردة على صفحة ١٣).

٥. كيف استطاعت إيللا في اعتقادكِ أن تمتلك "عادة القناعة المقدّسة"؟

٦. اقرإي ١ تيموثاوس ٦:١٥. ابحثي عن كلمةِ "**مسيطر**" في القاموس أو في قاموس الكتاب المقدّس. أعيدي كتابة الآية في صياغةٍ جديدة باستخدام ما تعلّمتِهِ في ما يتعلّق بهذه الكلمة.

٧. ما التأثير الذي سينتج إنْ سمحتِ لله أن يكون حقًّا المسيطر المبارك على ظروفكِ؟ أعطي مَثَلاً عمليًّا.

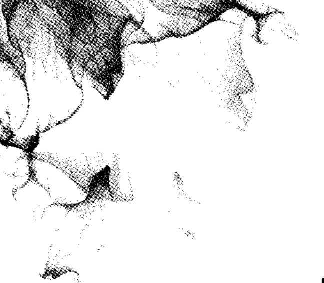
٨. أعيدي قراءة قصَّة الراهبَين الواردة على صفحات الفصل الأوَّل.

أ. أيَّ راهبٍ تشبهين بحسب اعتقادك؟

ب. أَتعتقدين أنَّ معظم النساء يحاولنَ السيطرة على الأشخاص والظروف والتلاعب بهما؟ إن كان الجواب نعم، فلماذا؟

٩. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله في هذا الأسبوع؟ (٢) ما الذي تعلَّمتُهُ عن نفسي؟ (٣) اكتبي صلاةً لكي تتذكَّري ما قد علَّمكِ الله إيَّاه.





الأسبوع الثاني

اقرإي الفصل ٢، **قانعة بظروفي**.

١. احفظي فيلبِّي ٤:٦-٨. اكتبي الآيات على بطاقة وراجعيها يوميًّا. صلِّي وسبِّحي الله مستعينةً بالآيات التي حفظتيها غيبًا.

٢. ارجعي إلى صفحات الفصل الثاني واكتبي قائمةً بالمظاهر السلبيَّة والإيجابيَّة للظروف التي سمح الله بها في حياتكِ في الأوقات الراهنة.

أ. إيجابيَّـة

ب. سلبيَّـة

٣. في أيَّة قائمة تمعنين في التفكير أكثر؟ ما الذي أظهره الله لكِ من خلال هذا التمرين؟

٤. انظري إلى قائمة السلبيَّات (السؤال ٢ب). اختاري الطرف الأكثر إثارةً للقلق والازعاج في هذه القائمة وسجِّليه هنا.

٥. بحسب فيلبِّي ٤:٦، أيَّ خيارَين متعلِّقَين بهذا الظرف الصعب في حياتكِ تختارين؟

٦. فكِّري مليًّا في فيلبِّي ٤:٧. كيف تعرِّفين السلام؟ كيف تعتقدين سيكون شعورك عندما تحوزين السلام؟

٧. فكِّري مليًّا في فيلبِّي ٤:٨. ما الدور الخاصُّ بكِ؟ اكتبي بالتحديد ما يعنيه هذا لكِ في وسط الظرف الذي تمرِّين فيه.

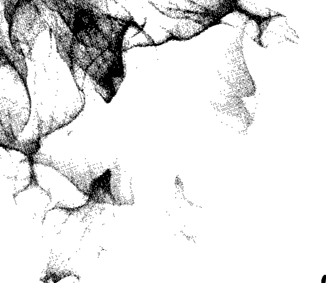
٨. توصينا الآيَّة في فيلبِّي ٤:٩ أن نمارس "هذه الأشياء".

أ. أيَّة أشياءٍ علينا أن نمارسها؟ راجعي الصفحة ٤٠ وفيلبِّي ٤:٦-٩.

ب. عدِّدي ثلاث وسائل تستطيعين أن تمارسي بواسطتها "هذه الأشياء" خلال هذا الأسبوع.

٩. أَأنتِ في مرحلةِ عمليَّةِ تعلُّم القناعة والرضا بظروفك؟ أعطي مثالاً عمليًّا من حياتك يبيِّن كيف ترَين نفسكِ وأنتِ تتقدَّمين باتِّجاه الحصول على القناعة والرضا.

١٠. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله هذا الأسبوع؟ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؟ (٣) اكتبي صلاة تذكِّركِ بما تعلمتِه من الله.



الأسبوع الثالث

اقرإي الفصل ٣، **قانعة بما أنا عليه.**

١. احفظي مزمور ١٣٩:١٤.

٢. اقرإي مزمور ١٣٩:١٣-١٦ كلَّ يوم هذا الأسبوع وبصوتٍ مسموع. ثُمَّ ارفعي صلاةً إلى الله تتضمَّن آيات هذه الفِقرة الكتابيَّة. ما التبصُّرات الجديدة التي أظهرها لكِ الله في هذا المزمور؟

٣. اكتبي الآيات الواردة في مزمور ١٣٩:١٣-١٦ بكلماتكِ الخاصَّة.

٤. أَأَنتِ مستعدَّةٌ لمواجهة ضغوطٍ إضافيَّة في سبيل اكتشاف قدراتكِ ومواهبكِ الروحيَّة؟

٥. ضعي قائمةً بقدراتكِ. كوني صادقةً ومحدَّدة. كيف تستخدمين مواهبكِ لتمجيد الله؟

٦. اقرإي تعريف كلمة "شخصيَّة" في القاموس، ثُمَّ اكتبي التعريف أدناه. أَكُنتِ تركِّزين على تنمية شخصيَّتكِ أم على أنشطتكِ؟ أعطي مثلًا من واقع حياتكِ.

٧. ما موقفكِ من شخصيَّتكِ؟ ومن جسدكِ؟ ومن قدراتكِ؟ أَتعتقدين أنَّ موقفكِ يُرضي الله؟

٨. مظهركِ الخارجيّ

أ. ما الذي تحتاجينه كي تقبلي وتشكري الله من أجله في ما يتعلَّق بمظهركِ الخارجي؟

ب. أَهُناك ما ينبغي أن تقومي به للمحافظة على نحوٍ أفضل على الجسد الذي منحكِ إيَّاه الله؟

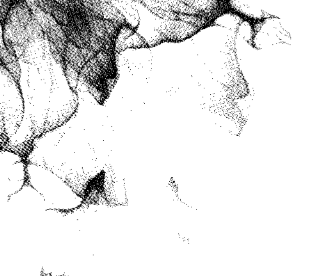
٩. أ. اذكري صفتَين في شخصيَّتكِ تعتقدين أنَّهما ترضيان الله.

ب. اذكري صفتَين في شخصيَّتك تعتقدين أنَّهما لا ترضيانِ الله.اختاري واحدةً من هاتَينِ الصفتَين واطلبي من الله أن يبيِّن لك خُطَّته للتعامل مع هذه الصفة خلال هذا الأسبوع. اكتبي خُطَّتكِ هنا.

١٠. ما التأثير الذي يطرأ على حياتكِ وعلاقاتكِ إذا ما قبلتِ أن تعيشي بحسب تعليم الله في مزمور ١٣٩؟

١١. من بين النساء اللاتي تعرفيهنَّ، أيَّة واحدةٍ منهنَّ تعتقدين أنَّها تتَّصف بصفات المرأة الواردة في أمثال ٣١؟ أجري مقابلةً معها هذا الأسبوع واسأليها كيف اكتسبتْ هذه الصفات؟

١٢. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكَّري ما علَّمك إيَّاه الله.



الأسبوع الرابع

اقرإي الفصل ٤، **قانعة بدوري.**

١. احفظي متَّى ٢٨:٢٠. اكتبي الآية على بطاقة واحمليها معكِ. أثناء حفْظكِ لها غيبًا، اذكري كلماتها في صلاتكِ إلى الله.

٢. تجدين أدناه ثمانية أشكالٍ تصبحين بموجبها غير قانعة وراضية بأدوارِكِ. حدِّدي العلاج الروحيَّ لكلِّ شكلٍ باستخدام الآيات التي حفظتيها: فيلبِّي ٤:١١-١٣؛ فيلبِّي ٤:٦-٩؛ مزمور ١٣٩:١٤؛ متَّى ٢٨:٢٠. لقد حُدِّد العلاجُ الروحيُّ للشكل الأوَّل (أ) لأجلكِ.

أ. أرفضُ أن أقبلَ ما قد منحه الله.

فيلبِّي ٤:١١، تكمن القناعة في قبول أيَّة ظروفٍ يسمح الله بها في حياتي. "ساعدني يا الله لكي أتذكَّر هذه الحقيقة يوميًّا ولكي أعيش بموجبها".

ب. التفكير بالجوانب السلبيَّة في حياة زوجكِ، وأولادكِ، وزميلةِ الغرفة أو زميلةِ العمل.

ج. البحث عنِ القناعة في كلِّ مكانٍ ما عدا لدى الله.

د. حمْلُ جميع همومكِ وحدكِ.

هـ. تعداد مشاكلك بدلاً من تعداد بركاتك.

و. الصلاة من أجل الأشياء التي لا تقدرين على التعامل معها وحدكِ.

ز. جعْلُ التذمُّر عادة.

ح. التشكيك بمحبَّة الله وسيطرته المهيمنة على حياتكِ.

٣. أَترغبين في تبادل الأمكنة مع شخصٍ آخر؟ استنادًا إلى ما قاله الله عنكِ في مزمور ١٣٩، كيف تعتقدين أنَّه سيكون شعورُ الله تُجاهكِ عندما تقارنين نفسكِ وحياتكِ بحياة نساءٍ أخريات؟

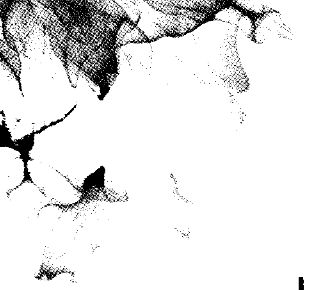
٤.أ. إذا كنتِ متزوِّجة، اذكري خمس صفاتٍ رائعةٍ في شخصيَّة زوجكِ تستحق المديح. وإذا كنتِ عازبة، اذكري الصفاتِ الرائعةَ الموجودةَ في شخصيَّة أكثر الأشخاص أهمِّيَّة في حياتكِ.

ب. اكتبي رسالةً أو ملاحظةً لزوجك (أو للشخص الذي ذكرتيه في السؤال ٤أ)، تشرحين فيها الصفات التي تقدِّرينها فيه أو فيها.

٥. إنَّ معيار الله لنا نحن المسيحيِّين هو الأمانة (١كورنثوس ٤:٢). ماذا يعني عمليًّا أن تكوني أمينةً في أدوارِكِ؟

٦. كيف يمكنكِ تطبيق متَّى ٢٨:٢٠ في حياتكِ هذا الأسبوع بينما تخدمين الذين يحيطون بكِ؟ اكتبي في الفراغ أدناه ما تعتقدين أنَّ الله يريد منكِ أن تقومي به.

٧. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله هذا الأسبوع؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكَّري ما علَّمك إياه الله.



الأسبوع الخامس

اقرإي الفصل ٥، **قانعة بعلاقاتي**.

١. احفظي كولوسّي ٣:١٢-١٤.

٢. هل أساء إليكِ شخصٌ ما؟ فكّري بأشخاصٍ يجعلونكِ تشعرين بالإحباط أوِ الغضب أوِ الحزن. اكتبي أسماءَهم وسببَ الأذى الذي لحِق بكِ في الفراغ أدناه.

٣. هل أسأتِ أنتِ إلى شخصٍ ما؟ اكتبي اسمها (أوِ اسمه أو أسماءهم) ولماذا شعروا بالاستياء.

٤. المسامحة صعبة. ضعي إشارةً بجانب أيَّة جملةٍ من الجمل التالية التي تجدين نفسكِ تفكِّرين فيها.

- سأغفر لكنِّي لن أنسى.
- إذا سامحتُ هذا الشخص فإنَّه سينسى الأمر بسهولة. عليه أن يدفع ثمن أساءته.
- لماذا ينبغي أن أكون أنا الشخص الذي يتوجَّب عليه القيام بما هو صواب؟
- لماذا يجب عليَّ أن أغفر؟ إنَّ هذا الشخص ليس نادمًا حتَّى على ما حصل.
- أستطيع أن أغفر لهذا الشخص ما فعله بي، لكنْ ليس الألم الذي سبَّبه للآخرين.
- أنا لستُ متأكِّدةً من أنَّ مسامحة هذا الشخص ضروريَّة. مع ذلك، أنا لا أكرهه؛ إنِّي إفضِّل أن أتجنَّب الظروف التي قد نلتقي فيها.
- حاولتُ أن أغفر لهذا الشخص، لكنَّه يكرِّر فِعْل الأمور ذاتها.

٥. راجعي متَّى ١٨:٢١-٣٥. تجدين أدناه مواقفَ الله تُجاهك كما ورد وصفها في هذه الفِقرة. بناء على مواقف الله، اكتبي الموقف المطابِق الذي يجب أن يكون موقفكِ تُجاه الأشخاص الذين قمتِ بذكْرهم في السؤال ٢ ضمن درْسِ هذا الأسبوع. المثال الأوَّل قد أُكمِل لمساعدتك.

موقف الله نحوي	موقفي نحو الآخرين
غفر لي كلَّ شيء.	**ينبغي لي أن أغفر لـ (اكتبي الاسم).**
غفر لي مع أنِّي لا أستحق.	
يغفر لي الخطيئة ذاتَها مرارًا وتكرارًا.	
يغفر لي إساءاتي المروِّعة.	
يغفر لي بسرعةٍ ودون ضغينة.	

٦. صلِّي الصلاة التالية:

يا الله، إنَّك صالحٌ جدًّا، ونعمتك أعمق من أن أدركها. إنَّ مراحمك جديدةٌ في كلِّ صباح. ما أسرع ما أخيِّب ظنَّك! وما أسرع ما تغفر لي! شكرًا لك يا يسوع من أجل كلِّ ما عانيتَه بسبب ما فعلتُه أنا. ساعدني ألَّا أحسِب موتك على الصليب أمرًا مُسَلَّمًا به.

٧. والآن صلِّي الصلاة التالية لأجل كلِّ شخصٍ ذكرتيه في السؤال ٢:

يا الله، إنَّك تعرف كيف أساء إليَّ (الاسم) و(اذكري الإساءة). باِسم يسوع الذي غفر كلَّ شيء، أقرِّر الآن أن أغفر لذلك الشخص. أنا أضع (الاسم) عند قدمَيك، وكذلك أضع كلَّ الألم الذي عانيتُه بسبب ما قد حصل. إنِّي أسألكَ الآن أن تبدأ عمليَّة الشفاء في قلبي وفي علاقتنا.

٨. اقرإي كولوسِّي ٣:١٢-١٥ ورومية ١٥:٥-٧. اكتبي في العمود الأوَّل كلَّ كلمةٍ أو عبارةٍ رئيسةٍ استخدمها بولس ليعبِّر عن فكرة الوِحدة في جسد السيِّد المسيح. واكتبي في العمود الثاني الأعمال أوِ المواقف التي تساعد في المحافظة على هذه الوِحدة.

كلمات أو عبارات توحي بالوِحدة	كيف يمكننا المحافظة على الوِحدة

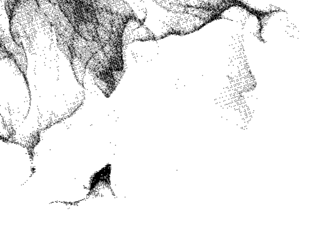
٩. ماذا يعني أن تفعلي شيئًا يتجاوز الغفران؟ ماذا فعل يسوع أكثر من الغفران للذين صلبوه؟ (لوقا ٢٣:٣٤)؛ بالنسبة إلى يهوذا؟ (متَّى ٢٦:٥٠)؛ بالنسبة إلى بطرس؟ (مرقس ١٦:٦-٧).

١٠. ضعي قائمةً بأسماء الأشخاص الذين كان عليكِ أن تغفري لهم في الماضي. اشكري الله لأجل العمل الذي قام به. اسأليه الآن: "أَهناك عملٌ آخر تريدني أن أقوم به لأُظهر المحبَّة والنعمة لذلك الشخص؟" اكتبي كلَّ ما تعتقدين أنَّ عليك القيام به.

١١. اكتبي كولوسِّي ٣:١٢-١٤ غيبًا، وضَعي اسمَ الشخص الذي عليك أن تغفري وتُظهري المحبَّة له.

١٢. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (أ) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله هذا الأسبوع؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكَّري ما علَّمك إيَّاه الله.





الأسبوع السادس

اقرإي الفصل ٦، **ليس كافيًا أبدًا.**

١. احفظي وتأمَّلي عبرانيِّين ٥:١٣ ومزمور ١٤:١١٩. اكتبي الآيتَين على بطاقةٍ وراجعيهما يوميًّا.

٢. كلُّ شيءٍ مُلكٌ لله. اقرإي أخبار الأيَّام الأوَّل ٢:١١-١٤. اكتبي فِقرةً تعبِّرين فيها عمَّ تعني لكِ شخصيًّا عبارة ‘‘كلُّ شيءٍ مُلكٌ لله’’.

٣. الجشع مسألةٌ تتعلَّق بالقلب. بأيَّة طرقٍ عمليَّةٍ يمكنكِ تطبيق مزمور ٦٢:١٠ في حياتك؟ وكيف يمكنك أن تُبقي قلبكِ في المكان الصحيح (متَّى ٦:١٩-٢١)؟

٤. الله أوَّلاً والممتلكات ثانيًا. ماذا تعني لك محبَّة المال (١ تيموثاوس ٦:١٠)؟ اقرإي عبرانيِّين ١٣:٥ واكتبي الطرق التي يمكنكِ بواسطتها أن تحفظي حياتكِ من محبَّة المال.

٥. علينا أن نستخدم ما نملك لا أن نحبَّه. اقرإي أمثال٣٠:٨-٩. ما الذي جعل موقف أجور نقيًّا؟ أَتعتقدين أنَّ لديكِ الموقف ذاته تُجاه الممتلكات؟

٦. اطرحي على نفسكِ الأسئلة الصعبة التالية عنِ المال والممتلكات: (أ) ما مقياس الله للمؤمنين في ما يتعلَّق بهذَين الأمرين؟ (ب) أَينبغي أن يرتفع مستوى المعيشة إذا ما ازداد دخلي؟ (ج) كم ينبغي أن أعطيَ لعمل الربِّ من أموالي؟ ما إجاباتكِ عن هذه الأسئلة؟

٧. اختاري أمرًا واحدًا من الجزء الذي بعنوان "ماذا يمكنك أن تفعلي في بيتك؟" ثُمَّ اكتبي فِقرةً تلخِّصين فيها كيف ستفحصين قلبكِ، وكيف تقطعين الحبال، وكيف تخضعين لعمليَّة ترميميَّة، وكيف تشاركين كنزكِ.

٨. اقرإي وتأمَّلي ١تيموثاوس ٦:٦-١٩، ثُمَّ أجيبي عنِ الأسئلة التالية:

أ. حاولي أن تجدي كلَّ العبارات التي تتحدَّث بشأن المال والغنى والأغنياء في هذه الآيات. اكتبي هذه العبارات بكلماتكِ الخاصَّة.

ب. في الآية ١١ يُطلَب من تيموثاوس الهرب. ما الشيء الذي يُطلب من تيموثاوس أن يهرب منه (آية ١٠)؟ كيف نهرب؟ أعطي مثالاً عمليًّا عن كيفية قيامكِ بهذا.

ج. ما الإرشادات التي أُعطِيتْ لنا في الآيات ١٢ و١٧-١٩؟ ما الذي تعنيه هذه الإرشادات بالنسبة إليكِ في هذا الأسبوع؟ كيف يمكنكِ القيام بهذا؟

٩. ما الخطوات التي يمكنكِ أن تتَّخذيها لمقاومة "الإسراف في الإنفاق الموسميّ؟" اذكري ثلاثة أشياءٍ على الأقلّ.

١٠. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكَّري ما علَّمكِ إيَّاه الله.



الأسبوع السابع

اقرإي الفصل ٧، **تركيز خاطئ**.

يختلف درْس هذا الأسبوع عنِ الدروس الأخرى. إنَّ الهدف هو تشجيعكِ على اكتشاف وكتابة بيان هدف حياتكِ. وسيُطلب منكِ أن تتبادلي أفكاركِ مع أفراد المجموعة. سيكون بكلِّ تأكيد درسًا مدهِشًا!

١. احفظي أفسس ٥:١٥-١٧.

٢. اكتبي على الأقلِّ خمس فوائد لتطوير بيان هدف الحياة.

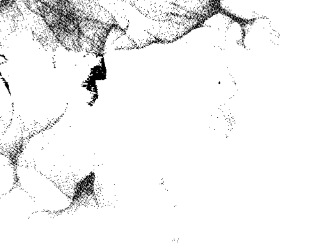
٣. كيف شعرتِ عندما قرأتِ بيان هدف حياة كلٍّ من فيليس، وجين، وناي، وميمي؟ أَمنحكِ بيان كلِّ واحدةٍ رجاءً؟ أو حافزًا؟ أَأَنتِ مستعدَّة لكتابة هدف حياتكِ؟ أَوَشعرتِ بالإحباط؟ اشرحي.

٤. اقرإي الفصل مرَّةً أخرى واطلبي من الله أن يعلن لك بيان هدف حياتكِ (تذكَّري: لست بحاجةٍ إلى أن تكوني ذكيَّة أو مُبتكِرة).

٥. إن كانت لديكِ آيةٌ لحياتك، اكتبيها هنا. وإن لم يكن لديك بعدُ، اكتبي الآيات التي استخدمها الله في حياتكِ.

٦. اصرفي ساعةً على انفرادٍ مع الله. اسأليه أن يعلن لكِ بيان هدف حياتك. سجِّلي أيَّة أفكارٍ تخطر لكِ خلال هذا الوقت. (تذكَّري: بإمكانك أن تستوحي أفكارًا من فيليس، أو جين، أو ناي، أو من ميمي. لقد سمحنَ بذلك).

٧. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكِّري ما علَّمكِ إيَّاه الله.



الأسبوع الثامن

اقرإي الفصل ٨، **يُشبهُ القلق الكرسيَّ الهزَّاز.**

١. احفظي ١بطرس ٥:٦-٧.

٢. ابحثي عن تعريفٍ لكلمة "قلق" في القاموس أو في قاموس الكتاب المقدَّس. اقرإي التعاريف في بداية الفصل، ثُمَّ اكتبي تعريفكِ الخاصَّ بكِ.

٣. اقرإي متَّى ٦:٢٥-٣٤.

أ. ما نقيض القلق في الآية ٣٠؟

ب. برأيكِ، ما معنى كلمة "**فلا**" في الآية ٣٤؟

ج. لماذا طلب يسوع من التلاميذ خمس مرَّاتٍ ألاَّ يقلقوا؟

إنَّ هدف السؤال التالي هو مساعدتك على التفكير بما يسبِّب لك القلق، ومتى تشعرين بالقلق. الأمثلة الثلاثة التالية هي لمساعدتك على البدء في التفكير.

ماذا	لماذا	متى
دفعات البيت الماليَّة	ليس لديَّ المبلغ الكافي	عندما أرى الرصيد في دفتر شيكاتي
مظهري عندما أرتدي ثيابي	زاد وزني ٥ كيلو غرامات وأصبحت ثيابي ضيِّقة	عندما أغيِّر ثيابي
مرض السرطان	ورم في صدري	أربع وعشرين ساعة في اليوم

٤. املإي الجدول التالي واكتبي ما تقلقين بشأنه ولماذا ومتى.

ماذا	لماذا	متى

٥. صلِّي لكي يساعدكِ الله على إعلان الحرب على القلق وذلك بالتفكير بالعمل الذي ينبغي القيام به وتسليم القلق إلى الله. اكتبي كلَّ ما يسبِّب القلق في عمود **"ماذا"** في الجدول. وإن كان هناك عملٌ يريدكِ الله أن تقومي به، فاكتبيه على الفور. وإن كان القلق خارج نطاق سيطرتكِ، سلِّميه إلى الله بإلقائه على كتفيه القويَّتَين. إليكِ الأمثلة الثلاثة التالية:

أ. مصدر القلق: دُفعات البيت الماليَّة.

العمل: بإمكاني الاتِّصال بالبنك لأستعلم عن إمكانية الحصول على قرض. أو بإمكاننا أن نسدِّد الدفعات من المبلغ الذي خصَّصناه لعطلتنا السنويَّة، والاستغناء عنِ الذهاب في إجازةٍ هذه السنة.

ب. مصدر القلق: مظهري عندما أرتدي ثيابي.

العمل: أستطيع أن أشتري ألبسة جديدة أو أن أفقد خمسة كيلوغرامات.

ج. مصدر القلق: قد أُصاب بمرض السرطان.

العمل: تسليم القلق لله. "يا ربّ، أنت تعرف الألم المبرِّح الذي أعانيه بسبب هذا الورم. لا أستطيع التعامل معه. إنَّني أتواضع تحت يدكَ القويَّة وأُلقي بهذا الهمِّ عليكَ".

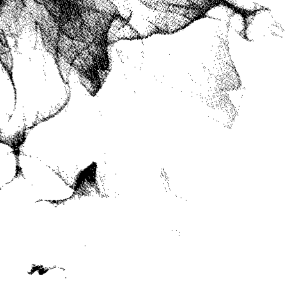
٦. ابحثي عن معنى "**متواضع**" في القاموس أو في قاموس الكتاب المقدَّس. اكتبي فِقرةً تصفين فيها ما يعنيه لكِ التواضع تحت "يد الله القويَّة" (١بطرس ٥:٦).

٧. كيف يمكنك إلقاء كلَّ همِّكِ على الربّ؟ أَيُساعدكِ صندوق القلق والهموم، الذي ورد ذكره في الفصل ٨، أو أيُّ مثالٍ مرئيٍّ آخر على القيام بهذا؟

٨. امتحان الذاكرة. ما الذي كان يُقلق بالكِ في مثل هذا الوقت من السنة الماضية؟ أَتعتقدين أنَّك تستطيعين التعامل مع تلك الحالة الآن؟ كيف؟

٩. اكتبي في دفتر يوميّاتك: (١) ما الذي تعلّمتُه عنِ الله؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكّري ما علّمك إيّاه الله.





الأسبوع التاسع

اقرإي الفصل ٩، **الإيمانُ هو الأساس.**

١. احفظي عبرانيِّين ١١:١.

٢. كيف تعرِّفين الإيمان؟ اكتبي تعريفكِ هنا.

٣. اقرإي تكوين ١٥:١-٥. ماذا وعد الله إبراهيم وسارة؟ ماذا كان ردُّ فعل إبراهيم في الآية ٦؟

٤. نرى في سفر التكوين رحلة سارة بالإيمان، ومجالات انتصاراتها وفشلها. اقرإي تكوين ١٦:١-٦. نرى في هذه الفِقرة أنَّ عينَي سارة قد تحوَّلتا عن كلمة الله إلى ما كانت تراه وتشعر به.

أ. صفي كيف سيطرت سارة على الظروف وتلاعبت بها.

ب. ما العلاقات التي تضرَّرتْ بسبب أعمالها؟

٥. كيف فشلت سارة ثانيةً في وَضْع ثقتها في الله (تكوين ١٨:١-١٥)؟

٦. تكشف لنا الفِقرة في تكوين ٢١:١-٧ أمانة الله تُجاه سارة بالرُّغم من فشلها المتكرِّر في وَضْع ثقتها فيه. صفي إيمان سارة كما ترَينَهِ هنا.

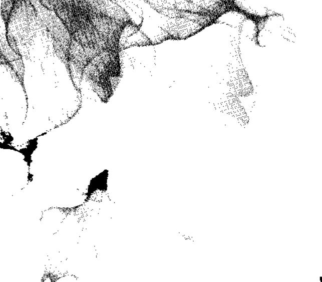
٧. نرى أيضًا سارة الناضجة في عبرانيِّين ١١:١١ وفي ١بطرس ٣:٥-٦. ماذا تقوله لكِ هذه الآيات عن ثقة سارة بالله؟

٨. حين لم تتمكَّن سارة من أن ترى ما كان الله يفعله، كانت تجد أنَّ من الصعب عليها أن تنتظر توقيت الله. قد لا تستطيعين رؤية ما يفعله الله في حياتكِ اليوم. أعيدي قراءة الصفحات التي تتحدَّث بشأن الإيمان المتجدِّد في طبيعة الله. ما الجانب الذي تذكره الآيتان في عبرانيِّين ١٠:٢٣، وعبرانيِّين ١١:١١ عن طبيعة الله؟ كيف يمكن أن تكون سِمةُ الله هذه مصدرَ تشجيعٍ لكِ؟

٩. اقرإي أمثال ٣:٥-٦. ما وصيَّة الله لكِ عندما تُجبَرين على أن تسيطري على الأمور؟

١٠. فكِّري في حالةٍ صعبةٍ في حياتكِ تمرِّين بها الآن. صلِّي، واسمحي لله أن يكون المسيطر المبارك على هذه الصعوبة. اكتبي صلاة في الفراغ أدناه وأخبري الله بأنَّك تريدين أن تركِّزي عينَيكِ على طبيعته وأنَّك ترغبين في العيش بالإيمان وليس بموجب مشاعرك.

١١. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكَّري ما علَّمكِ إيَّاه الله.



الأسبوع العاشر

اقرإي الفصل ١٠، **الاتّكال على الله بخصوص "ماذا لو..."** .

إنَّ المرض الروحيَّ الذي يطرح أسئلةَ "ماذا لو..." هو مرضٌ مميت. **"ماذا لو..."** سؤال ينظر إلى المستقبل ويشعر بالقلق بشأن ما قد يسمح به الله. إنَّ أحد أعراض هذا المرض هو قلبٌ مضطرب وقَلِق.

١. احفظي إرميا ١٧:٧-٨، واجعلي من هاتَين الآيتَين صلاةً لكِ.

٢. ما حالات **"ماذا لو..."** في حياتكِ؟ ما الذي تخافين أن يسمح الله به في حياتكِ أو حياة الذين تحبِّينهم؟ اكتبي مخاوفكِ في الفراغ أدناه.

٣. اذكري وقتًا كنتِ فيه قَلِقةً ومضطربةً بسبب شيءٍ كان من الممكن أن يحدث- وقتًا كنتِ فيه مصابةً بمرض "**ماذا لو...**". ما الذي حدث لجسدكِ وعقلكِ وروحكِ؟

٤. اقرإي إرميا ١٧:٥-٨. اكتبي هذه الآيات بكلماتكِ الخاصَّة.

٥. كيف يمكن أن تمنعكِ تكتيكات السيطرة والاستراتيجيَّات والذكاء والتلاعب من أن تصبحي امرأةً تتَّكل على الربّ؟

٦. اطرحي على نفسك هذا السؤال: هل سأحكم على الله بناءً على الظروف التي لا أفهمها، أم سأحكم على الظروف في ضوء طبيعة الله؟ ما الذي قد يساعدك على أن تنظري إلى الحياة على ضوء طبيعة الله وصفاته؟

٧. اقرإي قصَّة والدة موسى في خروج ٢:١-١٠ وأجيبي عنِ الأسئلة التالية:

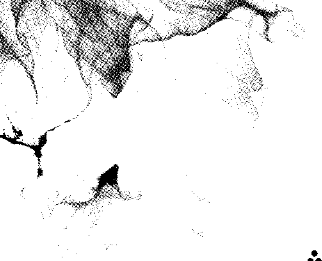
أ. ماذا كانت ظروف والدة موسى المتعلِّقة بـ "**ماذا لو...**"؟

ب. كيف تعامَلَتْ والدة موسى مع "**ماذا لو...**"؟

٨. اقرإي خُطَّة ويليس كاريير المؤلَّفة من ثلاث خطوات للتغلُّب على القلق. اكتبي أسوأ حالات **"ماذا لو..."** في الفراغ أدناه، ثُمَّ اعملي على تطبيق الخطوات الثلاث.

٩. اكتبي صلاةً تتخلَّين بها عن أسوإ حالات **"ماذا لو..."** التي تواجهينها، ثُمَّ قدِّميها إلى الله.

١٠. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكَّري ما علَّمكِ إيَّاه الله.



الأسبوع الحادي عشر

اقرإي الفصل ١١، **الاتِّكال على الله بخصوص "لو أنَّ..."** .

إنَّ المرض الروحيَّ "**لو أنَّ...**" هو مرضٌ مميت. ينظر سؤال "**لو أنَّ...**" إلى الماضي ويتذمَّر ممَّا أعطاه الله. إنَّ الغضب والتذمُّر هما من أعراض هذا المرض.

١. احفظي مزمور ٧٧:١١-١٤.

٢. اقرإي ثانيةً قصَّة الرجل العجوز والحصان الأبيض الموجودة في بداية الفصل. اسردي القصَّة على أحَد أفراد عائلتكِ أو على صديقٍ ما. ثُمَّ أخبري ذلك الشخص بما تعلَّمتيه من القصَّة. اكتبي ما تعلَّمتيه في الفراغ أدناه.

٣. إنَّنا نُصاب بمرض "**لو أنَّ...**" عندما نفكِّر بما ليس لدينا بدلاً من التفكير بما لدينا. إنَّ مرض "**لو أنَّ...**" سببه عدم الرضا بما قد أعطاه الله.

أ. اكتبي قائمةً بحالات "**لو أنَّ...**" التي تهاجمكِ.

ب. عندما تمعنين في التفكير بحالات "**لو أنَّ...**"، أتفقدين المنظور الصحيح كما فعل بنو إسرائيل؟ كيف يظهر هذا الأمر في حياتكِ؟

٤. اقرإي قصَّة إقامة لَعازر في يوحنَّا ١١. يرغب يسوع أن تتوافق "**لو**" الخاصَّة بكِ مع "**لو**" الخاصَّة به، كما فعل مع مرثا. ماذا يعني لكِ هذا الأمر؟

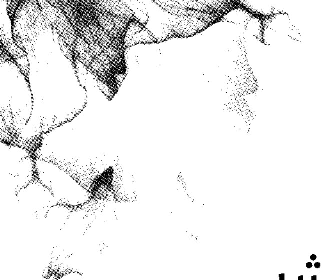
٥. اقرإي سفر العدد ٢٠: ١-٥. في هذه الفِقرة، تذمَّر الشعب من قادته؛ لكنَّهم كانوا في الواقع يشعرون بالغضب من الله. يُدعى هذا النوع من الغضب "الغضب في غير مكانه". اكتبي عن أحد الأوقات التي ثار فيها غضبكِ على شخصٍ ما.

٦. إنَّ طريقة مواجهة الألم الذي يسمح الله به في حياتكِ هي أن تتذكَّري مَن هو الله وما الذي فعله لأجلك في الماضي. اقرإي مزمور ٧٧ مرَّتَين على الأقلّ. تذكَّري أعمال الله واكتبيها في الفراغ أدناه.

٧. أعيدي قراءة خطوات أندرو موراي لتشجيعك على الاتِّكال على الله وسط الضيقات. حدِّدي نوع الصعوبة التي تتسبَّب بإصابتك بمرض "**لو أنَّ...**". اكتبي الخطوات الأربع باستخدام الصعوبة التي لديك.

٨. اكتبي صلاة تعترفين فيها لله بأنَّك لم تتَّكلي عليه عندما كنتِ تفكِّرين بحالات "**لو أنَّ...**".

٩. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله هذا الأسبوع؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكَّري ما علَّمكِ إيَّاه الله.



الأسبوع الثاني عشر

اقرإي الفصل ١٢، **الاتِّكال على الله بخصوص "لماذا"**.

١. احفظي حبقوق ٣:١٧-١٩.

٢. صفي وقتًا سألتِ الله فيه، "لماذا أنا؟" أيمكنكِ الانتقال من طَرْح أسئلة "لماذا" إلى مرحلة الاتِّكال على الله؟

٣. كيف يمكنكِ أن تشرحي سفر الجامعة ٧:١٣-١٤ لولدٍ صغير؟ اكتبي شرحكِ في الفراغ أدناه.

٤. خصِّصي ساعةً واحدةً لقراءة حبقوق ١:١-٢:٤ و٣:١٦-١٩، ثُمَّ أجيبي عنِ الأسئلة التالية:

أ. كلُّ واحدةٍ منَّا لديها متاعب تسبِّب لها الصداع والخوف والإحباط وعدم الرضا. اكتبي وصفًا لمشكلةٍ ترزحين تحت ثقلها وقدِّميه إلى الله.

ب. قفي ثابتة "على المتاريس". اطلبي من الله أن يتحدَّث إليك بخصوص مشكلتك. استكيني في حضرة الله. ثُمَّ سجِّلي أفكارك.

ج. ما الهدف النهائيُّ لكلِّ شيءٍ بحسب رومية ١١:٣٦؟ كيف يمكن أن تعمل ظروفكِ الراهنة على تمجيد الله بحسب اعتقادك؟

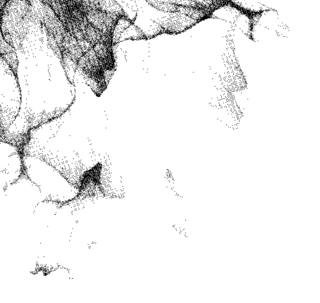
د. كيف يمكن أن يكون جواب الله لحبقوق: "أمّا البارُّ فبالإيمان يحيا" أن يكون جوابًا لمشكلتك؟

هـ. أَأنــتِ على استعدادٍ للاتِّكال على الله بالنسبة إلى ما لا تستطيعين رؤيته، وبالنسبة إلى ما لا تفهمينه ولا يعني لكِ شيئًا؟ هل ستسجِّلين "مع أنَّ" الخاصَّة بكِ وتقدِّمينها إلى الله؟

- مع أنَّ
- مع أنَّ
- مع أنَّ
- مع أنَّ
- مع أنَّ

حاولي أن تقولي مع حبقوق: "فإنِّي أبتهج بالربِّ وأفرح بإله خلاصي. الربُّ **السيِّد قوَّتي**" (حبقوق ٣:١٨-١٩).

٥. اكتبي في دفتر يوميَّاتك: (١) ما الذي تعلَّمتُه عنِ الله؛ (٢) ما الذي تعلَّمتُه عن نفسي؛ (٣) صلاة لتتذكَّري ما علَّمكِ إيَّاه الله.



ملاحظات

الفصل ١: رحلتي نحو القناعة

1. Mary W. Tileston, *Daily Strength for Daily Needs* (London:Messrs. Samson, Lowe and Co., 1928), p. 144, Ella Spees' adapted her habits of contentment from a selection by E. B. Pusey (1899-1882) in this book by Mary.
2. Paul Lee Tan, *Encyclopedia of 7700 Illustrations* (Rockville, MD: Assurance Publishers, 1979), pp. 272-273.
3. Charles D. Kelley, "The Miracle of Contentment," *Discipleship Journal* (November/December 1987), p. 32.
4. Kenneth Wuest, *Philippians in the Greek New Testament* (Grand Rapids: Eerdmans, 1948), p.114.
5. J.I. Packer, "The Secret of Contentment," address given at Wheaton College, Wheaton, IL, 27 February 1984.
6. Elisabeth Elliot, *The Elisabeth Elliot Newsletter* (March-April 1995), p. 1.
7. Mrs. Charles E. Cowman, *Streams in the Desert* (Grand Rapids: Zondervan, 1925), p. 108.

الفصل ٢: قانعة بظروفي

1. Adapted from Linda Dillow, *How to Really Love Your Man* (Nashville: Nelson, 1993), p. 131.

الفصل ٣: قانعة بما أنا عليه

1. For a good discussion of this psalm, see John F. Walvoord and Roy B. Zuck, *The Bible Knowledge Commentary* (Wheaton, IL: Victor, 1985) and C.H. Spurgeon, *The Treasury of David*, vol.3 (Grand Rapids: Zondervan, 1966), p. 262.
2. James Hufstetler, "On Knowing Oneself," *The Banner of Truth* 280 (January 1987), p. 13.
3. Quoted by J.R. Miller in a printed message, "Finding One's Mission" (Swengel, PA: Peiner Publications, n.d.), p. 2.
4. Jerry Bridges, *Trusting God Even When It Hurts* (Colorado Springs, CO: NavPress, 1988), pp. 165-166.
5. Bridges, p. 166.
6. Edythe Draper, *Draper's Book of Quotations for the Christian World* (Wheaton, IL: Tyndale, 1992), p. 1825.
7. Adapted from an allegory by Mrs. Charles E. Cowman, *Streams in the Desert* (Grand Rapids: Zondervan, 1925), p. 271.
8. George MacDonald, *Unspoken Sermons, Series Three* (London:Longmans, Green, and CO., 1981), p. 6.
9. Barbara K. Mouser, *Five Aspects of Women* (Mountlake Terrace, WA:Winepress Publishing, 1992), p. 15.
10. Mrs. Charles E. Cowman, *Streams in the Desert*, vol. 2 (Grand Rapids: Zondervan, 1966), p. 235.

الفصل ٤: قانعة بِدَوْري

1. This e-mail sketch is adapted from an original work written by Leola Floren, Michigan-based newspaper columnist and author of *The New Boss Has a Milk Moustache* (Kansas City, MO: Beacon Hill Press, 1966). Used by permission.
2. Elizabeth Elliot, *Loneliness* (Nashville: Nelson, 1988), pp. 33-39.
3. Elliot, pp. 40-41.
4. Dr. Larry Crabb, *The Marriage Builder* (Grand Rapids: Zondervan, 1982),p. 50.

الفصل ٥: قانعة بعلاقاتي

1. *USA Today*, 6 January 1977, p. 1.
2. Charles R. Swindoll, *Growing Strong in the Seasons of Life* (Portland, OR: Multnomah, 1983), p.248.
3. Swindoll, p. 249.
4. Philip Yancey, "An Unnatural Act," *Christianity Today* (8 April 1991), p. 39.
5. Yancey, p. 36.
6. Clara Barton, cited by Luis Palau in the message "Experiencing God's Forgiveness."

الفصل ٦: ليس كافيًا أبدًا

1. Richard Swenson, MD, *Margin* (Colorado Springs, CO: NavPress, 1992), p. 164.
2. *USA Today*, 22 November 1996, sec. A. p. 8.
3. Interview with Dave Ramsey, *People* 17 February 1997, pp. 69-70.
4. Ramsey, People.
5. Colin Greer, "Interview with Billy Graham," *People* (20 October 1996), p. 5.
6. A. W. Tozer, *The Pursuit of God* (Harrisburg, PA: Christian Publications, 1948), p. 22.
7. *Colorado Springs Gazette Telegraph*, 25 November 1996, sec. D. p.1.
8. Angel Tree is Chuck Colson's gift-giving ministry to the children of prisoners.
9. Michael P. Green, *Illustrations for Biblical Preaching* (Grand Rapids: Baker, 1982), p. 121.

الفصل ٧: تركيزٌ خاطئ

1. Richard Swenson, MD, *Margin* (Colorado springs, CO: NavPress, 1992), p. 157.
2. Message by Phyllis Stanley, "Living Purposely," Colorado Springs, CO, 1997.

3. Message by Charles R. Swindoll, "Who Gets the Glory?" Northwest Bible Church, Dallas, TX.
4. Iain H. Murray, *Jonathan Edwards: A New Biography* (Carlisle, PA. Banner of Truth Trust, 1987), pp. 42-44. He made seventy such resolutions!
5. Elizabeth Elliot, *Let Me Be a Woman* (Wheaton, IL: Tyndale, 1976), p. 10.
6. Personal interview with Phyllis Stanley.
7. Jean Fleming, *Finding Focus in a Whirlwind World* (Fort Collins, CO: Treasure, 1991), p.37.
8. Personal interview with Jean Fleming. Also, *Finding Focus in a Whirlwind World*, pp. 40-42.
9. Personal interview with Ney Bailey.
10. Ney Bailey heard this prayer given by Elizabeth Elliot.
11. Personal interview with Mimi Wilson.
12. Ron Mehl, "A Place of Quiet Rest," *Discipleship Journal* (May/June 1997), p. 24.

الفصل ٨: يُشبهُ القلق الكرسيَّ الهزّاز

1. Mrs. Charles E. Cowman, *Streams in the Desert* (Grand Rapids:Zondervan, 1925), p. 118.
2. Frank Minirth, MD, Paul Meier, MD, and Don Hawkins, ThM. *Worry-Free Living* (Nashville: Thomas Nelson, 1989), p. 17.
3. Minirth, p. 28.
4. Paul Lee Tan, *Encyclopedia of 7700 Illustrations* (Rockville, MD, Meier, Hawkins, Assurance Publishers, 1997), p. 1648.
5. Kenneth Wuest, *Word Studies in the Greek New Testament* (Grand Rapids: Eerdmans, 1980), vol. 1.
6. Bishop Fulton J. Sheen, quoted by Frank S. Mead, *12,000 Relgious Quotations* (Grand Rapids: Baker, 1989), p. 478.
7. Oswald Chambers, May 23 entry, *My Utmost for His Highest* (New York: Dodd, Mead & Co., 1935).
8. George MacDonald, *Annals of a Quiet Neighborhood* (Philadelphia: David McKay, n.d.), p. 203.

9. Mrs. Charles E. Cowman, *Streams in the Desert* (Grand Rapids: Zondervan, 1925), p.23.
10. James Montgomery Boice, *The Sermon on the Mount* (Grand Rapids: Zondervan, 1972), p. 257.

الفصل ٩: الإيمانُ هو الأساس

1. Amy Carmichael, *You Are My Hiding Place: Devotional Readings Arranged by David Hazard* (Minneapolis: Bethany House, 1991), p.10.
2. Ney Bailey, *Faith Is Not a Feeling* (Orlando, FL: Campus Crusade for Christ, 1979), p. 23.
3. Oswald Chambers, May 8 entry, *My Utmost for His Highest* (New York: Dodd, Mead & Co., 1935).
4. Mrs. Charles Cowman, *Streams in the Desert* (Grand rapids: Zondervan, 1925), p. 180.
5. Cowman, pp. 377-378.

الفصل ١٠: الاتّكال على الله بخصوص "ماذا لو"

1. Eugenia Semyonovna Ginsgurg, *Journey into the Whirlwind* (New York: Harcourt Brace, 1975), p. 16.
2. Bill Hull, *Anxious for Nothing* (Old Tappan, NJ: Revell, 1987), pp. 86-87.
3. H. E. Manning, quoted by Elisabeth Elliot, *Keep a Quiet heart* (Ann Arbor, MI: Servant, 1995), p. 147.
4. Dale Carnegie, *How to Stop Worrying and Start Living* (New York: Simon & Schuster, 1944), pp. 16-23.
5. Reinhold Niebuhr quoted in *Ageless Inspirations* compiled by Ellie Busha (Ventura, CA: Evergreen Communications, Inc., 1990), p. 31.

الفصل ١١: الاتّكال على اللّه بخصوص "لو أنّ"

1. Translated from the Portuguese, Max Lucado, *In the Eye of the Storm* (Dallas: Word, 1991), pp. 144-147.
2. Isobel Kuhn, *Green Leaf in Drought* (OMF Books, 1958), pp. 40-42.
3. Michael P. Green, *Illustrations for Biblical Preaching* (Grand Rapids: Baker, 1982), p. 388.

الفصل ١٢: الاتّكال على اللّه بخصوص "لماذا"

1. Myrna Alexander, *Behold Your God: A Woman's Workshop on the Attributes of God* (Grand Rapids: Zondervan, 1978), p. 29.
2. J. Sidlow Baxter, *Explore the Book*, vol. 4 (Grand Rapids: Zondervan, 1964), p. 212.

رسالة شخصيّة

1. Jeremiah Burroughs, *The Rare Jewel of Christian Contentment* (Carlisle, PA: The Banner of Truth Trust, 1979), p.23.
2. Paul Lee Tan, *Encyclopedia of 7700 Illustrations* (Rockville, MD: Assurance Publishers, 1979), pp. 272-273.
3. A paraphrase of Psalm 23, written by my friend Judy Booth.

دروس من الكتاب المقدّس لاثنَي عشر أسبوعًا

1. From a message given at a Tri-lakes Chapel, Women's Retreat, Monument, CO. April 1995.



أرِح قلبي المضطرب

يتضمّن ١٢ درسًا من دروس الكتاب المقدّس

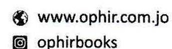
تخيَّلي كيف ستكون حياتكِ إذا خلَتْ من القلق.

إنَّ النساءَ يقلقن كثيرًا. نقلق من ناحية أولادنا وأصدقائنا ومهنتنا وعائلاتنا وأزواجنا، ويمكن أن تطول القائمة كثيرًا. أجل، نريد أن نكون قانعات ومتّكِلات على الله بخصوص همومنا، لكنَّ التخلِّيَ عنها وتحرير أنفسنا من عبء القلق هو صراع نواجهه في حياتنا. إذا كنتِ متعبة من القلق حِيال كلِّ مواقف "ماذا لو؟" في حياتكِ، وترغبين في اختبار السكينة والقناعة التي يَعِدُنا بهما الكتاب المقدَّس، فإنَّ كتاب "**أرِحْ قلبيَ المضطرب**" هو ما بحثتِ عنه طويلًا.

إنَّ هذا الكتاب حافلٌ بكلمات التشجيع والمساعدة العمليّة للتغلُّب على القلق، وهو يحتوي على دروس من الكتاب المقدّس لاثني عشر أسبوعًا لمساعدتكِ على اكتشاف ما يقوله الكتاب المقدَّس عن القناعة وطرق تطبيقها في حياتك اليوميّة.

يمكن استخدام الدروس في هذا الكتاب فرديًّا أو ضمن مجموعة دراسة الكتاب المقدّس.


ophir


www.ophir.com.jo
ophirbooks
ophirpub

ISBN 978-90-5950-097-6

9 789059 500976